

كتاب
التنبيه

على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين
فإن آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم

تصنيف

الفقيه الفاضل أبي محمد بن عبد الله البطليوسي المتوفى ٥٢١ هـ

تحقيق وتعليق

الدكتور محمد حسن الخليل
الدكتور محمد بن عبد الله النشري

الطبعة الأولى

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

دار الإحياء

تقديم

أحمد الله ، وأصلي وأسلم على من اصطفاه واجتباه ، وأرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وعلى آله وصحبه الأئمة الهداة ، الذين آمنوا به وآزروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه .

وبعد . . فإن الخلاف بين الناس في الآراء ، والمعتقدات أمر طبيعي . فما دام الناس مختلفون في ألوامهم وألسنتهم وطبائعهم وطرق معاشهم وفي البيئة التي يجيئون فيها ، وفي الثقافة التي ينهلون منها ، فإنهم لا شك يختلفون في آرائهم وتفكيرهم . وذلك يرجع إلى :

اختلاف المدارك والعقول . إذ من المدارك والعقول ما ينفذ إلى صميم الأشياء ويصل إلى حقيقتها . ومنها ما يظل طافياً على السطح لا يدرك من الأشياء إلا ظواهرها . ومنها ما يشغل عن الحقيقة بالخيال والأوهام ، فيصده ذلك عن إدراك حقيقة الأشياء أو جزء منها .

وقد يرجع إلى الرغبة في السلطة وحب الرئاسة والعصبيات القومية أو الإقليمية أو العنصرية . فإن الآراء حينئذ تكون منبعثة من الرغبات الخاصة التي لا تتفق مع الحق والعدل ، وهذه أمور تفسد الآراء . وتبعد أصحابها عن الحق .

وقد يكون الاختلاف في الرأي راجعاً إلى غموض الأمر الذي هو محل النظر ، وصعوبته ، فكل ينظر إليه من جانب على حسب ما يقع عليه نظره ، أو حسب ما يهديه تفكيره .

وقد يرجع الاختلاف في الرأي إلى اختلاف الرغبات والشهوات ، إذ الرغبة في الشيء والشهوة له تربنا الأشياء على غير حقيقتها .

فقرينا الشيء جميلا حببياً إلى القلب ، وإن كان في مقياس العقل البعيد
عن المؤثرات لا وزن له .

وقد يكون الباعث على الاختلاف اختلاف فهم في مناهجهم العلمية . فإنه
إذا اختلفت المناهج العلمية اختلفت النتائج المترتبة عليها ، ومن ذلك
الاختلاف بين الفقهاء وعلماء الكلام في موضوع خلق القرآن فإن
الاختلاف بينهم كان سببه الاختلاف في المنهج ، فالفقهاء يستمدون
أقيستهم من القرآن والسنة ، وعلماء الكلام يعتمدون على الأقيسة
العقلية المجردة (١) .

هذا وقد يكون مبعث الخلاف التقليد ، والتعصب لآراء الأقدمين ،
وجعلها بمثابة لا يجوز مخالفتها ولا الحيد عنها ، ولعل هذا من أكبر
أسباب الخلاف ، ولذلك نرى القرآن الكريم ينهى على المخالفين
للحق تقليدهم للآباء (قالوا أجتئنا لتعبد الله وحده ولنر ما كان يعبد
آباؤنا فأتنا بما تعبدنا إن كنت من الصادقين (٢)) (قالوا أجتئنا لتلفتنا
عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما
عومنين (٣)) .

هذا عن الخلاف بين الناس عامة . أما الاختلاف بين أئمة المسلمين
وعلمائهم وقادتهم فكانت له أسباب خاصة نعرضها فيما يلي :

الاختلاف بين المسلمين

بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والعرب متنافرون
متدابرون ، لا تجمعهم جامعة كأنهم ذرات الرمال ، فجمعهم الله
على الحق والهدى بالإسلام ، وألف بين قلوبهم بالإيمان ، فأصبحوا
بنعمة الله إخوانا ومحابين ، لا عصبية تفرقهم ، ولا حزبية تشتت
جمعهم ، ولا خلاف بينهم في رأى ، إن عنت لهم شبهة ، أو بدت

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٦

(٢) الأعراف ٧٠

(٣) يونس ٧٨

لهم مشكلة ، لجأوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلاهم
الشبهة ، ووضح المشكل ، ونزل الوحي يبين ويوضح ، ويعلم .

وهكذا مضى عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والشمل
مجتمع ، والرأى موئلف ، فلم يظهر خلاف فى الرأى ، ولا فى شأن
من شؤون الدين والعقيدة إلا ما عرف من الخلاف فى غنائم بدر وفى
أسرارها ، ولكن الوحي حسم هذا الخلاف .

ولم يقبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا بعد أن بين
للمسلمين الحججة الواضحة ، وترك فيهم ما إن تمسكوا به لم يضلوا
أبدأ : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولكن بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدأ الخلاف
فى الرأى يظهر بين صفوف المسلمين ، خلاف فى السياسة وفى العقيدة
وفى الفقه .

أما فى السياسة فقد بدأ هينا لينا بين المهاجرين والأنصار يوم السقيفة ،
ولكنه حسم بفضل حنكة أبى بكر ، وحزم عمر ، وقوة إيمان الأنصار
رضى الله عنهم أجمعين .

وظلت وحدة المسلمين قوية طيلة عهد أبى بكر ، وعمر ، وفى آخر
عهد ذى النورين : عثمان بن عفان بدأت العصبية العربية التى أخذ جذوتها
الإسلام تورى ناراً ثم اشتعلت بعد استشهاد عثمان ، وزاد من حدة
الخلاف التنافس على الخلافة ، فتحطمت وحدة الأمة وانقسمت إلى
شيع وأحزاب : أمويين وهاشميين ، وخوارج ، ثم عباسيين وعلويين .
وقامت بينها حروب مدمرة ، ومذابح رهيبة ذهب ضحيتها كثير من
الصحابة والتابعين وقادة المسلمين وأولى الرأى فيهم ، مما عوق حركة
الدعوة الإسلامية ، وشد أزر أعدائها !! ذلك كله من أثر العصبية
القبيلية ، والتنافس على الخلافة والسلطان .

أما اختلاف الرأى فى العقيدة فقد بدأ بعد امتداد الفتح الإسلامية ،

ودخول أهل الحضارات والديانات القديمة في الإسلام ، ولا سيما
الفرس فهؤلاء كانت لهم دولة وسلطان امتد حتى شمل أجزاء من الجزيرة
العربية ، وكانت دولتهم إحدى دولتين تتقاسمان العالم - إذ ذلك -
نفوذاً . فلما جاء الإسلام حطم دولتهم ، وبسط سيطرته عليهم ،
وبذلك خضعوا للعرب الذين كانوا يسودونهم .

فكان من أثر ذلك أن دخل بعضهم الإسلام مخلصين ، ولكنهم
يطوون قلوبهم على بقايا من معتقدات وأفكار الديانات القديمة ،
فكانوا يعتقدون الإسلام ، ويفسرون تعاليمه متأثرين بهذه المعتقدات
خاضعين لسلطانها ، فأتاروا كثيراً من المشكلات مثل الجبر والاختيار ،
وتساءلوا هل العبد مخير أو مجبر ؟؟ . وصفات الله أهى شىء غير
الذات أم هى والذات شىء واحد ؟؟

وبجانب هذا التفريق المخلص في إسلامه دخل أفواج منهم الإسلام ،
وقلوبهم تفيض حقداً وبغضاً للإسلام والمسلمين ، وما دخلوا إلا للكيد
له وتدميره من داخله .

فتظاهروا بالصلاح والتقوى ، وحب آل الرسول - صلى الله
عليه وسلم - حتى وثق فيهم العامة واطمأن إليهم الخاصة فبدأوا ينشرون
الشبه التي تشكك الناس في عقيدتهم ، ويبثون الأفكار المضللة للعقول .
والمذاهب المنحرفة عن الحق التي تذهب بصفاء العقيدة الإسلامية
ونقاها ، وشوهوا جمال الإسلام بما أقحموه عليه من بدع وخرافات ،
فكان منهم المشيعون ، والمنصوفة ، والخسمة ، والمعزلة ، وغير
هؤلاء .

ولقد كان للفلسفة دور كبير في هذا الاختلاف ، فبعد أن ترجمت
كتبها - ولا سيما في عصر المأمون - أحدثت أثراً كبيراً في الفكر
الإسلامي ، فظهر بين علماء المسلمين من تكلم في المادة ، وما وراء
الطبيعة ، ومن جارى فلاسفة اليونان وقال بالعقول العشرة ، ومن تجرأ
وخاصة في مسائل ليس في استطاعة العقل البشرى أن يصل إلى رأى

ثابت فيها أو حقيقة مقررة ، مثل قدرة العبد وإثبات صفات الله ونفسها ، كما ظهر بين المسلمين من نزع منزع السوفسطائية في الشك .

هذا عن الاختلاف في العقيدة ، أما الاختلاف في الفقه فقد حدث بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانقطاع الوحي .

إذ كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين كان بين ظهرانيهم يبين للمسلمين ما عيى عليهم ، ويفتيمهم فيما يعين من أحداث ، فلما قبض وانقطع الوحي ، وامتدت الفتوح ، وجدت أحداث ليس في القرآن ولا السنة نص عليها كان لا بد للخلفاء الراشدين وأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الاجتهاد ، واستنباط الأحكام لهذه الأحداث والوقائع . ومن هنا نشأ الاختلاف ، مثل الاختلاف الذي حدث بين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - في قتال ما نعى الزكاة . واختلاف الصحابة في قتل الجماعة بالواحد ، وفي توريث الأخوة مع الجد ، واختلاف عثمان وزيد بن ثابت وعلى في عبد زوج حرة . هل يعتبر حال الزوج فيكون أقصى طلاقها طلقتين . بهذا قال الأولان . أو يعتبر حال الزوجة فيكون أقصى طلاقها ثلاثاً وبذلك قال علي .

وصار كلما مضى الزمن وامتدت الفتوح وبعد العهد بعصر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثرت الأحداث ، والوقائع ، فكثرت الاجتهاد وكثر الخلاف .

وقد تفرق أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأمصار يحملون القرآن الكريم والحديث الشريف فكان بعضهم يحمل من الحديث ما لا يحمل الآخر أو شاهد من الوقائع مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما لم يشاهد الآخر فتقع الحادثة وليس عند صحابي نص عليها فيجتهد ويفتي بناء على اجتهاده ، بينما يوجد نص عليها عند صحابي آخر في قطر آخر . ومن هنا أخذ الخلاف يتسع بالإضافة إلى الأسباب الأخرى التي هي موضوع هذا الكتاب الذي نقدم له .

ونحب هنا أن نؤكد على حقيقتين هامتين :

الحقيقة الأولى : إن هذا الخلاف مهما كان نوعه ولونه لم يمس جوهر الدين ولا أساس العقيدة فلم يكن الخلاف في وحدانية الله ، ولا في أن محمداً رسول الله ، ولا في ركن من أركان الإسلام ، ولا في أصل من الأصول العامة ، وإنما كان في أمور فرعية لا تمس صميم العقيدة ولا ركناً من أركان الدين ولا أصلاً من أصوله . وإذا كانت قد ظهرت آراء تمس العقيدة ، فقد تبرأ العلماء منها ومن معتقها ، ونفوههم عن حظيرة الإسلام ، مثل طائفة السبئية التي كانت تعتقد حلول الله في علي ، وطائفة أخرى من الشيعة هي الغرابية ، فكانت تعتقد أن الرسالة كانت لعلي ، ولكن جبريل أخطأ ونزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - وقد أجمع المسلمون على أن هاتين الطائفتين ليستا من أهل الإسلام .

الحقيقة الثانية : أن بعض هذا الخلاف - وهو الخلاف في السياسة وفي بعض العقائد - كان شراً على الإسلام والمسلمين ، فقد عوق الدعوة الإسلامية ، وشل حركتها ، وصرف الناس عنها ، وأخر الإسلام أجيالاً ، ولولا هذا الخلاف لدانت الدنيا كلها للإسلام ولا امتدت أشعته إلى جميع الكهوف والمغارات المظلمة فبددت ظلامها وأصبحت راية الإسلام والتوحيد ترفرف على المعمورة ، وهذا الخلاف هو ما كان يخافه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويحذر منه .

أما الخلاف في الفقه والأحكام الشرعية فلا نعتقد أنه كان شراً ، بل كان فيه خير كثير ، فقد أثرى الشريعة الإسلامية ، وجعل لكل حادثة حكماً مستنبطاً يقول الشيخ أبو زهرة - رضي الله عليه : « وإذا كان الافتراق حول العقائد في جملته شراً ، فإنه يجب أن نقرر أن الاختلاف الفقهي في غير ما جاء به نص من الكتاب والسنة لم يكن شراً ، بل كان دراسة عميقة لمعاني الكتاب والسنة ، وما يستنبط منهما من أقيسة ، ولم يكن افتراقاً ، بل كان خلافاً في النظر ، وكان يستعين كل فقيه بأحسن ما وصل إليه الفقيه الآخر ، ويوافقه أو يخالفه .

وكان عمر بن عبد العزيز يسره اختلاف الصحابة في الفروع ويقول :
ما أحب أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يختلفون
لأنه لو كان قولاً واحداً لكان الناس في ضيق ، وإنهم كانوا أمة
يقتدى بهم ، فلو أخذ رجل بقول أحدهم لكان سنة (١) .

التأليف في أسباب الاختلاف :

عنى المؤرخون وكتاب السير بالخلافات السياسية وتحليل أسبابها
وتفصيل بواعثها وغاياتها .

أما الاختلافات الفقهية والعقائدية فكانت أسبابها تذكر خلال مسائل
الأصول أو في ثنايا كتب التفسير والحديث مبعثرة ، وقليل من الفقهاء
من أفردها بتأليف ونسقتها ونظم عقدها .

وكان من الأوائل الذين فطنوا لذلك علم من أعلام التراث الإسلامى
فى الفقه واللغة وهو أبو محمد عبد الله المعروف بابن السيد البطليموسى
مؤلف هذا الكتاب الذى تقدمه للقراء . فهو كما يبين من مقدمته من
أوائل من ألفوا فى هذا الفن ، وأنه أخرجه فى صورة مبتكرة كأنه
مخترع ، وليس بمخترع ، يقول فى مقدمة الكتاب :

« وإنى لمسا رأيت الناس قد أفرطوا فى التأليف ، وأملوا الناظرين
بأنواع التصنيف فى أشياء معروفة ، وأساليب مألوفة ، صرفت خاطرى
إلى وضع كتاب فى أسباب الخلاف الواقع بين الأمة ، قليل النظر ،
نافع للجمهور ، عجيب المنزع ، غريب المقطع ، يشبه المخترع ،
وإن كان غير مخترع (٢) » .

وهو بعد أول كتاب وصل إلينا من الكتب التى ألفت فى أسباب
الاختلاف وقد حصر أسباب الاختلاف ونسقتها ونظم عقدها وقد

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١ نقلا عن الاعتصام للشامى ٢ - ١١

(٢) أنظر مقدمة الكتاب .

كان مرجعاً لكثير من العلماء وانتشر في المشرق بين الجامعات العلمية في مختلف العصور ، وقد نقل إلى الإسكندرية بعد وفاة مؤلفه بسنتين . وقد جاء على نمطه بعد فترة من الزمن كتاب الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف للشيخ أحمد بن عبد الرحيم الشهير بشاه ولي الله الدهلوي المتوفى سنة ثمانين ومائة وألف من الهجرة وهو مطبوع في مصر .

ومما ألفت في عصرنا الحاضر في أسباب الاختلاف - مما نعرف - أسباب اختلاف الفقهاء للأستاذ الشيخ علي الخفيف أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة .

وأسباب اختلاف الفقهاء للدكتور عبد الله عبد المحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

نسخ الكتاب وتوثيقها :

بين أيدينا ثلاث نسخ اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب .

النسخة الأولى وهي التي اعتمدنا عليها وجعلناها أصلاً ورمزنا إليها بالرمز (١) مصورة من معهد المخطوطات بالقاهرة عن نسخة مخطوطة بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وهي مكتوبة بالخط الجميل مضبوطة بالشكل

وهي رواية تلميذ المؤلف إبراهيم بن محمد المتقن الخمي السبئي عن المؤلف ابن السيد قرأها عليه سنة ٥١٦ هـ ثم بعد ذلك نقلها إلى الإسكندرية سنة ٥٢٣ هـ وقرأها عليه القاضي الفقيه أبو محمد عبد الله ابن عبد الرحمن بن علي بن إسماعيل العثماني في شهر رمضان من هذا العام وأجاز له رواية الكتاب وسائر كتب ابن السيد . وفي أول هذه النسخة :

أخبرنا القاضي الفقيه أبو محمد عبد الله بن القاضي أبي الفضل
عبد الرحمن بن علي بن اسماعيل العماني رضي الله عنه قال :

بسم الله الرحمن الرحيم . رب زدني علما . أخبرنا الفقيه الفاضل
أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المتقن الخمي السبتي قدم علينا نغرا الإسكندرية ،
وقرأته عليه في شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وعشرين وخمسة من
الهجرة قال قرأت على الفقيه الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن
السيد البطليوسي - رضي الله عنه - في جهادى الأولى سنة ست عشرة
 وخمسة من الهجرة ببليسية .

وفي آخر هذه النسخة إجازة من ابن المتقن هذا نصها :

سمع جميع هذا الكتاب بقراءته الفقيه القاضي العالم أبو محمد
عبد الله بن القاضي أبي الفضل عبد الرحمن بن علي بن اسماعيل العماني
وهو روايتى عن مصنفه ابن السيد . وقد أجزت له ولأخيه الفقيه
النيل أبي الطاهر اسماعيل - وفقهما الله - جميع ما يصح عندهما من رواياتى
ومسموعاتى ومستجازاتى ومن ذلك كتاب الاقتضاب فى شرح أدب
الكتاب تصنيف الشيخ المذكور وهو قراءتى عليه ، وجميع تصانيفه
وروايته ، فقد أجازنيها ، وكتابه المقتبس فى شرح موطأ مالك بن أنس
وكتب إبراهيم بن المتقن بن إبراهيم الخمي السبتي فى شهر رمضان المعظم
سنة ثلاث وعشرين وخمسة .

وفي الصفحة الأولى من الكتاب فى هذه النسخة « كتاب التنبيه
على الأسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم ومذاهبهم
واعتماداتهم » تصنيف الفقيه الفاضل أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد
البطليوسي - رحمه الله - رواية أبي إسحاق إبراهيم بن محمد المتقن
ابن إبراهيم السبتي الخمي .

وتعد هذه النسخة ذات قيمة علمية لأنها قرئت على المؤلف وأجاز

روايتها ورقمها في مكتبة المدينة ٤٦ توحيد وفي معهد المخطوطات ك ١٧١
ورول ٤٣ .

النسخة الثانية : « مصورة » معهد المخطوطات بالقاهرة عن نسخة
مخطوطة بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة بخط عالم من العلماء البارزين
هو الحافظ أبو الوفاء عبد القادر القرشي (١) ، صاحب كتاب الجواهر
المضية في طبقات الحنفية ، كتبها سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة من
الهجرة ، وهي بخط معتاد قد أهمل نقطها أحيانا .

وفي الصفحة الأولى صورة البطاقة المكتبية وفيها تعريف بالكتاب
واسمه فيها « التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين
في آرائهم لابن السيد البطليوسى » وفي جانب من الصفحة (كتاب
أسباب الخلاف الواقع بين المسلة الحنيفية تأليف الإمام الخقق أبي
محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسى المغربى » .

وفرغ كاتبه صاحب طبقات الحنفية الحافظ أبو الوفاء عبد القادر
القرشى فى سنة ٧٣٢ هـ وقد رمزنا إلى هذه النسخة بالرمز (ب)
ورقمها بالمدينة المنورة ٣٩ أصول فقه وفى المعهد رول ٨٠ - ٣٥٢
النسخة الثالثة نسخة مطبوعة بمصر سنة ١٣١٩ هـ وعنوانها (الإنصاف
فى التنبيه على الأسباب التى أوجبت الخلاف بين المسلمين فى آرائهم)
وقد رمزنا إلى هذه النسخة بالرمز (ط) ومراجعة النسخة المطبوعة
على النسختين المصورتين وجدنا أن فى المطبوعة تصحيحا كثيرا وسقطا
وهذا ما جعلنا نقرر تحقيق الكتاب وتصحيحه ونشره محققا مصححا
مع التعليق على كلام المؤلف حين يستدعى المقام ذلك .

اسم الكتاب

ومما يلفت النظر أن النسخ الثلاث تختلف فى العنوان فالنسخة الأولى
التي قرئت على المؤلف عنوانها (كتاب التنبيه على الأسباب التي
أوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم ومذاهبهم واعتقاداتهم) .

(١) من فقهاء الحنفية وحفاظ الأحاديث عاش فى القرن الثامن الهجرى توفى
بالقاهرة سنة ٧٧٥ هـ وله عدة مؤلفات . أنظر الدرر الكامنة ٢-٣٩٢ .

وفي النسخة الثانية (كتاب أسباب الخلاف الواقع بين المسلمة
الحنيفية) بينما هو مقيد في البطاقة المكتنية بعنوان : التنبيه على الأسباب
التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم .

أما النسخة المطبوعة فعنوانها (الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي
أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم) .

ولا ندرى من أين جرى هذا العنوان ؟ فجميع التراجم (المراجع
ومنها بروكلمان) التي ذكرت مؤلفات ابن السيد ذكرت هذا الكتاب
باسم : التنبيه وهو ما يتفق مع عنوان النسخة الأولى ، ولعل كلمة
الإنصاف هذه مقحمة من بعض رواة الكتاب « يدلنا على ذلك أن
كلمة الإنصاف تشعر بعرض المذاهب ، واختيار بعض ، ورفض
بعض ، وهذا ليس من مقاصد الكتاب ، فالمؤلف يقول في المقدمة :
وإنما غرضي أن أذكر الأسباب التي أوجبت الخلاف بين أهل ملتنا
الحنيفية . . . ولا غرضي أيضاً أن أحصر أصناف المذاهب والآراء ،
وأناقض ذوى البدع المضللة والأهواء ، لأن هذا الفن من العلم قد
سبق إليه . . . وإنما غرضي أن أنبه على المواضع التي منها نشأ الخلاف
بين العلماء .

ولهذا كان عنوان (التنبيه على الأسباب التي أوجبت الخلاف)
متفقاً مع غرض المؤلف ، وهو العنوان الذي آثرناه ، لأنه هو الذي
رواه تلميذ المؤلف ، وكادت تجمع عليه كتب التراجم (١) .

منهج المؤلف : وقيمة الكتاب العلمية :

هذا الكتاب يدل على أن المؤلف كان على قدر كبير من الفهم
العديق للشريعة الإسلامية ، والإحاطة بأمرارها . وقد يعد هذا أمراً

(١) أنظر كشف الظنون ص ٤٨٨ - الحركة اللغوية في الأندلس ص ٤٢١ - الصلة
لابن يشكوال ١ - ٢٨٢ . شذرات الذهب ٤ - ٦٤ - ٦٥ . وفيات الأعيان ٢ - ٣٣٢ .
الفهرسة للأشبيل ٤٨٢ - بروكلمان - ليدن ج ١ ص ٤٢٧ - والملحق ج ١ ص ٥٤٣ ،

عجبا بالنسبة لرجل يعد من أساطين علماء اللغة والأدب ، حتى يخيل لمن يقرأ له في اللغة والأدب أنه فرغ لها . فكيف يبرع في الفقه وعلوم العقيدة ؟

وهذا العجب لا يلبث أن يزول حين نعلم أن الأندلسيين كان منهمجهم في التعليم الإحاطة أولا بقدر كبير من علوم الدين من حفظ للقرآن ودراسة للحديث والتفسير والفقه . يستوى في ذلك اللغوي والفقيه والمهندس والطبيب . ولذلك كثر بينهم النحوي الفقيه والفقيه النحوي ، والطبيب الخدث ، واخذت اللغوي . فهذا الإمام الشاطبي ألف في النحو يمثل البراعة والقوة اللتين ألف بهما في الفقه والأصول . وأبو حيان فقيه ومفسر ونحوي وأديب شاعر - وكان لهم من ذكائهم وقوة حافظتهم أكبر عون .

وقد قدم ابن السيد مقدمة تتسق مع موضوع الكتاب ، بين فيها أن الاختلاف بين الناس في الآراء والمعتقدات أمر طبعي ، وقد أتى بفكرة جديدة لم نقرأها لغيره - على ما يبدو لي - وهي أن الاختلاف بين الناس في الدنيا دليل على البعث ، وعلى أن هناك حياة وراء هذه الحياة ، وذلك لأن الاختلاف يقتضى الائتلاف لأنهما من الأمور الإضافية . ولكن لا يمكن الائتلاف في هذه الحياة لاختلاف الناس في طبائعهم وخلاتقهم . إذن لا بد من حياة أخرى ننقل فيها إلى طبيعة تختلف عن هذه الطبيعة يرتفع فيها الخلاف والخصام . وهي هذه الحياة التي نوه الله سبحانه بها فقال : (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين (١)) .

ولم ينس وهو الإمام اللغوي أن يشيد بعلوم اللغة والأدب ، وأثرها في فهم القرآن والسنة واستنباط الأحكام ، وبين أن الفقه مؤسس على أصول كلام العرب .

وختم مقدمته ببيان غرضه من الكتاب ، وهو التنبيه على أسباب

الاختلاف بين الأئمة ، وليس القصد منه دراسة المذاهب والآراء ،
ونقضها أو تأييدها .

أما أسباب الخلاف - وهي موضوع الكتاب - فقد حصرها في
ثمانية أوجه وعقد لكل سبب أو بعارة أخرى لكل وجه يرد منه
الخلاف بابا ، فجملة الأبواب ثمانية .

حصر ما يتعلق منها بالألفاظ والتراكيب ودلالاتها في بابين هما :
الباب الأول تكلم فيه على الاشتراك بأنواعه المختلفة سواء أكان
في الألفاظ أم في الإعراب أم في التراكيب .

وفي الباب الثاني تكلم عن الخلاف العارض من جهة الحقيقة والحجاز

وقد تجلت براعة المؤلف اللغوية في هذين البابين بأوضح ما تكون
وضرب الأمثلة وساق الشواهد من اللغة وفي هذين البابين فسر كثيراً
من أوجه الخلاف في العقائد ، وبين من أين دخل الانحراف العقائدي
على بعض الفرق ، ففسروا الألفاظ بمعانيها الوضعية مع أن المقصود
منها المعنى الخازمي كما حدث في تفسير قوله تعالى : (الله نور السموات
والأرض (١)) ففسروا النور على حقيقته وتوهموا أن الله نور . والحق
أن المراد أنه هادى أهل السموات والأرض ثم شرح الآية وبين أن
المراد منها التمثيل كما قال الله تعالى بعد ذلك (ويضرب الله الأمثال)
وبين هذا التمثيل فقال : شبه صدر المؤمن بالمشكاة ، وقلبه بالزجاجة ،
ونور الهدى الذي يضعه في قلبه بالمصباح وشبه مادة الهدى المتبعثة
من قبل الرسول عليه السلام فزيد في بصائر المؤمنين ، وتحفظ نور
الإيمان بمادة الزيت التي تمد المصباح لئلا يطفأ نوره ، وشبه النبي
- صلى الله عليه وسلم - بالزيتونة ، إذ كان الهدى إنما ينبعث من قبله
كأنبعاث أزيت من الزيتون ، وجعل الزيتون لا شرقية ولا غربية ،
لأن ظهوره ومبعثه عليه السلام إنما كان بمكة ، ومكة وسط بين
المشرق والمغرب .

وهكذا يمضى في تفسير الآية .

وفي الباب الثالث تحدث عن الاختلاف العارض من جهة إفراد النص أو تركيبه مع نص آخر وذلك أنه قد ترد الآية أو الحديث غير مستوفية للغرض من التبعيد ثم يرد تمام الغرض في آية أخرى أو حديث آخر فربما أخذ بعض الفقهاء بمفرد الآية أو بمفرد الحديث وبجىء بعض آخر ويبنى قياسه على مجموع الآيتين أو الحديثين أو الآية والحديث ، فيفضى الحال إلى الاختلاف بين الفريقين ، فيحل أحدهما ما يحرم الآخر ، وقد يفضى إلى اختلاف العقائد ، وساق المؤلف الأمثلة المختلفة ورجع إلى سليلته اللغوية فأفاض وذكر كلاماً يتعلق بمعاني الحياة والموت وأوصلها إلى ثلاثة عشر معنى ، وأرى أن ذلك حشو لا يقتضيه المقام ، وإن كان عظيم الفائدة .

وقد ترد الآية مجملة ثم يفسرها الحديث كما في قوله تعالى : (واللاتي بأنن الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً) (١) . ثم قال الرسول - صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والتيب بالتيب جلد مائة والرجم » .

كذلك بعض الناس خطر ببالهم أمر التذمء والتندر فتأملوا القرآن الكريم والحديث الشريف فوجدوا فيهما نصراً ظاهراً للإجبار والإكراه كقوله تعالى : (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى (٢)) « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة (٣) » .

وفي الحديث الشريف : السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقى في بطن أمه «

(١) النساء : ١٤

(٢) الأنعام : ٣٥

(٣) البقرة : ٧

فبنوا على هذه الآيات والآثار أن السعيد مجبر ، ومن اعتقد غير هذا فقد كفر .

وجاء قوم آخرون فتصفحوا القرآن وتأملوه وتأملوا الآثار فإذا القرآن يقول : (ولا يرضى لعباده الكفر) (١) - (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) (٢) .

والرسول عليه السلام يقول : كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فبنوا على هذا أن العبد يفعل ما يشاء باختياره .

ثم جاءت طائفة ثالثة فوضعت جميع الآيات التي وردت في القضاء والقدر والأحاديث بين يديها وتأملتها فخرجت برأى سليم من غلو القدرية وتقصير الجبرية .

ولقد شرح المؤلف موضوع القضاء والقدر بأوضح عبارة لما نر من بسطه هذا البسط ووضحه هذا التوضيح . ومع ذلك فقد أوصى بعدم الخوض في حديث القضاء والقدر ويؤكد حقيقتين : الأولى : إنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله وأن كل فاعل غيره إنما يفعل بمعونة من عند الله .

والثانية : أن أفعال الباري عز وجل كلها حكمة محضة لا عبث فيها ، وعدل محض لا جور فيه ، وحسن محض لا قبح فيه ، وخير محض لا شر فيه . ثم يقول :

وجملة ذلك أنه لا يشبه شيئاً من المخلوقات في جهة من الجهات . فكل قول أذاك إلى تشبيهه مخلقه في ذات أو فعل فارفضه رفض القداة ، وانبذه بنذ النواة ، ولا تهتم بارتك في حكمته ، ولا تنازعه في قدرته ، واعلم بأنه غنى عنك وأنت مفتقر إليه ووارد بما تزودت من عملك عليه ، تبارك المنفرد بأفضيته وأحكامه ، الذي لا ينزاع في نقضه

(١) الزمر : ٧ .

(٢) الدهر : ٢ .

وإبرامه ، ولا يمتري العاقلون في عدله ، ولا يياس المنذوبون من عهوه
وفضله لا رب سواه ، ولا معبود حاشاه .

بهذه الكلمات التي تفيض إيمانا ختم الباب الثالث .

وفي الباب الرابع عرض للعموم والخصوص في اللفظ والتركيب
وهو يعد من أهم أسباب الخلاف مثل قوله تعالى : (لا إكراه في
الدين (١)) قال قوم هذه الآية خاصة بأهل الكتاب لا يكرهون على
الإسلام إذا أدوا الجزية ، وقال قوم هي العموم ثم نسخت . يقول الله
عز وجل : (جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم (٢)) .

وفي الباب الخامس عرض للرواية والنقل ، والأحاديث تختلف
من حيث ما يعرض لها من علل ، فربما صح الحديث عند مجتهد ،
ولم يصح عند آخر ، وربما وصل الحديث كاملاً بمجتهد ، ووصل
بعضه لمجتهد آخر ، وربما نقل الحديث بلفظه إلى فقيه ، ومعناه إلى
فقيه آخر . فيؤدي ذلك كله إلى اختلاف الأحكام .

وربما أخطأ الراوي في الإعراب ، فبالتقاء فقيه وبينه عليه حكماً ،
ويتلقاه فقيه آخر صحيحاً فينبى عليه حكماً يخالف الأول . وقد فصل
المؤلف العلل التي تعرض للحديث ، وضرب الأمثلة والشواهد .

وفي الباب السادس : عرض للخلاف الناشئ عن الاجتهاد والقياس
حين لا يكون نص من القرآن العزيز والحديث الشريف ، فيفرع الفقهاء
إلى النظر والقياس ، وحينئذ يختلفون لاختلاف مقدرتهم على القياس
والاستنباط ، أو اختلافهم في المقدرة اللغوية والعلم بأساليب العرب .
هذا بينما يقف فريق من الفقهاء موقف المنكر للقياس .

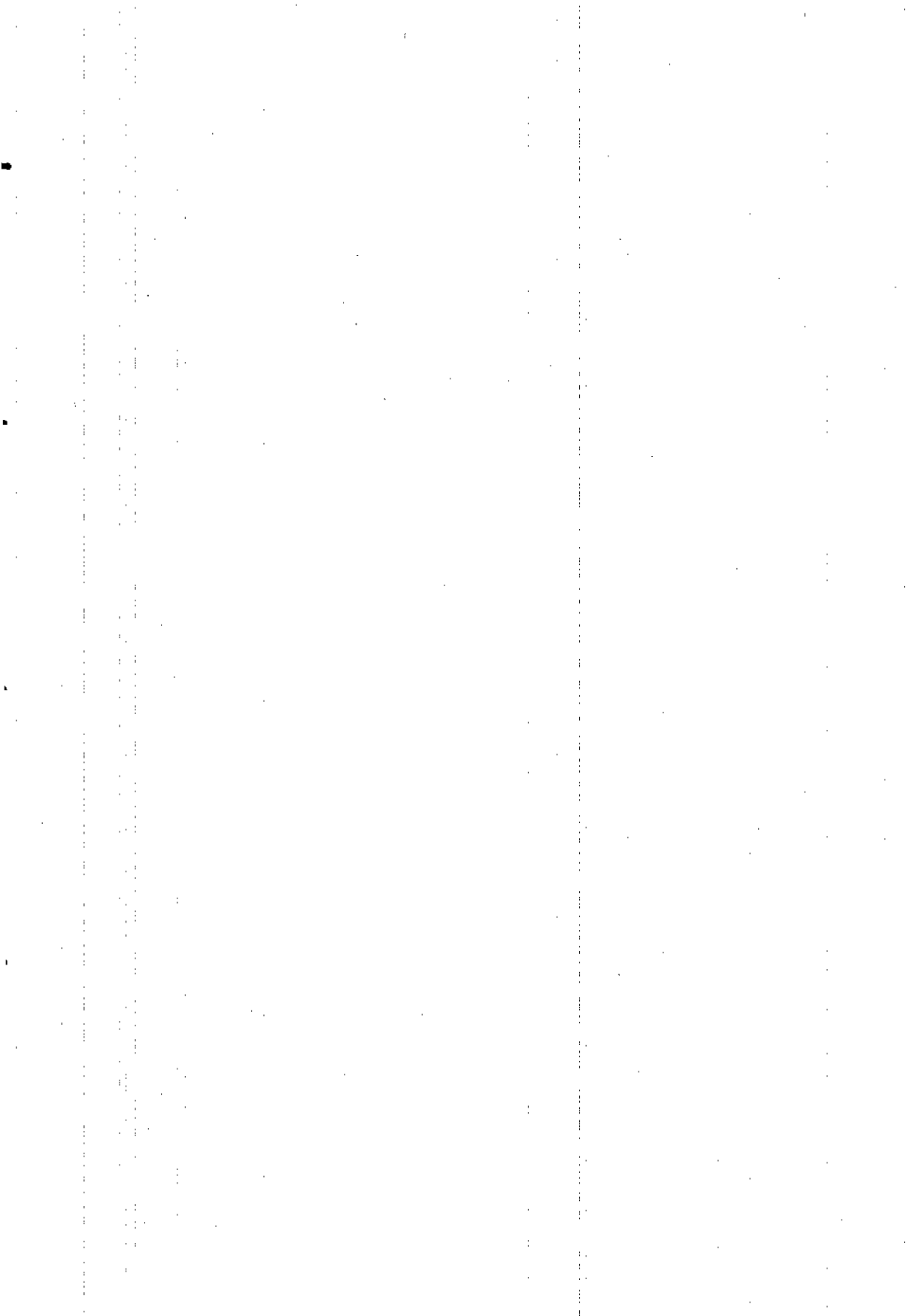
أما الباب السابع : فقد خصصه للنسخ وعده سبباً من أسباب الخلاف
من جهة أن بعض الفقهاء يقول به ، وبعض آخر ينكره ومن يقول به

(١) البقرة : ٢٥٦

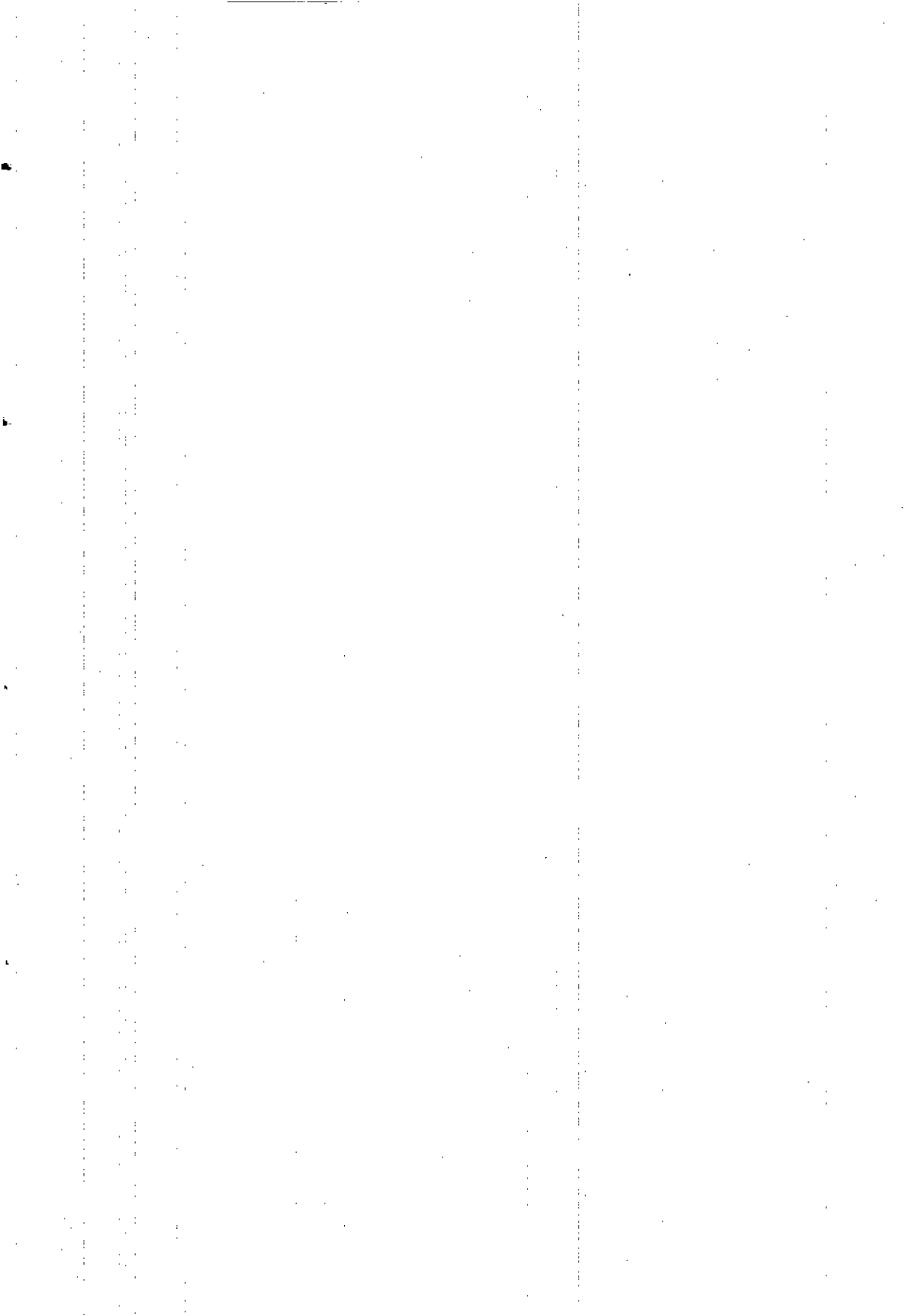
(٢) التوبة : ٧٣

هل يجوز نسخ القرآن بالحديث ؟ وهل يجوز النسخ في الأخبار ؟
وقد أوجز المؤلف في هذا الباب كما أوجز في الباب الثامن والأخير
حيث عرض للخلاف العارض من قبل أشياء وسع الله فيها على عباده ،
وأباحها لهم على لسان نبيه ، وتختلف فيها وجهات النظر كالخلاف في
الأذان والتكبير على الجنائز وتكبير التشريق .

هذه هي أسباب الاختلاف التي عرضها المؤلف ولا ندعي أنه
أحاط بجميع أسباب الخلاف ولكنه أحاط بمعظمها وكان في كتابه
هذا لغوياً أكثر منه فقهياً . يفيد منه اللغوى كما يفيد الفقيه .



حياة المؤلف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صاحب هذا التصنيف هو عبد الله بن السيد البطليوسي (١) . إمام من أئمة النحو واللغة وأديب تمتع بحاسة قوية كان لها الأثر الأكبر في إدراك معاني الشعر . قويتها ، وضعيفها . غنها ، وسمينها . اهتم بعلوم العربية وآدابها . كما اهتم بالعلوم الإسلامية والفلسفية .

وإذا كانت آثار الإنسان هي الترجمة الواقعية ، والآثر الملموس لحياته وفكره فإن هذا الإنتاج العلمي الذي أثرى به المكتبة العربية ليعكس صورة واضحة لشخصه وعقله الكبير .

حياته

استقبل الحياة في مدينة بطليوس (٢) سنة ٤٤٤ هـ . ونشأ بها وقضى فترة طويلة يجلس بين علمائها الذين رسموا له طريق البحث والتحصيل ثم تركها

(١) يفتح الباء والطاء وسكون اللام وفتح الياء . أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي والسيد بكسر السين الذئب . لقب به جده ، والبطليوسي : جماعة من مدينة شلب كان من بينهم علماء أفذاذ لكن أشهرهم هو ابن السيد . فحين تطلق كلمة البطليوسي لا تنصرف إلا إليه .

أنظر : أزهار الرياض ج ٣ ص ١١٩ - ١٢٩ .

الصلة ٢٨٧

شذرات الذهب ج ٤ ص ٦٥ .

بقية الرعاة ٢٨٨ .

كشف الظنون ٤٨ ، ٧٥ ، ١٨٠ ، ٤٨٨ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٨١٢ ، ١٩٢ .

١٢٧٣ ، ١٤١١ ، ١٥٨٧ ، ١٩٠٧ .

(٢) يفتح الباء والطاء وسكون اللام ، وفتح الياء : مدينة كبيرة في الأندلس على نهر آفة قرب قرطبة .

راجع معجم البلدان ج ١ ص ٤٤٧ .

قاصدا قرطبة (١) التي كانت في ذلك الوقت تموج بالعلماء والأدباء فيها أبو علي الغسافي الذي عني بالحديث وكتبه وروايته . كما كان له اهتمام بالشعر والأنساب . وهنا يتابع ابن السيد دراسته للفقه والحديث على يد شيوخه أبي علي . لذا فقد روى أنه شرح الموطأ (٢) للإمام مالك بن أنس - رضي الله عنه .

ولم تكن دراسته للفقه والعلوم الإسلامية مقصورة على أبي علي الغسافي بل درس على كثير من الشيوخ الذين كانت قرطبة تزخر بهم آنذاك . وبعد أن قضى هذه الفترة في قرطبة أخذ يتنقل بين المدن المختلفة إذ أن أحوال الأندلس السياسية في ذلك الوقت كانت في قلق مستمر وماذا يصنع ابن السيد تجاه هذه الأحوال المضطربة التي قد تهدد حياته لقد ولى وجهه تجاه بلنسية (٣) لأنها كانت أكثر هدوءاً واستقراراً . وبعد أن استقر بها بدأ الطلاب يقبلون عليه ، وتوافدوا من كل صوب وحذب يأخذون عنه ، ومنه يقتبسون . ونتيجة لهذا الاستقرار استطاع ابن السيد أن يؤلف معظم تأليفه الكثيرة .

وظل ببلنسية علماً من أعلامها حتى وافته المنية في منتصف رجب سنة ٥٢١ هـ .

عصره

أدرك البطليوسى النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى . والأندلس قد انهارت أسسها وتناثرت أشلائه . وتنوعت الرئاسات في نواحيه فقد

(١) يضم أوله وسكون ثانيه ، وضم الطاء المهملة : مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها كانت عاصمة ملوك بني أمية .

المصدر السابق ج ٤ ص ٣٢٤ .

(٢) راجع حاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٩٧٠ .

(٣) بكسر السين المهملة ، وفتح الياء دون تشديد : مدينة شهيرة بالأندلس شرق قرطبة وهي برية بحرية . كان الزرم قد ملكوها ، ثم استردها المسلمون وأهلها يسمون عرب الأندلس . أنظر معجم البلدان ج ١ ص ٤٩٠ .

مزقه المنافسات والأطباع الشخصية وغدا بعد ذلك دويلات صغيرة يحكمها
أمراء سموا ملوك الطوائف .

وقد وصف ابن الخطيب بلاد الأندلس عقب الفتنة ، وقيام دول الطوائف
بقوله :

وذهب أهل الأندلس من الانشقاق ، والافتراق إلى حيث لم يذهب
كثير من هذه الأقطار ليس لأحدهم في الخلافة إرث ، ولا في الإمارة سبب ،
ولا في الفروسية نسب ، ولا في شروط الإمارة مكتسب .

وعلى الرغم من أن عصر الطوائف كان عصر التمزق السياسي . إلا أنه
دفع الحياة العلمية ورعاها فقد كان التنافس بينهم سبباً لدفع عجلة العلم .
وازدهاره . فكل بلاط يفتخر على الآخر بما يضمه من خيرة العلماء والأدباء ،
لذا فقد شهدت الأندلس نشاطاً (١) لغوياً واسعاً بعد أن أصبحت قبلة يتجه
إليها العلماء والطلاب ينهلون من علمها .

وقد ظهر من أعلام اللغة في ذلك الوقت ابن سيده ، والأعلم الشتمري
وابن السيد .

شيوخه

في المرحلة الأولى من حياته تتلمذ على أخيه أبي الحسن علي بن السيد .
فهو الذي نهج له طريق البحث . وقد كان أبو الحسن مقدماً في علم اللغة ،
والضبط لها . وعنه أخذ ابن السيد كثيراً من كتب الأدب وغيرها .
أما المرحلة التي قضاها في قرطبة فقد تتلمذ على شيخ الحديث أبي علي الغساني ،
وغيره من الشيوخ الذين كانت قرطبة تموج بهم في ذلك الوقت .

كما كان من شيوخه علي بن أحمد بن حمدون المقرئ البطلبوسى المعروف

(١) عبد الله عنان : دول الطوائف ص ٩٣ ، ١١٦ .

بان اللطينية (١) ، وعاصم بن أيوب الأديب البطلوسي (٢) وأبو سعيد الوراق
وأبو الفضل الوزير محمد عبد الواحد التميمي البغدادي ، وعبد الدائم القبرواني
وعثمان بن سعيد الأنصاري ، وعلى بن خلف الداني .

تلامذته

استقر المقام بان السيد في بلنسية ، وهناك طبقت شهرته الأندلس فاجتج
إليه الناس راغبين في العلم والأدب .

وقد نقل ابن خلكان أنه سكن بلنسية ، وكان الناس يجتمعون إليه ،
ويقرءون عليه ويقتبسون منه . وبدأ الراغبون في العلم يتوافدون عليه من
كل صوب وحذب كما نقل صاحب المطرب في ترجمة أبي اسحاق إبراهيم
ابن يوسف الحمزي أنه رحل شرق الأندلس للقاء الأستاذ العالم أبي محمد
ابن السيد البطلوسي فممن درسوا عليه عمر بن محمد بن واجب القيسي البلنسي
صاحب الأحكام بلنسية . وكان فقيها حافظا للمسائل مشاورا (٣) ، ومروان
ابن عبد الله بن مروان البلنسي قاضي بلنسية ورئيسها (٤) ، والقاضي عياض
السبتي قاضي سبته وغرناطة كان إماما في الحديث (٥) ، والداني : أبو العباس
المعروف بان الأقلبيثي صاحب شرح أسماء الله الحسنى ، وشرح الباقيات
الصالحات ، وكتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم ، وأبو الحسن
عبد الملك بن محمد بن هشام القيسي من أهل شلب (٦) كان من أهل العلم
بالحديث ، والمعرفة باللغة ، والأدب (٧) وأحمد بن مالك بن مرزوق من أهل

(١) ابن بشكوال : الصلة ت ٨٩١

(٢) المصدر السابق ت ٩٦٦

(٣) ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة : ت ١٨٢٤

(٤) المصدر السابق ت ١٠٨٨

(٥) الأعلام ج ٥ ص ٢٨٢

بفية الملتبس ص ٤٢٥

(٦) روضات الجنات ج ٣ ص ٤٢٨

(٧) التكملة ت ١٧١٥

طرطوشة ، ولى قضاءها . وأحمد الأنصارى الخزرى من أهل بلنسية ،
وغيرهم كثير .

من آراء المؤرخين

يقول صاحب الصلة : كان عالماً بالآداب واللغات مثبحراً فيها
مقدماً في معرفتهما ، وإتقانها وكان جيد التعلم حسن التفهيم . ثقة ضابطاً (١)

ويقول البغدادي : الإمام النحوى اللغوى . الفقيه (٢) .

ويقول المقرئ : هو نحوى زمانه وعلامته (٣) .

وجاء فى بغية الوعاة : عبد الله بن السيد . تزيل بلنسية . انتصب لإقراء
علوم النحو (٤) واجتمع إليه الناس ، وله يد فى العلوم القديمة .

ويقول البغدادي فى الخزانة : هو خير بآراء اللغويين (٥) .

وفى روضات الجنات : الإمام المقدم اللغوى . النحوى . البلنسى له
فتاوى نادرة فى كتب الفقه واللغة (٦) .

ويقول الضبى فى بغية الملتمس . إمام فى اللغة ، والآداب . سابق ميرز
ونأليفه دالة على رسوخه واتساعه ونفوذه (٧) .

وفى قلائد العقيان : إنه ضارب (٨) قداح العلوم . شيخ المعارف وإمامها

(١) ابن بشكوال : الصلة ج ١ ص ٢٨٢ .

(٢) البغدادي ؛ هدية العارفين . طبعة استانبول ج ١ ص ٤٥٤

(٣) المقرئ . نفح الطيب ج ٢ ص ١٦٧ - ١٧٢ .

(٤) السيوطى : بغية الوعاة ج ٢ ص ٥٥ .

(٥) البغدادي : الخزانة ج ٣ ص ٢٧ ، ١٧٠ .

(٦) أنظر : روضات الجنات ج ٢ ص ٤٣١ .

(٧) الضبى : بغية الملتمس ت ٨٩٢ .

(٨) الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ج ٣ ص ١٠٦ .

ومن في يديه مقودها ، وفي موضع آخر : هو أذخر علمائنا بحراً وأوسعهم
علماً وأصدقهم لساناً وقد رأيت أن أفرد كتاباً في أخباره (١) .

البطيوسى لغوياً

أجمعت كتب التاريخ التي تناولت سيرة البطيوسى على وصفه باللغوى ،
وبقولهم : إمام في اللغة .

وفي الأدب : قال الشعر في معظم الأغراض ، وأسلوبه يتميز بالرصانة
والوضوح .

وأما النحو فقد أجمع المؤرخون على وصفه بهذه الصفة . فقالوا :
ابن السيد النحوى . هو نحوى زمانه . شيخ النحاة . وقالوا : إمام في النحو
بلا منازع .

وقد اتخذ البطيوسى من النحو أساساً في كل شروحه اللغوية . فلم يترك
مسألة صغيرة ، ولا كبيرة إلا عالجها ووضعها على بساط البحث . وأبدى
رأى البصريين ، والكوفيين . ثم ينهى حديثه قائلاً : والختار هو كذا .
ولن تجد صفحة واحدة تمر إلا وكانت زاخرة بالمسائل النحوية التي يدعمها
بالشواهد القرآنية ، والأحاديث النبوية وسيل من الشعر العربي .

وقد ترك البطيوسى تصنيفه المشهور في النحو وهو إصلاح الخلل الواقع
في الجمل للزجاجي

تراله

« إصلاح الخلل الواقع في الجمل »

من بين كتب النحو التي راجت في الأندلس كتاب الجمل للزجاجي
الذى حملة تلميذه أبو الحسن بن بشر الأنطاكي (٢) فتلغفه الأندلسيون
بالإعجاب ، ودارت حوله شروح ، ومطولات بلغت المائة والعشرون .

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٥ . وهذا الكتاب نقله المقرئ في أزهار الرياض

ج ٣ ص ١٠١ - ١٤٩ .

(٢) إشارة التعيين ورقه ١٩ ومقدمة السهيل ومذهبه في النحو . رسالة دكتوراه .

وكان البطليوسى ممن تناولوا الكتاب بالشرح ففاق شرحه كل الشروح التي تعرضت للكتاب . قال المؤرخون « وأحسن الشروح شرح البطليوسى » وقد سماه « إصلاح الخلل الواقع فى الجمل » ولعل هدفه يتضح من عنوانه . فقد تتبع البطليوسى الخلل الواقع فى الجمل ، وتصدى للرد على كل نقطة رآها . وقد سمى نفسه المفسر لأنه شرح بعض المهمات التي وقعت فى الكتاب ، وقد اشتمل الكتاب على مائة وعشرين مسألة قد تزيد قليلا ، كما أكثر المؤلف من استشهاده بالقرآن ، والحديث ، والشعر القديم دعما لرأيه ، وتقوية لحجته . والكتاب يقع فى مجلد صغير منه نسخة فى دار الكتب المصرية ، وأخرى فى مكتبة ليدن هولندا ، وثالثة بمكتبة برلين (١) .

« الخلل فى أبيات الجمل »

بهذا سماه صاحبه . وهو شرح آخر لجمل الزجاجى تتبع فيه الأبيات وتناولها بالشرح والتحليل ، ونسبة الأبيات ، وإعرابها ، كما تناول فيه المسائل النحوية . والكتاب منه نسخة فى مكتبة بغداد ، وأخرى فى مكتبة برلين .

« مسائل منشورة فى النحو »

أشار بروكلمان إلى أن هذا الكتاب منه نسخة فى مكتبة جاسكى بلندن .

« المسائل والأجوبة »

يشتمل هذا التصنيف على مسائل كان ابن السيد قد سئل عنها فكتب أجوبة وألف من مجموع الأجوبة كتابا ضخما تناول فيه ما ينيف على مائة مسألة . ويبدو أن الكتاب كان بعض مسائل عرضت لابن السيد فى مناقشاته ثم إنه لما أخذت هذه المسائل تعظم وتكثر فكر فى جمعها ، وجعلها فى كتاب غير أنه أدرك أن هناك مزيداً من الأمثلة ستبدو مع الأيام فقال هذا التأليف معرض لزيادة ، ولاتمام له ، ولا انقضاء حتى يشارف العمر

(١) قام الدكتور حمزة الشرقى بتحقيق هذا الكتاب القيم وهو فى بيته إلى الطبع .

الانتهاء ، وقد نشر جزء من هذه المسائل مع رسائل أخرى لمؤلفين آخرين
بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي سنة ١٩٦٤ ، ومن الكتاب نسخة في
مكتبة الاسكوريال برقم ١٥١٨٠ ، وأخرى بعنوان الأسئلة في مكتبة القرويين
برقم ١٢٤٠ ، وثالثة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية .

« شرح سقط الزند »

من أكثر كتب أبي العلاء تداولاً بين المتأدبين وبه اشتهر ، وقد تولى
تفسيره ابن السيد يقول ابن خلكان : وشرح ابن السيد لسقط الزند شرح
عظيم استوفى فيه المقاصد ، وهو أجود من شرح أبي العلاء صاحب الديوان
الذي سماه ضوء السقط ويقول ابن خبير في فهرسته : وشرح ابن السيد بمثل
ذروة نضج الفكر الأندلسي في هذا العصر .

« لزوم مالا يلزم »

من بين ما خلفه أبو العلاء ديوانه « سقط الزند » وديوانه اللزوم .
والسقط شعره في صباه ، واللزوم شعره واتجاهاته إلى كشف الحقيقة .
وديوانه اللزوم تركه صاحبه دون شرح أو تفسير . ولولا ما اختاره
ابن السيد من لزوميات شرحها ، وما شرحه الدكتور طه حسين من اللزوم
لبقى هذا الديوان كما بقي أكثره مبهما في حاجة إلى تفسير .
واللزوميات التي شرحها ابن السيد كانت ضمن شرح سقط الزند ،
ولم يفرد البطلبوسى لها كتاباً خاصاً . فجمعها الدكتور حامد عبد الحميد ،
واختار لها هذا الاسم « شرح المختار من لزوميات أبي العلاء » .

« الاقتضاب في شرح أدب الكتاب »

ذكر أكثر الذين ترجموا لابن السيد كتابه : الاقتضاب في شرح أدب
الكتاب . وقالوا عنه : إنه شرح مفيد جداً . وقد عرفه بعضهم باسم الاقتضاب
في شرح أدب الكتاب ، أو شرح أدب الكاتب

والكتاب يقع في ثلاثة أقسام : (أ) تفسير الخطبة ومراتب الكتاب
(ب) في التنبيه على ما غلط فيه واضح الكتاب . (ج) في شرح أبياته .

شرح الكامل للمبرد :

ذكر هذا الكتاب منسوباً لابن السيد في الخزانة (١) ، وفي شرح الشافية (٢) .
وكثيراً ما ترددت هذه العبارة . قال ابن السيد فيما كتبه على الكامل ،
ورواه ابن السيد فيما كتبه على كامل المبرد .

شرح مثلثات قطرب :

يقع المخطوط في مجلدين أتى المصنف فيه بالعجائب ، وقد دل على
اطلاع عظيم .

وبدار الكتب المصرية نسخة قديمة تلف بعضها ، وبمعهد المخطوطات
صورة جيدة من هذا الكتاب

ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة :

من أهم الكتب اللغوية التي تشهد لصاحبها ببراعة اللغة وتمكنه فيها .
والمخطوط كبير الحجم منه صورة في معهد المخطوطات . وقد صور من
مكتبة راغب باشا (٣) .

التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم :
وهو الكتاب الذي بين أيدينا .

الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة :

حاول ابن السيد في كتابه هذا حل الكثير من المسائل الفلسفية التي
طالما شغلت الفكر الإسلامي بعد أن استمدت أصولها من الفلسفة اليونانية
دون أن يخرج عن حدود الشرع .

(١) انظر الخزانة ج ١ ص ١٠ ، ١٠٠ ، ١٦٥ ، ج ٢ ص ١٨٩ ، ٣٠٠ ،
٤٤٢ - ج ٣ ص ٧٢ ، ٨١ ، ٢٠٧ - ج ٤ ص ٤٢ ، ١٨٤ ، غيرها من المواضع .

(٢) انظر شرح الشافية ص ٣١ ، ٣٥ ، ٧٥ ، ٧٧ .

(٣) نشر الدكتور حمزة التشرقي جزءاً محققاً من هذا الكتاب في مجلة كلية اللغة العربية
بالمريوط .

الامم والمسمى :

كتاب صغير مصور في معهد المخطوطات من مكتبة الاسكوريال .

إصلاح المنطق :

ذكره البغدادي في الخزانة . قال : قال ابن السيد في شرح اصلاح المنطق . ديار من الدار .

أبيات المعاني :

روى البغدادي في الخزانة « والبيتان نسبهما ابن السيد في أبيات المعاني وترددت عبارات كثيرة تشهد بتصنيفه للكتاب .

شرح فصيح لعلب (١) :

نقل منه صاحب التصريح . قال : قال البطليني في شرح الفصيح عن سيويه .

شرح ديوان المتنبي (٢) :

قال ابن خلكان : سمعت به سنة ٦٥١ هـ ولم أقف عليه . وقيل : إنه لم يخرج من المغرب .

الانتصار بمن عدل عن الاستبصار :

كتاب لغوي رد فيه المؤلف على ابن العربي الأخطاء التي وجهها إليه في شرح ديوان أبي العلاء ومنهج المؤلف في هذا الكتاب كنهجه في إصلاح

(١) كشف الظنون ص ١٢٧٣ .

(٢) المصدر السابق ٨١٢ .

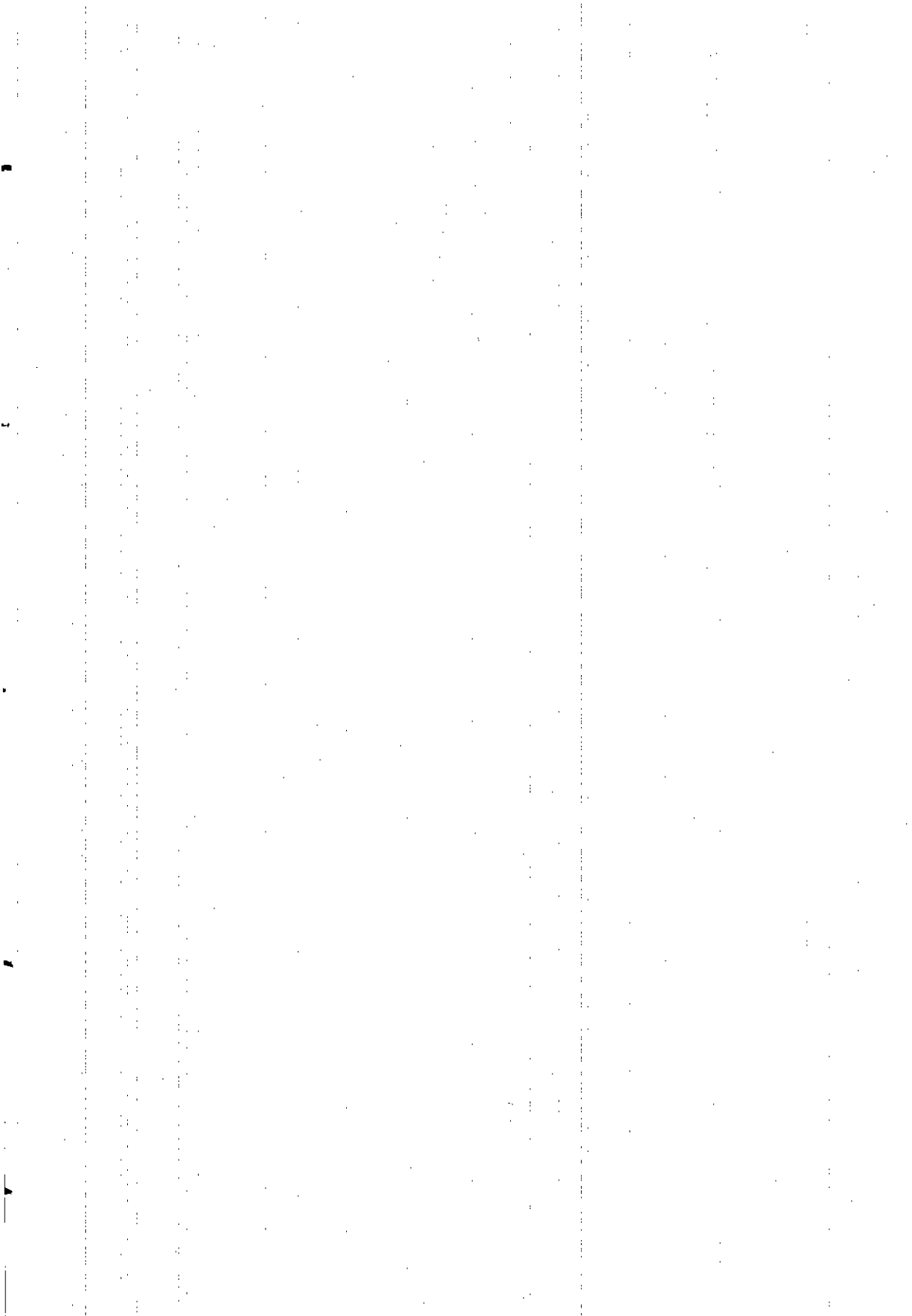
الخلل ، وشرح أدب الكتاب فقد بدأ بذكر المسألة التي اعترض عليها ابن
العربي . ثم أعقبها بالرد عليه مظهراً أخطاء ابن العربي نفسه .

شرح الجمل في النحو للبرجاني المتوفى سنة ٤٧٤ هـ :

فقد أشار إليه صاحب كشف الظنون (١) .

وبعد : فهذه عجالة سريعة استطعنا من خلالها أن نبرز صاحب هذا
التصنيف الذي توزعت اهتماماته بين اللغة والأدب وبين العلوم الإسلامية

(١) كشف الظنون ص ٦٠٢ .



١٧١

١٧١

مكتبة دار الحكمة بدمشق - رقم ترخيص ٤٦

التي هي على الترتيب التي اصبحت الوثائق بين المسلمين في كل عام
 من قبل السيد البلاوي في
 رواية ابو جعفر ابراهيم بن محمد المنقذ من ابراهيم الشيخ اللحي
 اوله: شبرا الذي هو الشيخ ابراهيم بن محمد المنقذ من ابراهيم الشيخ اللحي
 عليا بن الواسطية وقرابة علي بن محمد بن محمد الكوفي بن محمد بن علي بن
 قال: قرأه على الفقيه القاضي... من الشيخ الهادي بن محمد بن محمد بن علي بن
 عشرة وعشرين سنة... قال: الفقيه شيخ النعمان
 وادعوه: وانا استعير الله من ابي له عرش وادعاه عونا على ما تعبد به
 في مرضه الذي عثره ولومعه من سواه

سنة ١٠٠٠ م في شهر ربيع الثاني سنة ٥٥٤ هـ كما نقلها قراءة في
 السنة (الذرية) ثم سماه على نسخة الكفول سنة ٥٥٤

٦٢ ورقة

١٥ سطرا

١٦٧١٤ م

هذا الكتاب...
 في سنة ١٠٠٠ م...
 في سنة ١٠٠٠ م...
 في سنة ١٠٠٠ م...

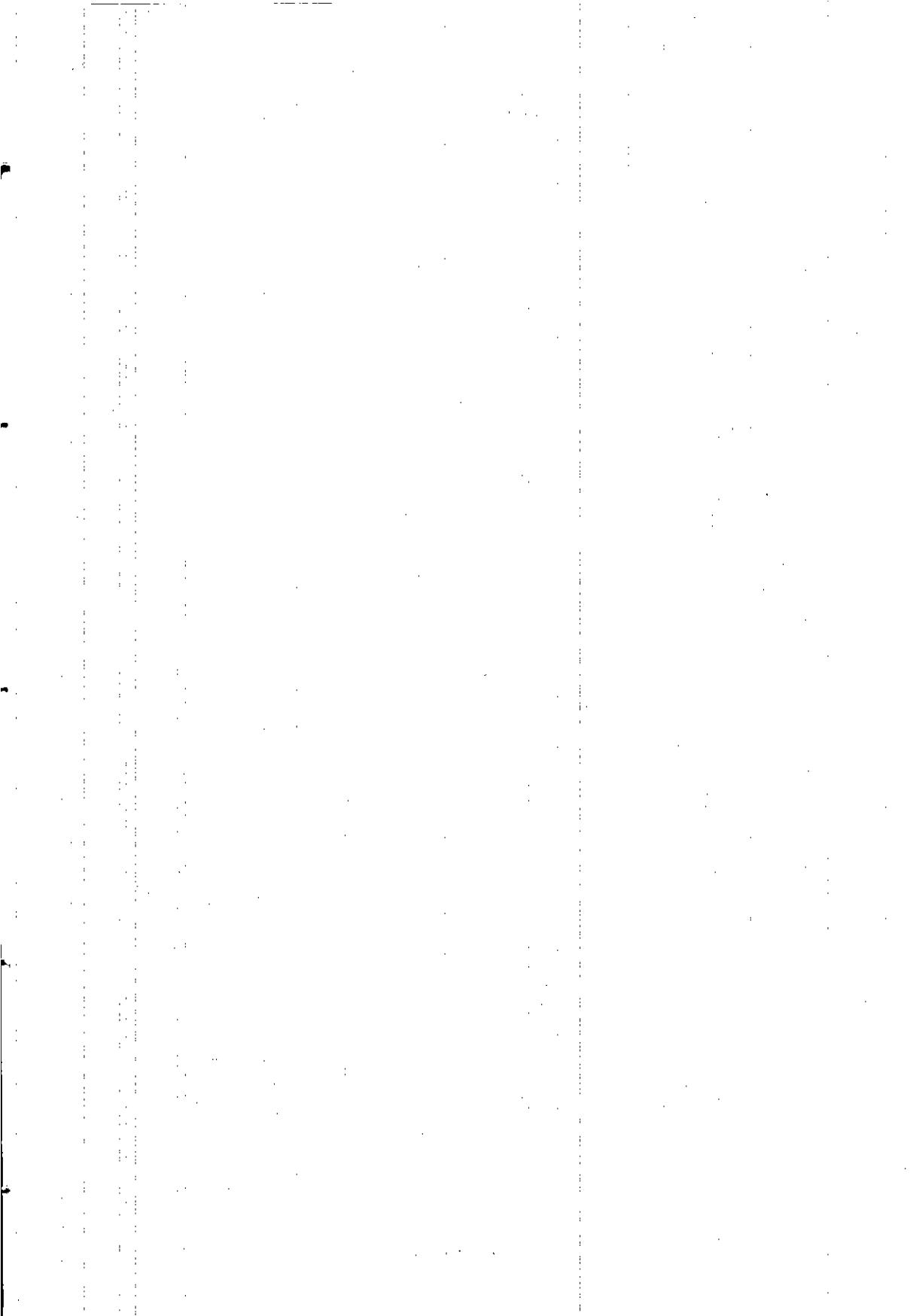
١٧١

التبعية على الانساب التي هي
 في الاختلاف بين المسلمين في ابراهيم
 وما هم بهم واعتقاد انهم من
 القلبية الفاضل انهم من
 محمد بن السيد القطيب بن محمد الله
 رواه ابو اسحق ابراهيم بن محمد القطيب
 ابراهيم التميمي اللحي

١٦٧١٤ م

هذا الكتاب...
 في سنة ١٠٠٠ م...
 في سنة ١٠٠٠ م...
 في سنة ١٠٠٠ م...

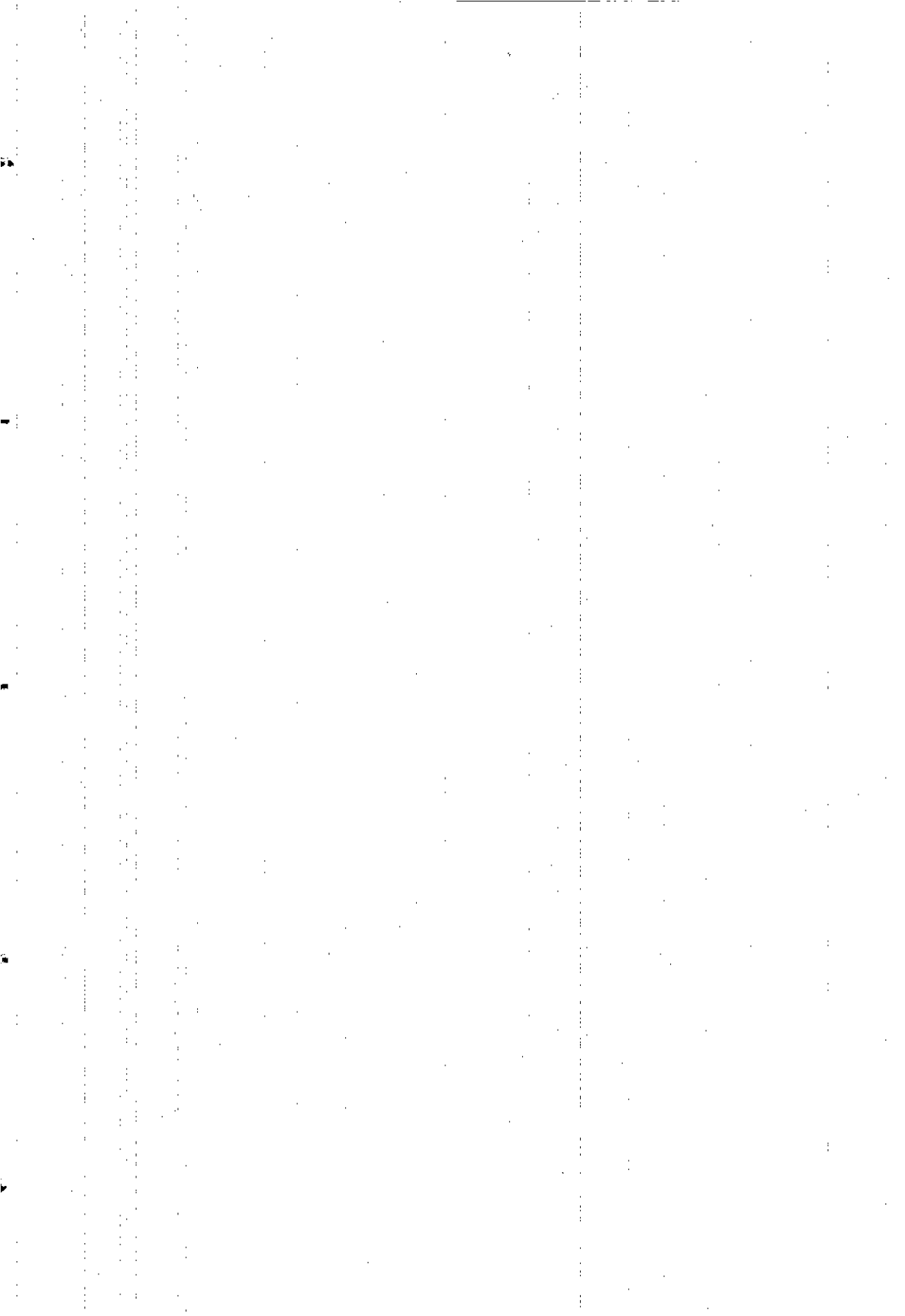
على هذه الصفحة صورة لعنوان الكتاب وعلما بعض الاجازات وبيانات مكتبة غازف حكمت بالمدينة المنورة

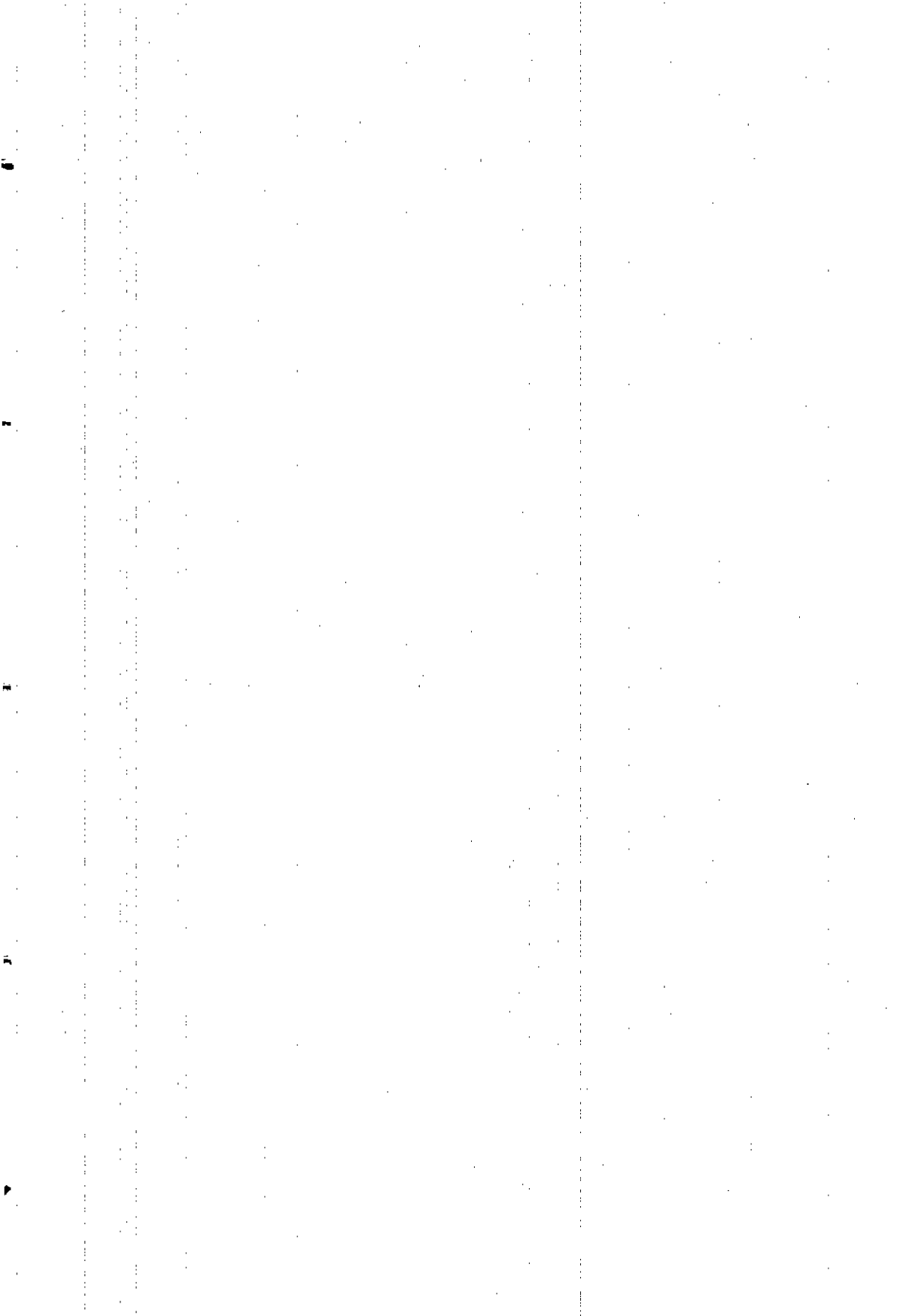


الصفحة الأولى من النسخة التي رواها إبراهيم بن محمد بن محمد بن المتقن عن المؤلف وقرأها عليه

على الذي ولا يكون من الجاهل به وبهما لطف بيته
 عليا في هذا البلاغ الموجود في التفسير الزكوز والنظر
 من الحكمة الباطنة وأنه جعله بصري لا دلالي على صحة
 البحث الذي انكره من لفظة في لسانهم وكتبوا ربوا
 لغاية فقال وقوله الحق وعذرة القذوق وانتموا بالله
 هذا بما نهرنا لا يعتد الله من موت بلا وعدا عليه حكما
 ولكن أكثر الناس لا يعلمون لبيبي لهم الذي يقتلونه فيه
 ولعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين وهذه الآية
 لحد ما تضمنته القرآن العزيز من الأدلة البرهانية على صحة
 البحث ووجه البرهان التناقض برهانه الآية التي لا يقربها
 حتى يجلدوا إلا العالمون ولا يشك في ما مضى من هذا إلا
 المستصبرون أن الخلاف التاريخي لا يوجد في الخلاف
 بل هو آتية وإنما غلطت الطرق الموصلة إليه والفاصل
 الركنية عليه والحق في نفسه ولقد قاتلنا بئس إماما هنا
 حقيقة موجودة لا محالة وكان لا يسيل لنا في جانتنا

حسبنا ما نرى في هذا الكتاب من الفصاحة والجزالة
 الغامض في ذلك عند أي عليه وهو يتطرق في أصله الاستدلال
 بسنة الله الرحمن الرحيم رب زدني علما
 لحننا القيمة الناصب الواسع في فهمنا التفرقة به
 التي التفتي واه علينا الاستدلال بقرآنه عليه في شهر رمضان
 العظم سنة ثمان وخمسين لله في قرآننا على الفقيه النافذ في
 عبادة الله بربنا في الطلوع في صهي الله عنه في جدادنا
 سنة ثمان وخمسين لله في سنة في اللذة في شيخنا
 وسورع القسم والنفرد بالقدم والبر والتسوية وموجبه بعد العدم
 العظام الهامة والرم والحق العباد والشمخ حجة هانت في
 فهمنا عقولنا في الحظ والحظ الاحتمال من اذنا في واهنا
 بقدرته والذفاضنا في حبه حتى انزلها العباد في الصلوة والراز
 تنفقا لشكنا في حبه على غير مثال حكاية الازالة والاختلاف
 مخالف في الصلوة والعبادة في ذلك ما في الواقع الامان في حالنا
 من قائلنا من الفاضل التواضع والادب والفضل والبر والراز
 لا كانت الغائبة والحق في لاله والحق في لاله في ذلك
 وفيه انما هو في غير ما يعرفه العباد من لاله والحق في لاله





بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أخبرنا القاضي الفقيه أبو محمد عبد الله بن
القاضي أبي الفضل عبد الرحمن بن يحيى بن إسماعيل
العثماني رضي الله عنه قال :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ . رب زدني علما . أخبرنا
الفقيه الفاضل أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المتقن
ابن إبراهيم اللخمي السبتي ، قدم علينا ثغر الإسكندرية
وقرأته عليه في شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وعشرين
وخمس مائة . قال :

قرأت على الفقيه الحافظ أبي محمد عبد الله بن
السيد البطليوسي - رضي الله عنه - في جمادى الأولى
سنة ست عشرة وخمس مائة ببلنسية قال :

الحمد لله مسبغ النعم ، ومُسَوِّغ القسَم ، والمنفرد
بالمَقْدَم ، وبارئ التَّسَم ، وموجده بعد العدم ، وباعث
العظام الهامدة والرمم^(١) ، والمخالف بين الهيات والشم^(٢) ،

(١) الرمم مفردا رمة . وهي العظم البالي .

(٢) الشم مفردا : شيمة وهي الطبيعة والخلق والسجية .

حِكْمَةٌ تَاهَتْ فِي فَهْمِهَا عَقُولُ ذَوِي الْحِكْمِ . خَلَقَ الْأَجْسَامَ ^(١)
 مِنْ أَضْدَادٍ مُتَنَافِرَةٍ وَابْتَدَعَهَا ^(٢) بِقُدْرَتِهِ ، وَأَلْفَ نِقَائِضِهَا
 بِحِكْمَتِهِ ، حَتَّى أَبْرَزَهَا لِلْعِيَانِ ، مُتَغَايِرَةَ الصُّورِ
 وَالْأَلْوَانِ ، مُتَّفِقَةً ^(٣) الْأَشْكَالِ ، مُخْتَرَعَةً عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ ،
 وَخَالَفَ بَيْنَ الْأَرَاءِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ ، كَمَا خَالَفَ بَيْنَ الصُّورِ
 وَالْمَهْيِثَاتِ ، وَأَخْبَرْنَا بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ وَاضِحٍ ^(٤) الْآيَاتِ
 فَقَالَ ^(٥) عَزَّ مِنْ قَائِلٍ :

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ
 أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ) ^(٦) .
 وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ : (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ
 رَحِمَ رَبُّكَ . وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) ^(٧) . وَبَيَّنَّ لَنَا أَنَّهُ قَدِيرٌ
 عَلَى غَيْرِ مَا أَجْرَى بِهِ الْعَادَةَ ^(٨) فَقَالَ :

(١) فِي بِ الْإِنْسَانِ .

(٢) فِي بِ ابْتَدَعَهَا دُونَ وَآوِ الْعَطْفِ وَكَذَا فِي ط .

(٣) فِي بِ مُتَّفِقَةً وَكَذَا فِي ط .

(٤) فِي طِ وَاضِحِ الدَّلَالَاتِ .

(٥) فِي طِ وَقَالَ .

(٦) الرُّومِ : آيَةٌ ٢٢ .

(٧) هُودِ آيَةٌ : ١٩ وَبَعْضُ ١٨ وَتَمَامُ الْآيَةِ (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ

النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً : وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ . وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) .

(٨) فِي بِ أَجْرَى الْعَادَةَ بِهِ وَكَذَا فِي ط .

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْجَاهِلِينَ) (١)

ونبئنا أَلطفَ تنبيهه على ما في هذا الخلاف الموجود
في البشر، المرْكوز (٢) في الفِطر من الحكمة البالغة ، وأنه
جعلهُ إحدى الدلائل على صحة البعث ، الذي أنكره من
أَلحدَ في أسمائه ، وكفر بسوابغ نعمائه ، فقال - وقولهُ
الحقُّ ، ووعده الصدقُ - (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ . بَلَىٰ (٣) وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا . وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ
فِيهِ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) (٤) .

وهذه الآية أحدُ ما تَضَمَّنَه القرآن العزيز من الأدلة
البرهانية على صحة البعث ، ووجه البرهان المنفك من
هذه الآية التي لا يَقْدُرُها حق قدرها إلا العالمون ،
ولا يتنبه لغامض سرها إلا المستبصرون . أن اختلاف

(١) الأنعام : ٣٥ .

(٢) المرْكوز : المثبت . من ركز الشيء في الأرض بركزه إذا غرزه .

(٣) في الأصل : بلا بالألف .

(٤) النحل : ٣٨ ، ٣٩ .

النَّاسُ^(١) فِي الْحَقِّ لَا يُوجِبُ اخْتِلَافَ الْحَقِّ فِي نَفْسِهِ ،
وإنما تختلفُ الطُّرُقُ الموصلةُ إليه ، والقياساتُ المركبةُ
عليه ، والحقُّ في نفسه واحد . فلما ثبت أنَّها هنا حقيقةٌ
موجودةٌ لا مَحَالَةٌ ، وكان لا سبيلَ لنا في حياتنا هذه
إلى الوقوفِ عليها وقوفاً يوجبُ لنا الائتلافَ ، ويرفعُ
عنا الاختلافَ - إذ كان الاختلافُ مركزوزاً في فِطْرِنَا ،
مطبوعاً في خِلْقِنَا ، وكان لا يمكنُ ارتفاعه وزواله
إلا بارتفاعِ هذه الخلقَةِ ، ونَقْلِنَا إلى جِبِلَّةٍ^(٢) غيرِ
هذه الجِبِلَّةِ - صَحَّ ضرورةً أنَّ لنا حياةً أُخرى غيرِ هذه
الحياةِ ، فيها يرتفعُ الخلافُ والعنادُ ، وتزولُ من
صدورنا الضغائنُ الكامنة والأحقادُ ، وهذه هي الحالُ
التي وعدنا اللهُ^(٣) بالمصيرِ إليها فقال :

(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ
مُتَقَابِلِينَ)^(٤) .

(١) في ط اختلاف المختلفين .

(٢) الجبلَةُ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام المفتوحة : الخلقَةُ .
يقال جبل اللهُ الخلقَ : خلقهم ، وجبله على الشيء طبعه عليه . وجبلته
بكسر الجيم وسكون الباء : أصله وطبيعته .

(٣) في ب وط زيادة تعالى .

(٤) الحجر : ٤٧ .

ولا بُدُّ من كَوْن ذلك بالاضطرار ، إذ كان وجود
الخلاف يقتضى وجودَ الائتلاف ، لأنه ضرب ونوع
من المضاف . وكان لابد من حقيقة . وإن لم نقل ذلك
صرنا إلى مذهب السُوفسطائية في نفي الحقائق .

فقد صار الخلاف الموجود في العالم - كما ترى -
أوضح الدلائل على كون^(١) البعث الذى ينكره المنكرون ،
وينازع فيه الملحدون^(٢) .

فسبحان من أودع^(٣) كتابه العزيز تصريحاً وتلويحاً
كل لطيفة لمن قدره حقَّ قدره ، ووفق لفهم غوامض
سيره .

وصلى الله على من هدانا به من الضلالة ، وعلمنا
بعد الجهالة ، وإياه نسأل أن يوفقنا لاقتفاء آثاره ،
حتى يُجلِّنا دار الكرامة في جواره .

وإني لما رأيت الناس قد أفرطوا في التأليف ، وأملوا
الناظرين بأنواع^(٤) التصنيف ، في أشياء معروفة ، وأساليب

(١) أى وجود .

(٢) فى ط الملحدون الكافرون .

(٣) فى ط أودع لنا .

(٤) فى ط فى أنواع .

مألوقة^(١) ، صرفت خاطري إلى وضع كتاب في أسباب
الخلاف الواقع بين الأمة ، قليل النظير ، نافع للجمهور ،
عجيب المنزع ، غريب المقطع ، يشبه المخترع وإن كان
غير مخترع ، ينتمى إلى الدين بأدنى نسب ، ويتعلق
من اللسان العربي بأقوى سبب ، ويخبر من تأمل غرضه
ومقصده بأن الطريقة الفقهية مفتقرة إلى علم الأدب ،
مؤسّسة على أصول كلام العرب .

وَأَنَّ مَثَلَهَا وَمِثْلَهُ قَوْلَ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوَلِيِّ :

فَالْأَيُّهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ أَخُوها غَدَّتْها أُمُّهُ بِلَبانِها^(٢)

(١) في ط زيادة « يغنى بعضها عن بعض » .

(٢) قبل هذا البيت :

دع الخمر يشربها الغواة فإنني رأيت أباها مغنيا بمكانها

يخاطب أبو الأسود مولى له كان يحمل تجارة له إلى الأهواز ، وكان
يكثر من الشراب ، فاضطرب أمر التجارة فقال له هذين البيتين يحضه على
شرب النبيذ وترك الخمر للإجماع على تحريمها وجعل الزبيب آخاً للخمر
لأن أصلهما الكرمة ، واستعار اللبان لما ذكره من الأخوة ، واللبان
للأدميين واللبن لغيرهم ولذلك يقال هو أخوه بلبان أمه ولا يقال بلبن أمه ،
وقد يكون اللبان جمع لبن في غير هذا الموضع . هكذا قال الأعمى .
وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو من رجال البصرة كان علوى الرأى ومن
أسس علم العربية وهو أول من قام بضبط المصحف توفي سنة ٦٩ هـ .

شواهد سيبويه ١-٢١ خزانة الأدب ٢- ٤٢٦ .

وليس غرضي في كتابي هذا أن أتكلم في الأسباب التي أوجبت الخلاف الأعظم بين من سلفَ وخلفَ من الأمم ، وإنما غرضي أن أذكر الأسباب التي أوجبت الخلاف بين أهل ملتنا الحنيفية ، التي جعلنا الله من أهلها ، وهدانا إلى واضح سبلها ، حتى صار من فقهاءهم المالكي^(١) والشافعي^(٢) والحنفي^(٣) ومن ذوى مقالاتهم

(١) ب و ط زيادة : والأوزاعي .

(١) والمالكي : نسبة إلى الإمام مالك بن أنس فقيه الحجاز ، وكتابه الموطأ من أجل الكتب حديثاً وفقها . قال الإمام الشافعي عنه : إذا ذكر العلماء فمالك النجم ، وما أحد أمن على من مالك توفي سنة ١٧٩ هـ زمن هارون الرشيد . انظر طبقات المالكية .

(٢) الشافعي نسبة إلى الإمام محمد بن ادريس الشافعي ينهى نسبه إلى قريش ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ وحمل إلى مكة وبها حفظ القرآن وتلقى العلم وحفظ موطأ مالك وعرضه عليه في المدينة ، ورحل إلى بغداد عدة سنوات وفيها ألف مذهبه القديم وأخيراً رحل إلى مصر سنة ٢٠٠ هـ وبها توفي سنة ٢٠٤ هـ وألف كتاب الأم في الفقه ورسالة في الأصول .

انظر شذرات الذهب ٢ - ١٠ وحسن المحاضرة وطبقات الشافعية .

(٣) الحنفي : نسبة إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت التيمي الكوفي كان جده مملوكاً لبني تيم الله بن ثعلبة ، ثم أعتق فصار ولاؤه لهم ولد عام ٨٧٠ هـ وهو فقيه العراق وإمام أهل الرأي تفقه على حماد بن أبي سليمان قال الشافعي : الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة توفي سنة ١٥٠ هـ .

انظر تاريخ بغداد ١٣ - ٣٢٤ .

والأوزاعي : نسبة إلى إمام أهل الشام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، -

الجبري^(١) والقدرى^(٢) والمشبه^(٣)

= والأوزاع بطن من همدان ولذا يقال إنه عربي يمني ولد بعلبك ، وذهب إلى الإمامة وسمع من شيوخها ، ورحل إلى مكة ، وأخذ عن عطاء بن أبي رباح وابن شهاب الزهري ثم رحل إلى البصرة وسمع من شيوخها ثم نزل دمشق فيروم وتوفي سنة ١٥٧ هـ . وكان في الفقه أميل إلى أهل الحديث وكان يقول : اصبر على السنة وقف حيث وقف القوم وليسعك ما وسعهم .
ضحى الإسلام . ج ٢ ص ٩٨

(١) الجبري منسوب إلى طائفة الجبرية ، وقوام مذهبهم نفي الفعل حقيقة عن العبد إذ لا استطاعة له . وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار ، وإنما يخلق الله الأفعال فيه على حسب ما يخلق في الجمادات ، وتنسب إليه الأفعال مجازاً . ويظهر من تاريخ هذه النحلة أن أصل دعائها من اليهود والفرس ، واعتنقها وتبناها جهم بن صفوان زعيم الجهمية . والقول بالجبر مناف للشرائع ودعوة الرسل ، والثواب والعقاب ، والأمر والنهي .

انظر شفاء الغليل لابن القيم . والملل والنحل للشهرستاني .

(٢) والقدرى : منسوب إلى القدرية ، وهم طائفة مذهبهم على النقيض من مذهب الجبرية يعتقدون أن كل فعل للإنسان إنما هو بإرادته المستقلة عن إرادة الله ، نفوا عن الله القدر بمعنى العلم والتقدير ، كما نفوا الإرادة الأزلية والعلم الأزلي القديم ، وسموا قدرية لأنهم نفوا القدر عن الله وأثبتوه للعبد ، فسموا لذلك قدرية إذ جعلوا كل شيء لقدرة الإنسان وإرادته . وكان زعيم الطائفة في العراق معبدا الجهني وفي الشام غيلان الدمشقي .

(٣) المشبه : المشبه هم الذين شبهوا ذات الله تعالى في أوصافه بصفات الحوادث وقالوا إن الله يرى يوم القيامة مكيفا محدوداً ، وقالوا يد الله يد جارحة ، وله أعضاء من يد ورجل ورأس ويقال لهم المحسمة . وأجازوا على الله الملازمة والمصافحة .

الملل والنحل ١ - ١٤٩ ، تاريخ الفرق الإسلامية ص ١٩٨

والجَهْمِيُّ^(١) ، وَمِنْ شِيعَتِهِمُ الزَّيْدِيُّ^(٢) ،
والرَّافِضِيُّ ، والسَّبْيِيُّ^(٣) ، والغَرَابِيُّ^(٤) ، والمُخَمِّسُ^(٥) ،

(١) الجهمي : منسوب إلى جهم بن صفوان رأس فرقة من الجبرية - وقد تقدم ذكره - ظهرت بدعته بترمز وقلته مسلم المازني بمرو في آخر عهد بني أمية وكان يقول : لا يجوز أن يوصف البارئ بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي تشبيها فني كونه حيا عامسا وأثبت كونه قادرا فاعلا خالقا لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالفعل والقدرة والخلق .
انظر الملل والنحل ومقالات الإسلاميين .

(٢) الزيدي : الزيدية فرقة من الشيعة تنسب إلى زيد بن علي بن زين العابدين ، وقد خرج علي هشام بن عبد الملك فقتل وصلب . وهذه الفرقة أقرب طوائف الشيعة إلى الجماعة الإسلامية ، فهم لم يقدسوا الأئمة ، ولم يؤطهروهم ، بل جعلوهم كسائر الناس ، ولكنهم أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان المتقدمون منهم يجوزون إمامة المفضول ، ويعترفون بإمامة الشيخين أبي بكر وعمر ثم جاء المتأخرون منهم فقررُوا أنه لا يجوز إمامة المفضول ، ورفضوا إمامة الشيخين رضي الله عنهما وهم الذين يسمون : الرافضة . والمذهب الزيدي قائم الآن باليمن وهو أشبه بمذهب المتقدمين .

(٣) السبئي : السبئية فرقة من غلاة الشيعة زعيمها عبد الله بن سبأ . كان يهودياً أسلم أيام عثمان رضي الله عنه . وتنقل في بلاد المسلمين يثير الفتن ، واستقر في مصر وكان ممن حرض على قتل عثمان ، وكان يقول إن علياً وصي محمد ، كما كان يقول بالرجعة ، وأما قتل علي قال : إنه لم يقتل ، وإنما صعد إلى السماء ، وإن الرعد صوته ، ومن السبئية من غالى وقال : إن الإله حل في علي

انظر الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي .

(٤) الغرابي : نسبة إلى فرقة الغرابية وهم طائفة من غلاة الشيعة قالوا : إن الرسالة كانت لعل ولكن جبريل اشتبه عليه الأمر فأخطأ ونزل على محمد صلى الله عليه وسلم لأن علياً كان يشبهه كما يشبه الغراب الغراب . ولهذا سموا غرابية
انظر الفصل لابن حزم .

(٥) الخمسة : فرقة من الشيعة من الفرق المنحرفة عن الحق زعمت أن -

والمحمدي^(١) وغير هؤلاء من الفرق الثلاث والسبعين التي نصر عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، ولا غرضي أيضاً^(٢) أن أخصر أصناف المذاهب والآراء ، وأناقص ذوى البدع المضللة^(٣) والأهواء . لأن هذا الفن من العلم قد سبق إليه ، ونبه في مواضع كثيرة عليه .

وإنما غرضي أن أنبه على المواضع التي منها نشأ الخلاف بين العلماء حتى تباينوا في المذاهب والآراء . وأنا أسترشد الله إلى سبيل الحق ، وأستهديه ، وأسأله العون على ما أحاوله وأنويه ، وأرغب إليه في أن يعصمني من الزلل فيما أقوله وأدعيه^(٤) إنه ولي الطول ومُسَدِّدِهِ ، لا رب سواه ولا معبود حاشاه .

محمدأ صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعليا والحسن والحسين شيء واحد لا فضل لواحد منهم على باقيمهم وأن الروح تجرى بينهم بالسوية . ومن عجيب أمرهم أنهم زعموا أن فاطمة لم تكن امرأة وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالناء . راجع شرح المختار من لزوميات أبي العلاء ١٦٦ .

(١) المحمدي : المحمدية فرقة من الشيعة مالت إلى تثبيت أمر محمد بن عبد الله ابن الحسن ، وإلى القول بإمامته وكانوا من الرافضة .

مقالات الإسلاميين ١-٩٩

(٢) كلمة أيضا ساقطة في ط

(٣) في ط المضلة .

(٤) في ب و ط وأحكيه .

ذكر الأسباب الموجبة للخلاف

ك ه ه ه ؟؟

أقول - وبالله العِصمة - إن الخلاف عرض لأهل
ملتنا من ثمانية أوجه . كل ضرب من الخلاف متولد
منها ومتفرع عنها :

الأول منها : اشتراك الألفاظ والمعاني .

الثاني : الحقيقة والخيال .

الثالث : الإفراد والتركيب .

الرابع : الخصوص والعموم .

الخامس : الرواية والنقل .

السادس : الاجتهاد فيما لا نص فيه .

السابع : النسخ والمنسوخ .

الثامن : الإباحة والتوسع .

ونحن نذكر لكل نوع من هذه الأنواع أمثلة تنبه قارى كتابنا هذا
على بقيتها (١) إذ كان استيفاء جميع ذلك من المتعذر على من حاوله وبالله
التوفيق .

(١) هكذا في ب ، وط . وفي أ على جزء منها .

الباب الأول

في الخلاف العارض

من جهة اشتراك الألفاظ
واحتمالاتها للتأويلات الكثيرة

هذا الباب ينقسم^(٢) ثلاثة أقسام :

- أحدها : اشتراك في موضوع اللفظة المفردة^(٣) .
- والثاني : اشتراك في أحوالها التي تعرض لها من إعراب وغيره .
- والثالث : اشتراك يوجبه تركيب الألفاظ وبناء بعضها على بعض .

فأما الاشتراك العارض في موضوع اللفظة المفردة
فنوعان :

- اشترك يجمع^(٤) معاني مختلفة متضادة ، (واشترك
يجمع معاني مختلفة غير متضادة)^(٥)

(١) في ط واحتمالها .

(٢) في ط ينقسم إلى ثلاثة .

(٣) في ط الواحدة .

(٤) في ط يجمع بالباء الموحدة .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ب

الأول^(١) كالأقرء ، ذهب الحجازيون من الفقهاء إلى أنه الطهر ، وذهب العراقيون إلى أنه الحيض ، ولكل واحد من القولين شاهد من الحديث واللغة .

أما حجة الحجازيين من الحديث فما روى عن عمر^(٢) وعثمان وعائشة وزيد بن ثابت رضى الله عنهم أنهم قالوا : الأقرء : الأطهار .

وأما حجتهم من اللغة فقول الأعشى^(٣) :

وفي كلِّ عامٍ أنتَ جاشمٌ غزوةٍ
تشدُّ لأقصاها عزيماً عزائكا

(١) في ط فالأول .

(٢) يبدو أن هنا سقطا والصواب ابن عمر لأن هذا هو الذى ورد فى كتب السنة والفتحة فى بداية المجتهد ٢ - ٨٩ : اختلف فى الأقرء فقال قوم الأطهار ، وقال آخرون الحيض فن قال الأطهار من فقهاء الأمصار مالك والشافعى وجمهور أهل المدينة وأبو ثور وجماعة . ومن الصحابة ابن عمر وزيد بن ثابت ، وعائشة .

ومن قال الحيض من فقهاء الأمصار : أبو حنيفة والثورى والأوزاعى وابن أبى ليلى وجماعة ومن الصحابة على ، وعمر بن الخطاب ، وابن مسعود ، وأبو موسى الأشعري .

(٣) الأعشى هو أبو بصير ميمون بن قيس بن ربيعة لقب بالأعشى لضعف بصره نشأ فى منفوحة من قرى اليمامة وأدرك الإسلام ولم يسلم . واتصل بالملوك والأمراء . وكان يلقب بصناجة العرب . أنظر الديوان ط بيروت .

مُورِثَةٌ مَالاً وَفِي الْحَيِّ رَفْعَةٌ

لِمَا ضَاع فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا (١)

وأما حجة العراقيين من الحديث فقول النبي صلى الله عليه وسلم للمستحاضة: (اقعدى عن الصلاة أيام أقرانك) (٢)

وأما حججهم من اللغة فقول الراجز:

يَارُبُّ ذِي ضِغْنٍ عَلِيٌّ قَارِضٌ

لَهُ قُرُوءٌ (٣) كَقُرُوءِ الْحَائِضِ (٤)

(١) هذان البيتان من قصيدة يمدح بها هوذة بن علي الحنفي . وجائتم من جشم الأمر يجمسه تكلفه على مشقة . والغزيم ، والغزم : الجدد . والغزاء : الصبر . والقروء جمع قرء يقال للحيض والطمهر ، والمراد هنا الطهر أى شغلة الغزو عن النساء في طهرهن فلم يغشهن . وفي بعض الروايات : وفي الحمد رفعة .

انظر الديوان ٦٧ ، الدرر اللوامع ٢ - ١٩٤ المختص لابن جني ١ - ١٨٣ .

(٢) هذا الحديث ورد في مسند أحمد ٦ - ٤٢٠ بلفظ إن فاطمة بنت حبيش أتت النبي صلى الله عليه وسلم فشكت إليه الدم فقال : إن ذلك عرق فانظري ، فإذا أتاك قروك فلا تصلى . وفي رواية لتقعد أيام أقرانها ثم لتغتسل . وفي النسائي : تجلس أيام أقرانها .

انظر الدارمي ١ - ٦٩٧ والمسند أيضاً ٦ - ٣٠٤ .

(٣) في ب قرو . وهي رواية .

(٤) أنشده ابن الأعرابي كما في كتاب الحيوان للمباض ٦ - ٦٦

يارب مولى حاسد مباحض - علي ذي ضغن وضب قارض - له قروء كقروء الحائض .

وقد حكى يعقوب^(١) بن السكيت وغيره من اللغويين
أن العرب تقول :

أَقْرَأَتِ الرَّأَةَ إِذَا طَهَّرَتْ ، وَأَقْرَأَتْ إِذَا حَاضَتْ .
وذلك أن القُرءَ في كلام العرب معناه : الوقت^(٢) ،
فلذلك صالح للطهر وللحيض معاً ويدل على ذلك قول
الشاعر :

شَنَيْتُ الْعَقْسَرَ عَقْرَ بَنِي شَلِيلٍ
إِذَا هَبَّتْ لِقَارِئِهَا الرِّيحُ^(٣)

= ويروى : جاهد بدل حاسد وفارض بدل قارض . والفارض المسن
من الإبل . يقول : لعداوته أوقات تهيج فيها مثل وقت الحائض . وقال
الجاحظ كأنه ذهب إلى أن حقهه يخبو تارة ثم يستعر ثم يخبو ثم يستعر .
ويقول : شهبوا الحقد الكامن في القلب الذي يسرى ضرره ، وتدب عقاربه
بالضب ، فسموا ذلك الحقد ضبا . ويروى قروو بتسهيل الهمزة وإدغام
الواو فيها .

(١) هو يعقوب بن إسحاق المعروف بالسكيت ، فالسكيت لقب أبيه
إسحاق ، كان يؤدب الصبيان مع والده ، وأخذ النحو عن البصريين والكوفيين ،
وكان عالماً بالقرآن وبنحو الكوفيين ، وهو من أعلم الناس باللغة والشعر
توفي سنة ٢٤٤ هـ .

انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٢٠٢ .

(٢) انظر لسان العرب (قرأ) وقرأ يجمع على أقرأ وأقروء وأقروء
ولكن سيبويه أنكر أقرأ ، وقال : استغنوا عنه بفعول وهو قروء .

انظر سيبويه ٢ - ١٧٩ وهذا يخالف ما ورد في الحديث : أقعدى عن
الصلاة أيام أقرأئك .

انظر سيبويه ج ٢ ص ١٧٩

(٣) رواية اللسان كرهت ، العقر بدل شئنت . والعقر موضع .
ولقارئها أى وقت هبوبها ويروى لقارئها بالهمزة . قال أبو الفتح : يقال =

وقد احتج بعض الحجازيين لقولهم بقوله تبارك

وتعالى : (ثلاثة قروء)^(١) فأثبت الهاء في ثلاثة

فدل ذلك على أنه أراد الأظهار ، ولو أراد الحيض لقال

ثلاث قروء ، لأن الحيض^(٢) مؤنثة . وهذا لا حجة فيه

عند أهل النظر . إنما الحجة لهم فيما^(٣) قدمناه .

وإنما لم تكن فيه حجة لأنه لا ينكر أن يكون القروء

لفظاً مذكراً يُعْنَى به المؤنث ، ويكون تذكير ثلاثة

حملاً على اللفظ دون المعنى ، كما تقول العرب : جاعفني

أعطيته ما سأل لطلبه أى عند طلبه أو مع طلبه . وفعلت هذا لأول وقت
أى عند أول وقت أو معه ، وفي التاريخ لحمس خلون أى عند خمس أو مع
خمس ، ومنه قول الشاعر شئت العقر البيت : أى عند وقتها ، ومن ذلك
قوله تعالى : لا يجليها لوقتها إلا هو .

وشليل بضم الشين فى المحتسب لابن جنى ، ولكنه فى الأصل وفى اللسان
بفتح الشين ، وهو جد جرير بن عبد الله البجلي . والشاعر هو مالك
ابن الحارث الهدلى .

انظر اللسان (عقر وقرأ) أشعار الهدليين ٣ - ٨٣ ، المحتسب لابن جنى

٢ - ٢٧٢ .

(١) البقرة : ٢٨٨ وتام الآية : (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة

قروء) .

(٢) فى ب و ط الحيضة .

(٣) فى ب و ط ما قدمناه .

ثلاثة أشخُصٍ وهم يَعْنُونَ نساءً^(١) ، والعرب تحمل الكلام تارة على اللفظ وتارة على المعنى ، ألا ترى إلى قراءة القراء : « بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي »^(٢) بكسر الكاف وفتحها^(٣)

ووقوع الأسماء على المسميات في كلام العرب ينقسم
أربعة أقسام :

(١) في حاشية الصبان ٤-٦٣ نقل السيوطي عن ابن هشام وغيره أن ما كان لفظه مذكراً ومعناه مؤنثاً ، أو بالعكس ، فإنه يجوز فيه الوجهان . وهذا هو ما قرره ابن السيد ، ويؤكد كلام ابن السيد ما ذكره المبرد في المقتضب ٢ - ١٨٦ (وتقول عندي ثلاثة أنفس ، وإن شئت قلت ثلاث أنفس . أما التذكير فإذا اعتبر بالنفس المذكر وعلى هذا تقول عندي نفس واحد ، وإن أردت لفظها قلت : عندي ثلاث أنفس ، لأنها على اللفظ تصغر : نفيسة . وعلى هذا قوله تعالى : (يا أيها النفس المطمئنة) : (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله (وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها . (على مخاطبة النفس) .

(٢) الزمر : آية ٩ وتام الآية (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) .

(٣) قال في البحر المحيط : قرأ الجمهور : قد جاءتك بفتح الكاف وفتح تاء ما بعدها خطاباً للكافر ذي النفس . وقرأ ابن يعمر والجلحدري وأبو خيوة والزعفراني والشافعي وغيرهم بكسر الكاف والتاء خطاباً للنفس ، وهي قراءة أبي بكر الصديق وابنته عائشة رضي الله عنهما ، وروتهما أم مسلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ٧ - ٤٣٦ وانظر الشواذ لان خالويه سورة الزمر

أحدها : أن يكون المسمَّى مذكراً واسمه مذكر
كرجل مسمى ^(١) بزيد أو عمرو

والآخر : أن يكون المسمَّى مؤنثاً ، واسمه مؤنث
كامرأة تُسمى فاطمة .

والثالث : أن يكون المسمَّى مؤنثاً ، واسمه مذكر
كامرأة تسمى : جعفر وزيد ^(٢)

قال الشاعر :

يا جعفرُ يا جعفرُ يا جعفرُ إن أك دحدا حافأنت أقصر ^(٣)
أو أك ذاشيب فأنت أكبرُ غرك سربال عليك أحمرُ
ومقنَع من الحرير أصفرُ وتحت ذلك سوأة لو تُذكر

والرابع : أن يكون المسمَّى مذكراً ، واسمه مؤنث
كرجل يسمى طلحة أو

وهذا لا يخص الأسماء الأعلام دون الأجناس والأنواع .
وهكذا مذهب العرب في الصفة والموصوف ، فرمما كان

(١) في ط يسمى

(٢) في ط تسمى بجعفر وزيد .

(٣) حكي المبرد في الكامل ١ - ٨٥ قال كان أعرابي يختلف إلى

مغنية لآل سليمان فأومأت إليه يوماً تعيبه بالقصر ، فقال هذه الأبيات . والدحداح
القصير والمقنَع ما تغطي به المرأة رأسها .

الموصوف مطابقاً لصفته في التذكير والتأنيث ، كقولهم :
هذا رجل قائم ، وهذه امرأة قائمة .

وربما كان مخالفا لصفته في التذكير والتأنيث كقولهم
رجل ربيعة^(١) وعلامة ونسابة ، وفي المؤنث امرأة حاسر^(٢)
وعاشق قال ذو الرمة :

فَلَوْ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ تَعَرَّضْتَ

لِعَيْنَيْهِ مَيِّ حَاسِرَا كَادَ يَبْرِقُ^(٣)

(١) علل بعض علماء اللغة وجود التاء في ربيعة مع المذكر بملاحظة كونها صفة لمؤنث مقدر ، أي نفس ربيعة ، أما علامة ونسابة فليست التاء فيهما للتأنيث ، وإنما هي لتأكيد المبالغة في الوصف .
انظر شرح الرضى للكافية ٢ - ١٥٢ ، ١٥٥ .

(٢) يقال رجل حاسر ، وامرأة حاسر ، والرجل الحاسر من لاعامة على رأسه ، أو لا درع عليه ، ولا بيضة على رأسه . والمرأة الحاسر : هي التي حسرت عنها درعها ، وكل مكشوفة الرأس والذراعين حاسر .
انظر اللسان (حسر) .

ويقال امرأة عاشق وعاشقة . وسقوط التاء في عاشق وحاسر كسقوطها في عانس ، وقد علل العلامة الرضى ذلك بأن هذه الصفات يقصد منها الثبوت أحيانا فتجرد عن التاء غالبا . ويقصد منها الحدوث أحيانا فتلحقها التاء كما في مرضع ومرضعة .
شرح الكافية ٢ - ١٥٠ .

(٣) في ب ولو أن لقمان وهي رواية الديوان: وورد فيه سافراً بدل حاسراً. وسافراً أي بارزة الوجه . يقال سفرت المرأة: إذا ألفت عن وجهها النقاب . و برق الرجل يبرق إذا بقي مفتوح العين كالمتحير .
وذو الرمة هو غيلان بن عقبة العدوي المتوفى سنة ١١٧ هـ كان معاصراً لجرير والفرزدق وكانا يغبطان على شعره، ويقول عنه أبو عمرو بن العلاء: إن الشعر فتح بامرئ القيس، وختم بذي الرمة .
راجع شرح ديوان ذي الرمة ١- ٤٦١ .

فقد تبين (١) أنه لا حجة في دخول الماء في ثلاثة .
ومن الألفاظ المشتركة الواقعة على الشيء وضده قوله
تعالى : (فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ) (٢) .
قال بعض المفسرين (٣) : معناه كالنهار المضيء ،
بيضاء لا شيء فيها :

وقال آخرون كالليل المظلم سوداء لا شيء فيها
وكلا القولين موجود في اللغة ، أما من قال :
كالنهار المضيء فحجته قول زهير :
بَكَرَتْ عَلَيْهِ غُدُوهُ فَرَأَيْتُهُ
قُعُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَاذِلُهُ (٤)

- (١) في ط تين أن لا .
(٢) سورة القلم : آية ٢٠ .
(٣) قال ابن عباس : كالرماد الأسود ، والصريم الرماد الأسود بلغة
حزيمة . وقال الثوري : كالصبح من حيث ابيضت كالزرع المحصود ،
وقال الأخفش : كالصبح انصرم من الليل ، وقال المراد : كالنهار
فلا شيء فيها ، وقال شمر : الصريم : الليل . والصريم : النهار . أي ينصرم
هذا عن ذلك وذلك عن هذا . وقال الفراء والقاضي منذر بن سعيد : الصريم :
الليل من حيث اسودت جنتهم . وفي الكشاف : الصريم : الليل أي
احترقت فاسودت ، وقيل : النهار أي يبست وذهبت خضرتها أو لم يبق
شيء فيها من قولهم : بيض الإناء إذا أفرغه ولم يبق فيه شئنا
انظر البحر المحيط ج ٨ ص ٣١٢ الكشاف ج ٤ ص ٥٩٠ .
(٤) هذا البيت من قصيدة يمدح بها حصن بن حذيفة بن بدر مطلعها :
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله

يعنى الصباح وأما من قال كالليل فحجته قول
الراجز :

تهوى هوى أنجم الصريم (١)

وقال آخر :

كأننا والرحال على صوار برقل خزاق أسلمه الصريم (٢)

قال بعضهم معناه : انحسر عنه الرمل ، وقال قوم
معناه : خرج من الليل وأنجلي (٣) عنه كما قال النابغة .

= والصريم : الصبح أى يسكر بالعشى فإذا أصبح وقد صحا لمنه .
والشاعر زهير بن ربيعة الملقب بأبي سلمى . وأسرته كلها شاعرة وهو
من طبقة الشعراء الجاهليين الأولي وابنه كعب بن زهير أحد شعراء رسول
الله صلى الله عليه وسلم .
انظر الديوان ص ١٤٠ ط . بيروت .

(١) المراد بالصريم فى الرجز : الليل بدليل ذكر الأنجم .

(٢) القائل هو : برج بن مسهر بن جلاس أحد بنى جديلة ، وهو من
معدرى الجاهلية ، وهذا البيت من مقطوعة أولها :

وندمان يزيد الكأس طيباً

يصف لوه مع الندمان آخر الليل ، شبه ركائبهم بقطيع من البقر بالرمل
المذكور أسلمه الصريم إلى الصيادين والكلاب فخفت وعدت . والصريم
استعمل فى الصبح والليل جميعاً لأن كل واحد منها ينصرم من صاحبه وقت
السحر وصورا بكسر الصاد . وخزاق : موضع . والبيت من أبيات الحماسة
أنظر شرح الحماسة للمرزوقى ٣ - ١٢٧٢ .

(٣) فى (١) انجلا بالألف وهو خلاف الصواب .

حتى غدا في بياض الصبح مُنْصَلِتًا
يَقْرُو الْأَمَاعِزَ مِنْ لُبْنَانَ وَالْأَكْمَا (١)

وإنما سمي كل واحد منهما صريحا ، لأنه ينصرف إذا
وإني الآخرُ .

والمعنى أيضاً يشهد لكل واحد من القولين : لأن العرب
تقول : لك بياض الأرض وسوادها ، يعنون بالبياض
ملا عمارة فيه ، وبالسواد ما فيه العمارة . فهذا ما يحتج (٢)
به لمن ذهب إلى معنى البياض .

ومن ذهب إلى معنى السواد فإنما أراد أنها احترقت
بزريح صرٌّ أو نار كقوله تعالى : (فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ
نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ) (٣)

(١) رواية الديوان : حتى غدا مثل نصل السيف منصلتنا . يصف الشاعر
نورا وحشياً أى يبرق مثل نصل السيف ، ومنصلاً أى حادا ، يقرو : يتبع .
الأماعز : الأماكن الصلبة الكثيرة الحصى . ولبنان : جبال . والأكم مفردة آكمة .
والنابعة هو أبو أمامة زياد بن معاوية الذبياني ، وهو أحد شعراء الطبقة الأولى
من الجاهليين . كان منادماً للنعمان ملك الحيرة واتصل بملوك غسان بالشام
ومدحهم .

انظر الديوان ٦٥ .

(٢) في ط وهذا لا يحتج به لمن ذهب إلى معنى البياض . وهو خطأ .

(٣) البقرة آية : ٢١٦ .

ومن هذا النوع قول أبي بكر رضوان الله عليه :
طوبى لمن مات في النُّانَةِ (١) .

فإنه يَحْتَمَلُ أن يريد أول الإسلام عند قوة البصائر
وقبل (٢) وقوع الخلاف .

ويحتمل أن يريد (٣) آخر الإسلام إذا ضعفت
البصائر ، وكثرت البدع والخلاف ، ويدل على صحة
المعنيين جميعاً قوله صلى الله عليه وسلم : إن الإسلام
بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء (٤) .

والنُّانَةُ عند العرب : الضَّعْفُ لا يُخَصُّ به الصَّغَرُ
دون الكبير قال امرؤ القيس :

لعمرك ما سَعَدُ بِخُلَّةِ آثِمِ
ولا نَاناً يَوْمَ الحِفاظِ ولا حَصِرِ (٥)

(١) في النهاية لابن الأثير ٥ - ٣ في النُّانَةُ أى في بدء الإسلام حين
كان ضعيفاً قبل أن يكثر أنصاره والداخلون فيه يقال نانات من الأمر نَانَةٌ
إذا ضعفت عنه وعجزت ، ويقال ناناته بمعنى نهبته إذا أخرته وأمهلته .

(٢) في ط الواو ساقطة .

(٣) في ط به .

(٤) رواه مسلم في باب الإيمان عن ابن عمر ورواه عن أبي هريرة
بلفظ : إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ . ورواه الترمذى
في باب الإيمان ، وابن ماجه في باب الفتن .

(٥) الخلة بالضم : الصداقة والمودة المختصة التي ليس فيها خلل .
والخلة بالضم : الصديق الذكر والأنثى والواحد والجمع سواء لأنه في الأصل -

وتأوله أبو عبيد على أنه أراد أول الإسلام ، وليس
في لفظ الحديث ما يقتضى ذلك . على أن بعض الرواة
قد زوى : فى النانة الأولى . فإن كان هذا (١) محفوظا
فالقول ما قال أبو عبيد .

ومن هذا النوع قوله صلى الله عليه وسلم : (قصوا
الشوارب وأعفوا اللحى) (٢) .

قال قوم معناه : وفروا وكثروا . وقال آخرون :
قصروا وأنقصوا وكلا القولين له شاهد من اللغة .

أما من ذهب إلى التكثير فحجته قول الله عز وجل :
(حتى عَفَوْا) (٣) .

= مصدر ولعل هذا هو المراد فى البيت . والنأنا : الضعيف المقصر . والحفاظ :
الغضب والأنفة عند الحرب . والحصر : الذى يضيق صدره عند اشتداد الأمور
والبيت من قصيدة يمدح فيها امرؤ القيس سعد بن الضباب الإيادى .
وامرؤ القيس بن حجر الكندى أمير شعراء الجاهلية . وهو من أصحاب
المعلقات ، كان أسبق الشعراء لابتكار المعانى ، وكان أبوه حجر ملكاً
على بنى أسد فقتلوه ، وقام هو يطلب بثأره .
انظر الديوان ص ١١٢ ، مجالس العلماء للزجاجى ص ٣٠ .

(١) فى ط فإن صح هذا .

(٢) رواه أحمد فى مسنده عن أبى هريرة ، ورواه البخارى عن ابن
عمر فى باب اللباس بلفظ : أنهكوا الشارب وأعفوا اللحى ، وفى رواية عن
ابن عمر : خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشارب .

(٣) الأعراف : ٩٥ والآية (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا)
قال أبو حيان : عفواً : كثروا وتناسلوا وقال الحسن : سمنوا . وقال

وقال جرير :

ولكننا نعضُ السيفَ منها

بأسوقٍ عافيات اللحم كُوم^(١)

وأما من ذهب إلى الحذف والتقصير فحجته قول

زهير :

تَحَمَّلْ أَهْلُهَا مِنْهَا فَبِئْسَانُوا

على آثارٍ من ذهب العَفَاءِ^(٢)

فهذه جملة من اللفظ المشترك الواقع على معان مختلفة

متضادة .

=الزخشرى كثروا في أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر إذا كثرت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : وأعفوا اللحى .

انظر البحر المحيط ٤ - ٣٤٧ اللسان مادة عفا .

(١) هكذا نسب هذا البيت لجرير في جميع النسخ . ولم نعثر عليه في ديوانه وبالبحث وجد هذا البيت للبيد وهو موجود في ديوانه . وأسوق : جمع ساق ، وعافيات اللحم : كثرات . كوم : جمع كوماء وهي عظيمة السنام . ونعض السيف : نضرب به .

ولبيد : هو لبيد بن ربيعة العامري أدرك الإسلام وأسلم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتمثل بقوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

انظر ديوان لبيد ص ١٨٠ ط . بيروت .

(٢) عفا أثره عفاء : ذهب وهلك ، والعفاء بالفتح : التراب . وفي

الحديث إذا كان عندك قوت يومك فعلى الدنيا عفاء . قال أبو عبيد : العفاء : التراب ، وأنشد بيت زهير . والشاعر يقصد الدعاء ضجراً عما يقاسى من الشوق ، والمعنى من ذهب لم أحزن عليه ولم أشفق لذهابه .

وأما اللفظ المشترك الواقع على معان مختلفة غير متضادة فنحو قوله تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً ^(١)) إلى آخر الآية ذهب قوم إلى أن (أو) هاهنا للتخيير كالتي في قولك جالس زيداً أو عمراً .

فقالوا السلطان مخير في هذه العقوبات يَفْعَلُ بِقِطَاعِ السَّبِيلِ أَيَّهَا شَاءَ .

وهو قول الحسن البصرى وعطاء وبه قال مالك

وذهب آخرون إلى أن (أو) هاهنا للتفصيل والتبويض ^(٢) : فمن حارب وقتل وأخذ المال صليباً ، ومن قتل ولم يأخذ المال قُتِلَ ومن أخذ المال ولم يقتل قُطِعَتْ يَدُهُ ورجله . وهو قول أبي مجلز ^(٣) وحجاج ^(٤) بن أرطاة عن

(١) المائة : آية ٣٣ وتام الآية : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)

(٢) في ط والتعيين وهو تحريف .

(٣) أبو مجلز : لاحق بن حميد السدوسي البصرى روى عن أبي موسى الأشعري والحسن بن علي وابن عباس ، كان ثقة وهو تابعي . تهذيب التهذيب ١١-١٧١

(٤) حجاج بن أرطاة : أحد الأعلام سمع عن الشعبي حديثاً واحداً ومن الحكم وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن شعيب وطائفة ولى قضاء البصرة . وقيل : له نحو من ستائة حديث توفي سنة ١٤٩ هـ . تذكرة الحفاظ ١-١٨٦ .

ابن عباس ، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة^(١) ، واحتجوا
بحديث رواه عثمان وعائشة عن النبي صلى الله عليه
وسلم^(٢) : (لا يحل دم امرئ مسلم إلا باحدى ثلاث :
زنى^(٣) بعد إحصان ، أو كفر بعد إيمان ، أو قتل نفس
بغير نفس)^(٤) .

واحتجوا من اللغة بأن العرب تستعمل أو للإفراد
والتفصيل ، فيقولون :

اجتمع القوم فقتلوا حاربوا أو صالحوا . أى قال
بعضهم كذا ، [وبعضهم كذا]^(٥)

(١) فى ط وبه قال أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله .

انظر بداية المحمّد ٢-٤٥٦ . والبحر المحيط لأبى حيان ٣-٤٧٠ .

(٢) فى ط زيادة (أنه قال) .

(٣) زنى كتبت هكذا فى ا ، ب بالياء وفى ط زنا بالألف وكلاهما
صحيح لأن الألف الثالثة فى اسم أو فعل إن كانت عن باء كتبت باء أو عن واو
كتبت ألفا ، ومنهم من يكتب الألف الثالثة ألفا مطلقا .

انظر شرح الشافية للرضى ٣-٣٣٢ .

(٤) رواه أحمد والستة عن ابن مسعود بلفظ : لا يحل دم امرئ
إلا باحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق
للجماعة . ورواه أحمد والترمذى عن عثمان وعن عائشة بلفظ لا يحل دم
امرئ إلا باحدى ثلاث : رجل زنى بعد إحصان ، أو ارتد بعد إسلام
أو قتل نفساً بغير حق .

انظر كشف الحفاء ٢-٥١٢ .

(٥) ما بين القوسين ساقط فى ط .

ومنه قول الله تعالى : (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى
تهتدوا)^(١) وليس في الفرق فرقة تُخَيَّرُ بين اليهودية
والنصرانية وإنما المعنى أن بعضهم - وهم اليهود -
قالوا كونوا هودا ، وبعضهم - وهم النصارى - قالوا
كونوا نصارى

فهذا تفصيلٌ لا شك فيه ، والعرب تُلَفُّ الكلامين
المختلفين ، وترمى بتفسيرهما جملة ، ثقة بأن السامع
يرد إلى كل مُخَيَّرٍ عنه [بكل]^(٢) ما يليق به ، قال الله
تعالى : (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله)^(٣)

ونحوه قول امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا

لَدَى وَكَرْهًا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي^(٤)

(١) البقرة : آية ٣٥ .

(٢) ما بين القوسين ساقط في ط .

(٣) القصص : ٧٣ .

(٤) العناب نوع من الثمر معروف ، والحشف : ردى الثمر والبالي منه .

وهذا البيت من قصيدة مطلعها :

الاعم صباحاً أيها الظلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

انظر الديوان ص ٣٨ - شواهد العيني ٣ - ٢١٦ .

ولو جاء هذا الكلام مفصلاً لقال : كأن قلوب الطير
رطباً العناب ، ويابساً الحشف البالى وكذلك الآية
لو جاءت مفصلة لقال : جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار لتبتغوا من فضله .

واختلفوا فى النفى من الأرض ما هو ؟

فقال الحجازيون : ينفى من موضع إلى موضع . وقال
العراقيون^(١) : يسجن ويحبس والعرب تستعمل النفى
بمعنى السجن . قال بعض المسجونين :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها
فلسنا من الأموات فيها ولا الأحياء
إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة
عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ومن هذا النوع قوله صلى الله عليه وسلم : « أسرعكن
لحاقاً بي أطولكن يداً »^(٢) .

(١) قال أبو حنيفة : النفى : السجن . وذلك لإخراجه من الأرض
قال الشاعر وهو مسجون :
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها . . .
انظر البحر المحيط ٣ - ٤٦٩ .

(٢) رواه البخارى : باب الزكاة ٢ - ٩٥ . ومسلم فى باب فضائل الصحابة
١٤٤ - ٦ . والنسائى فى باب الزكاة وفضل الصدقة ولفظ البخارى عن عائشة =

قاله لئسائه ، فحسبته من الطَّوْل الذى هو ضد القصر
فظنت سودة أنها المرادة ، فلما ماتت زينب قبلها علمن
حينئذ أنه إنما أراد^(١) ، الطَّوْل الذى هو الفضل والكرم ،
فكانت زينب أكرهن صدقة .

والعرب تقول : فلان أطول يدا من فلان إذا كان
أكرم منه^(٢)

قال الشاعر :

بأن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن للنبي عليه السلام : أينا أسرع
بك لحوقاً ؟ قال : أطولكن يداً ، فأخذوا قصبة يذرعوها ، فكانت سودة
أطولهن يداً فعلمنا بعد إنما كانت طول يدها الصدقة وكانت أسرعنا لحوقاً به
وكانت تحب الصدقة .

قال ابن حجر : الروايات كلها متضاربة على أن القصة لزينب وتفسيره
بسودة غلط من بعض الرواة والدليل على ذلك أن سودة كان لها الطول
الحقيقي ، ومحط الحديث الطول المجازى وهو كثرة الصدقة . وذلك لزينب
بلا شك لأنها كانت قصيرة ، وكانت وفاتها سنة عشرين . ويقال إن في
الرواية سقطاً وأصل الكلام : فأخذن قصبة ، فجعلن يذرعوها ، فكانت
سودة أطولهن يداً وكانت أسرعهن لحوقاً به زينب فلما ماتت زينب علمنا
أنه لم يرد باليد العضو وبالطول طولها بل أراد العطاء وكثرة الصدقة .

(١) في ط : علمن حينئذ أنه من الطول .

(٢) في ط زيادة (وأكتر بدلا) .

ولم يكُ أكثرَ الفتيانِ مالاً
ولكن كان أطولَهم ذراعاً^(١)

ويروى : أرحبهم . ومن هذا النوع قوله تعالى :
(من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل)^(٢) .

قال قوم معناه من سبب ذلك كما يقال : فعلت^(٣)
ذلك من أجلك

وقال قوم معناه : من جنابة ذلك وجريسته ، يقال :
أَجَلَ عليهم شراً يَأْجُلُهُ أَجْلاً إذا جناه ، واحتجوا بقول
خوات بن جُبَيْر الأنصاري :

وأهل خِباءٍ صالح ذاتُ بينهم
قد احتربوا في عاجل أنا آجله^(٤)

(١) الشاعر هو أبو زياد الأعرابي أحد الأعراب الذين كانوا يقدون
من البادية ، واسمه يزيد بن عبد الله بن الحر قدم بغداد أيام المهدي وطال
مقامه بالكوفة وهو من بني عامر بن كلاب له من الكتب : النوادر ،
والإبل ، وخلق الإنسان .

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي - ٤ ص ١٥٩٢ الحيوان للمحافظ ٥ - ١٣٥ .
(٢) المائة : ٣٢ .

(٣) انظر تفسير الكشاف ١ - ٦٢٦ ، البحر المحيط ٣ - ٤٦٨ .

(٤) آجله : جانيه . وخوات بن جبير هو صاحب ذات النخيين ،
وكان من فتاك العرب في الجاهلية ثم أسلم ، وحسن إسلامه ، وشهد بدرأ ، =

وهذا النوع كثير جداً

وأما الاشتراك العارض^(١) من قبل اختلاف أحوال
الكلمة دون موضوع لفظها فمثل قوله تعالى : (ولا يضارُّ
كاتبٌ ولا شهيدٌ)^(٢)

قال قوم مضارّة الكاتب أن يكتب ما لم يُملَّ عليه
ومُضارّة الشهيد أن يشهد بخلاف الشهادة

وقال آخرون^(٣) مُضارَّتُهُمَا أَنْ يُمْنَعَا مِنْ أَشْغَالِهِمَا ،
ويكلفا الكتابة والشهادة في وقت يَشُقُّ فيه^(٤) ذلك
عليهما . وإنما أوجب هذا الخلاف أن قوله : ولا يُضارُّ
يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تَقْدِيرُهُ وَلَا يَضَارُّ بِفَتْحِ الرَّاءِ فَيَلْزِمُ
عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ وَالشَّهِيدُ فَعُولًا بِهِمَا لَمْ يُسَمَّ

= وهذا البيت نسب في الأصول وفي اللسان لخوات . ولكن ابن رى يقول :
إنه وجدته في شعر زهير في القصيدة التي مطلعها : صحا القلب من سلمى
وأقصر باطله . وبالرجوع إلى ديوان زهير وجد فيه هذا البيت . وإن كان
الأعلم يرى أنه لخوات وألحق بقصيدة زهير ومعنى البيت أنه استطاع أن
يؤرث الحرب بين قوم متحابين .

انظر اللسان مادة أجل ، وديوان زهير ط . بيروت وشرح الأعلام للديوان

(١) في ب : الواقع .

(٢) البقرة : آية ٢٨٢ .

(٣) في ب قوم .

(٤) في ط : يشق ذلك فيه .

فاعلهما ، وهكذا كان يقرأ ابن مسعود بإظهار التضعيف
وفتح الراء .

ويحتمل أن يكون تقديره ولا يضارزُ بكسر الراء
فيلزم على هذا أن يكون الكاتب والشهيد فاعلين . وهكذا
كان يقرأ ابن عباس^(١) رضى الله عنه بإظهار التضعيف
وكسر الراء^(٢) .

ومثل هذا قوله تعالى : (لا تضارُّ والدةٌ بولدها ولا مولودٌ
له بولده)^(٣) .

(١) في ط كان يقرأ ابن عمر . وهي مخالفة لما ورد فعلها معرفة
عن عمر كما يتبين مما يأتي .

(٢) قال أبو حيان في تفسير « ولا يضار كاتب ولا شهيد » هذا نهي
ولذلك فتحت الراء لأنه مجزوم ، والمشدد إذا كان مجزوما كهذا كانت حركته
الفتحة تخفها ، لأنه من حيث أدغم لزم تحريكه . فلوفك ظهر الجزم . واحتمل هذا
الفعل أن يكون مبنياً للفاعل ، فيكون الكاتب والشهيد قد نبيا أن يضارا
أحدا ، بأن زيد الكاتب في الكتابة أو بحرف ، وبأن يكتم الشاهد الشهادة ،
أو يغيرها ، أو يمتنع من أدائها . واحتمل أن يكون مبنيا للمفعول فهى أن
يضارهما أحد ، بأن يعتنا ، ويشق عليهما في ترك أشغالها ويطلب منهما
ما لا يليق في الكتابة والشهادة ، ويقوى هذا الاحتمال قراءة عمر ولا يضارر
بالفك وفتح الراء رواها الضحاك عن ابن مسعود وابن كثير عن مجاهد .
وهى من القراءات الشاذة ، وحكى أبو عمرو الداني عن عمر أيضا وابن عباس
الفك مع كسر الراء ، وقال ابن جني : وكلاهما قد قرئ به ، أعنى الفتح
في الراء الأولى والكسر . والإدغام لغة تميم ، والفك لغة الحنجاز .

المختصب ١ - ١٤٨ . مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٥ .

(٣) البقرة : آية ٢٣٣ .

وأما الاشتراك العارض من قبل تركيب الكلام وبناء بعض الألفاظ على بعض ، فإن منه ما يدل على معان مختلفة متضادة ، ومنه ما يدل على معان مختلفة غير متضادة .

فمن النوع الأول قوله تعالى : (وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكهن) (١) .

قال قوم : معناه : وترغبون في نكاحهن لملهن (٢) .

وقال آخرون : إنما أراد وترغبون عن نكاحهن لدمايتهن وقلة ملهن .

وإنما أوجب هذا الخلاف أن العرب تقول رغبتُ عن الشيء إذا زهدت فيه ، ورغبتُ في الشيء إذا حرصت عليه . فلما ركب الكلام تركيباً سقط منه حرف الجر احتتمل التأويلين المتضادين فصار كقول القائل :

(١) النساء : ١٢٧ .

(٢) قال أبو عبيدة : هذا اللفظ يحتمل الرغبة والنفرة ، فالمعنى في الرغبة : في أن تنكهن لملهن وجهلن ، والنفرة : وترغبون عن أن تنكهن لقبهن فتمسكوهن رغبة في أموالهن (البحر المحيط ٣ - ٣٦٢) .

ويرغبُ أن يبني المسالى خالداً

ويرغبُ أن يرضى صنيعَ الألائم^(١)

وهذا البيت يحتمل أن يكون مدحا ، وأن يكون
ذمًا . فإن جعلت الرغبة الأولى (مقدره بفي ، والثانية^(٢)
مقدرة بعن كان مدحا) .

وإن جعلت الرغبة الأولى مقدره بعن والثانية مقدره
بفي كان ذمًا . ومن هذا النوع قول علي رضي الله عنه :
أيُّها الناس !! « تزعمون أنني قتلت عثمان ، ألا وإن
الله قتله ، وأنا معه » .

أراد علي - رحمه الله - أن الله قتله ، وسيقتلني معه ،
فعطف أنا على الهاء^(٣)

(١) هذا البيت أنشده ابن هشام في المغني ٢ - ٥٢٦ نقلا عن ابن السيد
وقال فإن قدر « في » أولا و « عن » ثانياً فمدح : وإن عكس فذم ،
ولا يجوز أن يقدر فيهما معاً « في » أو « عن » للتناقض . ولم نقف على قائل
هذا البيت :

(٢) ما بين القوسين ساقط من ب :

(٣) جعل ابن السيد أنا معطوفة على الهاء من قتله : ولا ندرى
ما وجه هذا العطف ؟ المعروف أن الضمير المرفوع المنفصل لا يعطف على
الضمير المنصوب المتصل : نعم يجوز أن يكون من عطف الجمل أي وأنا
سأقتل معه : أما عطف مفردات فلا وجه له .

من قتله ، وجعل الهاء في معه « عائدة على عثمان رضى
الله عنه .

وتأولته^(١) الخوارج على أنه عطف أنا على الضمير^(٢)
في قتله ، أو على موضع المنصوب بأن كما تقول :
إن زيدا قائم وعمرو . فرفع عمراً عطفاً على موضع زيد
وما عمل فيه وجعلوا الضمير في قوله معه عائداً على الله
تعالى ، فأوجبوا عليه من هذا اللفظ أنه شارك في قتل
عثمان رضى الله عنه ، ولذلك قال كعب بن جعيل^(٣) :

إِذَا سَيْلٌ عَنْهُ حَدَاً^(٤) شُبُهَةٌ

وعمى الجواب عن^(٥) السائلينا

(١) في ط وتأوله الخوارج .

(٢) أى على الضمير الفاعل المستتر .

(٣) كعب بن جعيل شاعر من تغلب ، أدرك الجاهلية والإسلام ،

قال المرزبادي : هو شاعر معاوية وأهل الشام بمدحهم ويرد عنهم ، وحضر

مع معاوية موقعة صفين . ولقد ضمن أبياته حديثاً جرى بين حسان بن ثابت

وعلى رضى الله عنهما . قال حسان لعلى : إنك تقول ما قتلت عثمان ، ولكن

خدلته ، ولم أمر به . ولكن لم أنه عنه ، فالخاذل شريك القاتل ، والساكت

شريك القاتل . وفي البيت بروى بدل خدأشبة : زوى وجهه . توفي كعب سنة ٥٥ هـ .

(انظر العقد الفريد ٤ - ٢٩٦ بيروت . خزنة الأدب ١ - ٥٨ شرح نهج

البلاغة لابن أبي الحديد - ١ ص ٣٦٤ ، الشعر والشعراء ص ٦٣١) .

(٤) في ط هذا شبة .

(٥) في ب « على » .

فليس براض ولا سـاخـط
ولا في النُّهاة ولا الأمرينـا
ولا هو سـاء ولا سـسـرهُ
ولا بد من بَعْضِ ذَا أَنْ يَكُونَا^(١)

وإنما قال هذا لأن علياً رضي الله عنه كان يقول :
إذا ذكر له قتل عثمان رضي الله عنه - : والله ما أمرت
ولا نبيت ، ولا رضيت ، ولا سخطت ، ولا ساءني
ولا سرتني .

ونظير هذا الضمير^(٢) في احتماله التأويلين المتضادين
معاً قول خالد بن عبد الله^(٣) القسري على المنبر : إن
أمير المؤمنين كتب إلي أن ألعن علياً ، فالعنوه لعنه الله -
فأوهم أن الضمير راجع إلى علي ، وإنما هو عائد على

(١) ساه أصلها : ساءه فخفت بحذف الهزرة للمحافظة على الوزن
الشعري .

(٢) في ب التأويل .

(٣) هو خالد بن عبد الله بن يزيد البجلي القسري كان والياً على
العراق من قبل هشام بن عبد الملك قتل أيام الوليد سنة ١٢٦ هـ وكان من
خطباء العرب معروفاً بالفصاحة
انظر تاريخ الطبري ٨ - ٢٤٩ ، وفيات الأعيان ٢ - ٢٢٦ ، الأعلام ج ٢
ص ٣٣٨ .

الآمر له بلعنه ، ولذلك أنكر على خالد ما جاء به من
اللفظ المشترك ، فكان بعد ذلك يصرح بلعنه بألفاظ
لا اشتراك فيها . وهذا النوع من الضمائر كثير في الكلام .
فمنه قوله تعالى :

(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (١)

يجوز أن يكون الضمير الفاعل الذي في يرفعه عائداً
على الكلم (٢) ، والضمير المفعول عائداً على العمل فيكون

(١) سورة فاطر : آية ١٠ .

(٢) قال أبو حيان : الكلم الطيب هو التوحيد والتحميد وذكر الله ،
وقال ابن عباس : شهادة ألا إله إلا الله . وذكر أبو حيان وجهاً ثالثاً عن
قتادة ، في مرجع الضمير قال : إن فاعل يرفعه ضمير يعود على الله والهاء
تعود للعمل الصالح أى والعمل الصالح يرفعه الله إليه ويقبله . قال ابن عطية :
هذا أرجح الأقوال . ثم قال : فلو أنك وضعت مكان يرفع رافعاً وكان
الرافع العمل الصالح كان الضمير المستتر في رافعه راجعاً للعمل ، وكان
رافعه وصفاً جارياً على العمل الصالح ، ويكون المرفوع هو الكلم . وإذا
كان الرافع هو الكلم كان الضمير الفاعل راجعاً إلى الكلم ويكون رافعه خبراً
عن العمل ، وهو ليس له ، لأن العمل مرفوع لا رافع ، وللفرق أوجبوا
إبراز الضمير ليكون ذلك آية على أن الوصف جار على غير من هو له ،
فيقال : والعمل الصالح رافعه هو ، ولا يكون ذلك في الفعل . قال ابن
السجري في أماليه ١ - ٣١٤ اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له خبراً
أو صفة لزمك إبراز ضمير المتكلم والمخاطب والغائب مخافة اللبس ، وليس
كذلك الفعل لأن ما في أوائل الأفعال المضارعة من الزوائد الدالة على المتكلمين
والمخاطبين والغائبين وما يتصل بآخر الأفعال الماضية من الضمائر يمنع اللبس .

معناه : إن الكلم الطيب ، وهو التوحيد يرفع العمل
الصالح ، لأنه لا يصح عمل إلا مع إيمان .

ويجوز أن يكون الضمير الفاعل عائداً على العمل ،
والمفعول عائداً على الكلم ، فيكون معناه أن العمل الصالح
هو الذي يرفع الكلم الطيب . وكلاهما صحيح ، لأن
الإيمان قول وعقد وعمل ، لا يصح بعضها إلا ببعض .

ولو جعلت في هذه الآية اسم الفاعل مكان الفعل
لاختلف اللفظان ، لأن اسم الفاعل يستتر فيه ضمير
ما هو له ، ويظهر ضمير ما ليس له ، فكان يلزم إذا
جعلت الرفع للكلم أن تقول : والعمل الصالح رافعه هو .
وإذا جعلت الرفع للعمل قلت : والعمل الصالح رافعه ،
فيستتر الضمير الفاعل ، ولا يظهر ، كما تقول :
هند زيد ضاربه هي ، إذا جعلت الضرب لهند ، لأنه
جرى خبراً على غير من هو له . فإذا جعلت الضرب
لزيد قلت : هند زيد ضاربها ، ولم يحتج إلى اظهار
الضمير لجريانه خبراً على من هو له .

ومن هذا النوع من الضمائر قول زهير :

نظرت إليه نظرة فرأيتسه

على كل حال مرة هو حامله (١)

يجوز أن يكون الحامل هو الغلام ، والمحمول هو
الفرس ، ويجوز أن يكون الأمر بعكس ذلك .

ومن هذا النوع من الضمائر قوله صلى الله عليه وسلم :

[إن الله خلق آدم على صورته] (٢)

ذهب قوم إلى أن الهاء عائدة على آدم ، وقوم إلى
أنها عائدة على الله تعالى .

وستتكم على هذا الحديث في موضعه إن شاء الله تعالى .

(١) هذا البيت من القصيدة التي يمدح بها حصن بن حذيفة يصف
الفرس وقد ركب الوليد للصيد ، والمعنى نظرت إلى الفرس يحمل الغلام
مرة على الطمع ، ومرة على اليأس ، ومرة على الهلاك لنشاطه وحدثه ففاعل
حامله ضمير يعود إلى الفرس ويجوز أن يعود إلى الغلام أى نظرت إلى الفرس
فرأيت والغلام يحمله من السير على كل حال مما أحب أو كره .

(٢) ورد في مسلم باب الجنة والنار ٨ - ١٤٩ وفي البخارى في باب
الاستئذان وفي مسند أحمد ٢ - ٢٤٤ بلفظ إذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه
فإن الله خلق آدم على صورته ، وفي رواية : ولا تقل قبح الله وجهك ووجه
من أشبه وجهك ، فإنه تعالى خلق آدم على صورته وفي ٢ - ٣١٥ رواه
أحمد برواية مسلم .

ومن الضمائر المشتركة قول حسان :

ظننتم بأن يخفى الذى قد صنعتُم

وفينسا نبيَّ عنده الوحيُّ واضعُه (١)

ذهب سيبويه إلى أن الهاء في واضعه ترجع إلى الوحي ،
وذهب غيره إلى أنها راجعة إلى الذى ، وكلا القولين
صحيح المعنى .

فيكون معنى وضع النبي صلى الله عليه وسلم للوحي
على قول سيبويه ، أنه وضعه للناس بأمر الله عز وجل ،
فَسَنَّ السُّنَنَ ، وفرض الفروض ، ورتب الأشياء مراتبها .
ويكون معناه على قول غيره : إن الوحي يضع عنده
ما يصنعون . أى يبيِّن له ما ترومونه ، وتريدونه ،

(١) هذا البيت من قصيدة لحسان بن ثابت قالها حين هرب أبيرق
سارق الدرعين الذى نزل في شأنه قوله تعالى : (ولا تجادل عن الذين يخفون
أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثمياً) الآيات . ونزل أبيرق بمكة
على سلافة بنت سعد الأنصارية والدة عثمان بن طلحة . وسيبويه يرى أن
الضمير في واضعه يعود على الوحي . أى أن النبي صلى الله عليه وسلم يضع
بيننا ما يوحي إليه فينبئنا بصنعكم وتدبيركم .
سيبويه ١ - ٢٤٢ . الديوان ٣٢٨ .

وحسان هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى شاعر مخضرم أدرك
الجاهلية والإسلام ، وأسلم وصار شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم يتأفح
عن الدعوة الإسلامية ، ومات في خلافة معاوية عن مائة وعشرين عاماً .

ويظهر له ما تخفونه من مكركم^(١). فتقدير الكلام على هذا : وفينا نبي الوحي واضع ما صنعتم عنده . وهذا القول عندي أظهر من قول سيبويه .

ويجوز أن يكون من الوضع الذي هو الإسقاط والإطراح فيكون معناه : إن الوحي يسقط الذي تصنعونه ويبطله . ومن هذا النوع المشترك التركيب قوله تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ . . . الآية)^(٢) فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي بَعْضِهَا خِلَافٌ ، وَفِي بَعْضِهَا وِفَاقٌ :

فمن قوله تعالى : حرمت عليكم أمهاتكم إلى قوله : وأخواتكم من الرضاعة تحريمٌ مبهمٌ متفقٌ عليه^(٣) . وقوله تعالى : وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن . تحريمٌ غير مبهم^(٤) . ورفع قوله

(١) في ب زيادة « وتزعمون » .

(٢) سورة النساء : ٢٣ والآية هي (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت ، وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ، وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ، وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ، وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً) .

(٣) يقصد من المبهم المطلق غير المقيد بشرط .

(٤) لأنه مقيد بشرط الدخول .

تعالى^(١) : (وأمهاتُ نساءكم) . متوسطا بين التحريمين .
فجعل قوم أمهات النساء من التحريم المبهم^(٢) ، وجعله
آخرون من التحريم غير المبهم ، وقالوا إذا تزوج المرأة
ولم يدخل بها لم تحرم عليه أمها^(٣) .

وإنما أوجب هذا الخلاف أنه تبارك وتعالى أعاد في
هذه الآية ذكر النساء مرتين ، ثم قال على إثر ذلك :
اللاتي دخلتم بهن . فمن جعل أمهات النساء من التحريم
المبهم ذهب إلى أن اللاتي صفة للنساء المتصلات بالربائب
خاصة دون النساء المتصلات بالأمهات . ومن جعلهن
من التحريم غير المبهم ذهب إلى أن اللاتي دخلتم بهن .
صفة للنساء المذكورات في الموضعين معاً . فصار خلاف
الفقهاء في هذه الآية مبنيًا على خلاف النحو بين في جمع
الصفة وتفريق الموصوف^(٤) .

(١) في ط ووقع .

(٢) هذا رأى الجمهور فتنى عقد الرجل على المرأة حرمت عليه
أمها مطلقا دخل بها أو لم يدخل .

(٣) روى عن على ومجاهد وغيرهما أنه إذا طلقها قبل الدخول فله
أن يتزوج أمها وأنها في ذلك بمنزلة الربيبية . البحر المحيط ٢ - ٢١١ :

(٤) جمهور النحاة يرون أن العامل في النعت هو العامل في المنعوت ،
وبناء على هذا إذا كان النعت متحدًا مثنى أو مجموعاً ، وكان المنعوت مفرداً ،

وذلك أن هذا الباب منه ما قد أجمع النحويون
على جوازه ، ومنه ما قد جمعوا على منعه ، ومنه ما اختلفوا
فيه .

فالذي اتفقوا على جوازه أن يتفق الموصوفان في

فإنه ينظر ، فإذا اتحد العامل معنى وعملا مثل قام محمد وعلى العاقلان ، وقام
محمد ، ونهض على العالمان ، ورأيت محمدا وعليما العاقلين ورأيت محمدا
وأبصرت عليا العالمين ومررت بمنزلكم ومنزلنا الواسعين جاز في النعت
الإتباع لأن العامل وإن تعدد بمنزلة العامل الواحد نظراً لاتحاده معنى وعملا ،
فلا يلزم عمل عاملين في معمول واحد .

أما إذا اختلف العامل معنى وعملا مثل جاء محمد ورأيت عليا العالمان
أو معنى فقط مثل جاء محمد وذهب على العاقلان أو عملا فقط مثل هذا
موجع على وموئم بكرأ العاقلان . وجب القطع ولا يجوز اتباع النعت للمنعوت
وإلا لزم أن يعمل عاملان فأكثر في معمول واحد هو النعت . هذا رأى
الجمهور .

قال في «المع» : جوز قوم منهم الأخص الإتياع إذا اتحد العمل لاجنس
العامل وتقارب المعنى ، وجوز الكسائي والفراء . الإتياع إذا تقارب معنى
العاملين وإن اختلفا في العمل نحو رأيت زيدا ومررت ببكر الظريفيين ويكون
النعت تابعا للأول أو الثاني . قال أبو حيان : ومقتضى مذهب سيبويه أنه
لا يجوز الإتياع لما أنجز من جهتين كالحرف والإضافة نحو مررت يزيد
وهذا غلام بكر الفاضلين ، والحرفين المختلفين لفظاً ومعنى نحو مررت يزيد
ودخلت إلى عمرو الظريفيين ، أو معنى فقط نحو مررت يزيد واستعنت بعمرو
الفاضلين وإضافتين مختلفين نحو هذه دار زيد ، وهذا أخو عمرو الفاضلين .
انظر المع ٢ - ١١٨ وحاشية الصبان على الأشموني ٣ - ٦٦ .

الإعراب والعامل معاً كقولك مررت بزید وأخيك
العاقلين .

والذى اتفقوا على منعه أن يختلف الإعرابان والعاملان
معاً كقولك : مررت بزید ، وهذا أبوك . لا يجيزون :
العاقلان ولا العاقلين على الصفة . لكن على القطع ،
والنصب بإضمار أعنى ، والرفع بإضمار مبتدا كأنه قال :
هما العاقلان .

والذى اختلفوا فى جوازه أن يتفق الإعرابان ويختلف
العاملان كقولك مررت بـغلام زید ونزلت على عمرو
العاقلين . فقوم يجيزون أن يجعلوا العاقلين صفة لزید
وعمر . وقوم يمنعون ذلك .

ومذهب من منع من ذلك أقيس لأن زيدا انجر
بإضافة الغلام إليه . وعمرو انجر بعلى ، فإذا جعلت
العاقلين صفة لهما أعملت عاملين مختلفين فى اسم واحد ،
وذلك لا يجوز ، وهو جائز على قياس قول أبى الحسن
الأخفش ، لأن العامل فى الموصوف لا يعمل عنده فى
الصفة . وإنما تنخفض الصفة عنده أو تنتصب أو ترتفع
بالإتباع .

فلما كانت النساء الأوّل من قوله تعالى وأمّهات
نساءكم العامل فيهن الإضافة ، والنساء الأخر العامل
فيهن : من . اختلف العاملان فوجب ألا تكون اللاتي
:نخلم بهن^(١) صفة لهما معاً على ما قلناه .

ولكن من أجازهُ من الفقهاء يمكنه أن يحتج بشيئين :
أحدهما : أن يكون على مذهب من أجاز ذلك من
النحويين^(٢)

والآخر : أن قوله تعالى : اللاتي . اسم مبني لا يظهر
فيه الإعراب فيمكن أن يكون منصوباً بإضمار أعني^(٣)
أو مرفوعاً بإضمار مبتدأ . ولو ظهر الإعراب فيه أيضاً
لم يمتنع أن يحمل على الإضمار لا على الصفة ، فيكون
نحو ما أنشده سيبويه من قول الشاعر^(٤) :

(١) قال أبو حيان : ولا يجوز أن يكون اللاتي وصفاً لنساءكم من قوله :
وأمّهات نساءكم ، ونساءكم المحرور بمن ، لأن العامل في المنعوتين قد اختلف
هذا محرور بمن ، وذلك محرور بالإضافة . البحر المحيط ٣ - ٢١٢ .

(٢) وهو الأخفش والفراء والكسائي .

(٣) أي على القطع .

(٤) هذان البيتان من شواهد سيبويه التي لم يعرف قائلها . والجرف
وراسم عاملان من أعمال الصدقات ، يذكر الشاعر جورهما واعتداءهما
فيما يأخذان من صدقات الأموال . أعتبتمونا : أرضيتمونا . عداء : ظلم .

أَمِنْ عَمَلِ الْجَرَافِ أَمْسٍ وَظُلْمِهِ
وَعُدْوَانِهِ أَغْتَبْتُمُونَا بِرَائِمِ
أَمِيرِي عَدَاءٍ إِنْ حَبَسْنَا عَلَيْهِمَا
بِهَاتِمَ مَالٍ أَوْ دِيًّا بِالْبِهَائِمِ

ألا ترى أن قوله أميرى عداء لا يجوز أن يكون بدلا
من الجراف وراسم لاختلاف العاملين^(١)، ولكنه على
إضمار أعنى .

وكذلك قول الراجز :

إِنَّهَا أَكْتَلَتْ أَوْ رَزَامَا
خُوَيْرٍ بَيْنَ يَنْتَقِفَانِ الْهَامَا^(٢)

فخوير بين لا يجوز أن يكون مردوداً على أكتل

وبهائم المال: الإبل . أى إن حبسنا عليهما الإبل ليأخذا صدقاتها جارا
فذهبا بالإبل كلها . والشاهد نصب أميرى عداء على الذم والقطع ولا يجوز
نصبه على الحال ولا جره على البدل من الاسمين لاختلاف العاملين .
شواهدسيبويه ١ - ١٨٨ خزانة الأدب ١ - ٣١٣ اللسان (جرف) .

(١) لأن العامل في جراف الإضافة وفي راسم الباء .

(٢) الرجز لرجل من بني أسدٍ وأكتل ورزام حيان أو رجلان ،
وخوير بين تثنية خويرب ، والحارب هو اللص . وقيل سارق الإبل خاصة ،
وينتقنان الهام : يستخرجان دماغها ، وهذا مثل ضربه لعلمهما بالسرق ،
واستحراجهما لأخى الأشياء وأبعدها مراما . والشاهد نصب خويربين على
الذم ، ولا يجوز أن يكون حالا من أكتل ورزام لأن أو لأحد الشيتين .
أمالى الشجرى ٢ - ٣١٨ . الكامل للمبرد ص ٤٥٤ شواهد سيبويه ١ - ٢٧٨

ورزّام لأنه أوجب أحدهما لدخول أو التي للشك بينهما .
ألا ترى أنه لا يجوز (١) [رأيت زيدا أو عمراً
منطلقين] (٢)

فهذا ونحوه من التركيب المشترك الذي يحتمل المعنى
وضده ، ونظيره من الشعر قوله :

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةِ

وَلَا يَظْلَمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ (٣)

ألا تراه قد أخرج هذا الكلام مخرج الهجو ، ولولا

(١) لأن أو لأحد الشيئين أو الأشياء فتقول رأيت زيدا أو عمراً

منطلقاً .

(٢) في ب منطلق وهو تحريف .

(٣) قائله النجاشي الشاعر واسمه قيس بن عمرو . والبيت من قصيدة

يهجو بها تميم بن أبي بن مقبل فاستعدى عليه عمر بن الخطاب ، فلما سمع
عمر البيت قال ليتني من هؤلاء ، فأنشده ما بعده إلى أن قال :

إذا الله عادى أهل لؤم وذلة فعادى بني العجلان رهط بن مقبل

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب بن عوف ومثمل

فحسبه عمر وضربه .

أنظر زهر الآداب ١ - ١٩ خزانة الأدب ١ - ١٦٠ ط الحلبي العمدة ١ - ١٩

مجالس ثعلب ٢ - ٤٣١

أن في غير هذا البيت دليلاً على ذلك لكان من الثناء
والمدح . وكذلك قول الآخر :

يَجْزُونَ من ظُلمِ أهل العلم مغفرة
ومن إساءة أهل السوء إْحساناً^(١)

وأما التركيب الدال على معان مختلفة غير متضادة
فكقوله تعالى :

(وما قتلوه يقيناً)^(٢) .

فإن قوماً يرون الضمير من قتلوه عائداً إلى المسيح .
وقوماً يرونه عائداً إلى العلم المذكور في قوله [ما لهم
به من علم إلا اتباع الظن]^(٣) . فيجعلونه من قول
العرب : قتل الشيء علماً^(٤)

(١) قائل هذا الشعر قريظ بن أنيف من بني العنبر ، وهو من قصيدة
مدح فيها بنى مازن ويصفهم بالنجدة والشجاعة ، ويعيب على قومه بنى
العنبر قعودهم عن نصرته ويصفهم بأنهم يغفرون ويقابلون الإساءة بالإحسان .
وفي التنبية لابن جني : وقد تروى القصيدة لأنى الغول الطهوى .
شرح الحماسة للمرزوقى ١ - ٣١ .

(٢) سورة النساء : ١٥٧ وتام الآية : (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى
ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين
اختلفوا فيه لفي شك منه . ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً) .
(٣) انظر الآية السابقة .

(٤) الجمهور يرون أن الضمير في قتلوه عائداً إلى المسيح فتكون الضمائر
كلها لشيء واحد فلا تختلف . وقال الفراء وابن قتيبة الضمير عائداً على
العلم أى ما قتلوا العلم يقيناً ، يقال : قتل العلم والرأى يقيناً وقتلته علماً لأن =

ومن هذا النوع قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا
كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم] (١) .
فإن الناس اختلفوا في هذا التشبيه من أين وقع ؟
فذهب قوم إلى أن التشبيه إنما وقع في عدد الأيام ،
واحتجوا بحديث رَوَّه : إن النَّصَارَى كان فرض عليهم
في الإنجيل صوم ثلاثين يوماً كالتى فرضت علينا ،
وإن ملوكم زادوا فيها تطوعاً حتى صيروها خمسين (٢) ،
وذهب قوم آخرون إلى أن التشبيه إنما وقع في الفرض
لا في عدد الأيام . وهذا القول هو الصحيح وإن كان
القولان جائزين في كلام العرب ، ألا ترى أنك إذا
قلت : أعطيت زيدا كما أعطيت عمراً احتمال أن تريد
تساوى العطيتين واحتمل أن تريد تساوى الاعطاءين ،
وان كنت أعطيت أحدهما خلاف ما أعطيت الآخر
وهذا يكثر إن تتبعناه ، وقد أوردنا منه جملة تنبه على
الغرض الذى قصدناه ، وبالله التوفيق .

== القتل للشيء يكون عن قهر واستعلاء فكأنه قيل : ولم يكن علمهم بقتل
المسيح علماً أحيط به إنما كان ظناً ، وقال الزنجشوى : هو من قولم قتل
الشيء علماً ونخرته علماً ، إذا تبالغ فيه علمك : وفيه تهكم لأنه إذا نفى
عنهم العلم نفيًا كلياً بحرف الاستغراق ثم قيل : وما علموه علم يقين وإحاطة
لم يكن إلا تهكمًا .

انظر الكشاف ١ - ٥٨٨ ، والبحر المحيط ٣ - ٣٩١ .

(١) البقرة : ١٨٣ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ٢ - ٢٧٤ . والبحر المحيط ٢ - ٢٩ والكشاف

١ - ٢٢٥ .

(٣) في ب جائزان وهو خطأ .

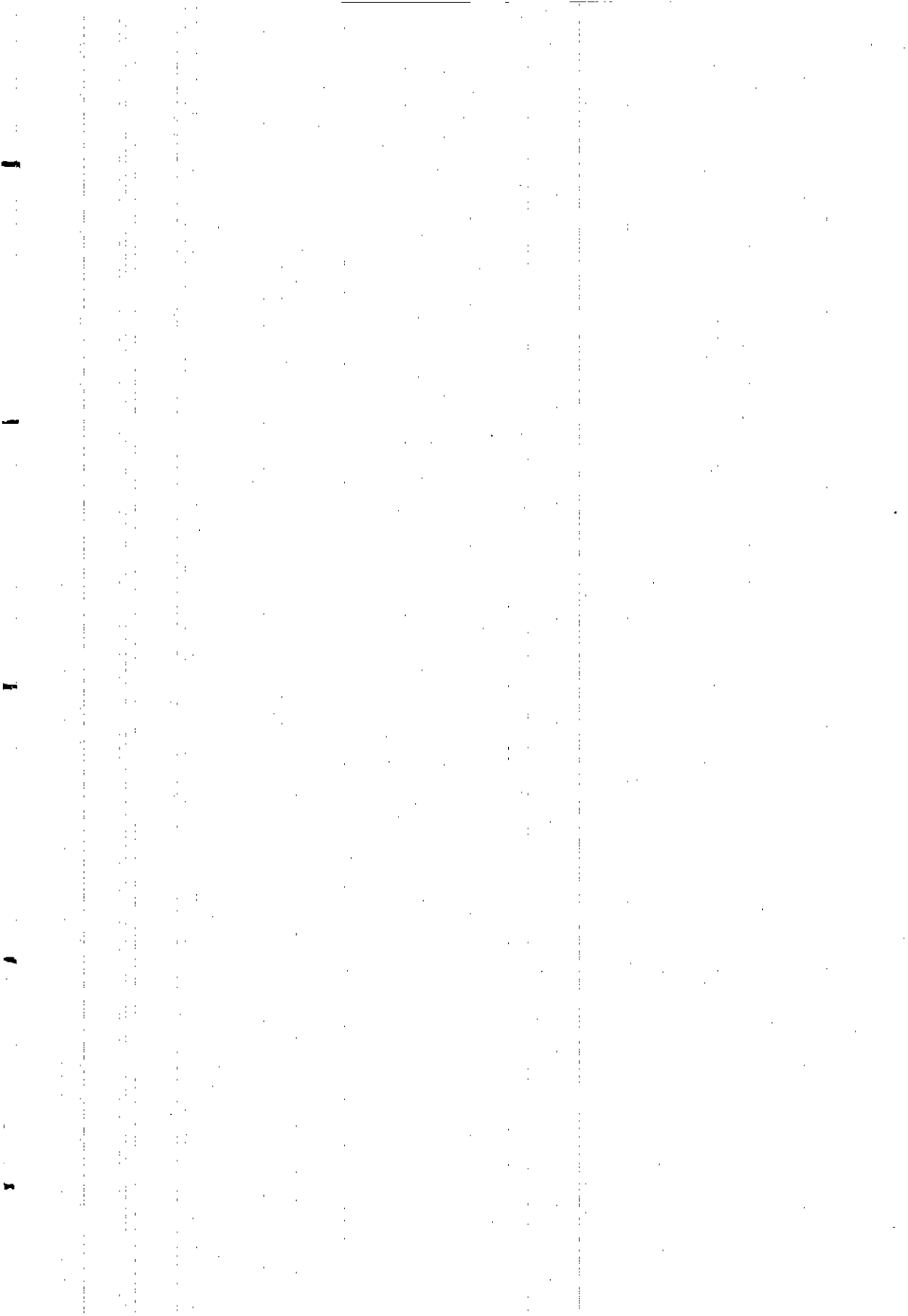
الباب الثاني

في الخلاف العارض

من جهة

الحقيقة

والمجاز



قد ذهب قوم إلى إبطال المجاز ، وذهب آخرون إلى إثباته .

وإنما كلامنا فيه على مذهب من أثبته ، لأنه الصحيح الذى لا يجوز غيره ، لقوله تعالى : [وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ] (١) . وقوله : [بلسان عربى مبین] (٢) . ولا وجه لإطالة القول فى الرد على من أنكره ، لأننا لم نقصد فى كتابنا هذا مناقضة أحد من أهل المقالات ، وإنما قصدنا الكلام فى أصول الخلاف . فأقول - والله الموفق (٣) - إن المجاز ثلاثة أنواع :

نوع يعرض [فى] (٤) موضوع اللفظة المفردة .

ونوع يعرض فى أحوالها المختلفة عليها من إعراب وغيره .

ونوع يعرض فى التركيب وبناء بعض الألفاظ على بعض .

-
- (١) سورة إبراهيم آية ٤ ونظام الآية : (وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .
(٢) الشعراء : ١٩٥ .
(٣) فى ط وبالله التوفيق .
(٤) فى امن

مثال النوع الأول : الميزان ، فإنه^(١) يكون المقدار
 الذى تعارفه الناس فى معاملاتهم ، ويكون العدل :
 تقول العرب : وازنتُ بين الشيئين إذا عادلتهما^(٢) بينهما
 ورجل وازن : إذا كانت^(٣) له حصافة ومعرفة قال كثير :
 رأيتنى كأشلاء اللجامِ وبعلها
 من القوم أبزى بادن متباطنُ
 فإن أك معروق العظام فيانى
 إذا ما وزنتُ القومَ بالقوم وازن^(٤)

(١) فى ط : فإنه قد يكون .

(٢) فى ط : عدلن .

(٣) فى ب : كان .

(٤) أشلاء : هى سيور اللجام أو حديدته ويروى كأنضاء جمع نضو
 وهى حديدة اللجام . ويروى بدل (من القوم) ، (من الملاء) وهو الامتلاء .
 أبزى : به انحناء فى الظهر عند العجز . بادن : سمين . متباطن : مندفع البطن ،
 معروق العظام : انحسر اللحم عن عظامه فأصبح قليل اللحم . وازن : راجح .
 ورواية الديوان : إذا وزن القوم بالأقوام وازن .

والشاعر هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عمرو بن
 خزاعة ثم من الأزدي فى الطبقة الأولى من فحول شعراء الإسلام ، ولكثرته
 نسيبه بعزة نسب إليها مات سنة ١٠٥ هـ .
 انظر الديوان طبع بيروت ص ٣٨٠ .

ويقال للعروض^(١) : ميزان الشعر ، وللنحو^(٢) ميزان الكلام .

ويروى أن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - عرض عليه عود غناء ، وقيل له : ما هذا ؟ فقال هذا هو الميزان الرومى ، أراد أنه ميزان الغناء .

وقال بعض الشعراء يَرثِي عمرَ بنَ عبد العزيز رحمه الله :

قد غَيَّبَ الدافِنُونَ اللَّحْدَ إذ دَفَنُوا

بدير سَمْعَانَ قِسْطَاسَ المَوازِينِ^(٣)

فشبه عمر رضى الله عنه بالميزان^(٤) لعدله .

ومن ذلك : السُّلْسِلَةُ ، فإن العرب تستعملها حقيقة ، وتستعملها مجازاً على ثلاثة أوجه :

(١) فى ط : العروض .

(٢) فى ط ؛ والنحو .

(٣) هذا البيت أحد أبياته رثى بها الشاعر عمر بن عبد العزيز والأبيات وردت فى معجم البلدان لياقوت وروايته للبيت الثانى : قد غيبوا فى ضريح التراب منفرداً . البيت ، ودير سمعان بكسر السين وفتحها : وهو دير فى ضواحي دمشق فى موضع نزه وبساتين . وكان به قبر عمر - رضى الله عنه - والآن ضاعت معالمه .

انظر معجم البلدان مادة دير سمعان .

(٤) فى ط : لعدله بالميزان .

الأول : أن يزيدوا^(١) بها الإِجبار على الأمر والإِكراه ،
فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (عجبت لقوم يقادون
إلى الجنة بالسلاسل)^(٢).

والثاني : أن يريدوا بها المنع من الشيء والكف عنه
كقول أبي خراش :

فليس كعهد الدار يا أمَّ مَالِك
ولكن أحاطت بالرقاب السَّلاسل^(٣)

يريد بالسلاسل حدود الإسلام وموانعه^(٤) التي كُفِّتُ
الأيدي الغاشمة [عن]^(٥) غشمها . ومنعت من سفك
الدماء إلا بحقها . ومن هذا قول الله تعالى :

(١) في ط أن تريد .

(٢) رواية أحمد والبخارى وأبي داود عن أبي هريرة (عجب ربنا من
قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل) ورواه الطبراني عن أبي أمامة ، وأبو نعيم
عن أبي هريرة بلفظ (عجبت لأقوام يساقون إلى الجنة بالسلاسل وهم
كارهون) .

(٣) البيت وارد ضمن أبيات قالها أبو خراش في قتل زهير بن
العجوة أخى بنى عمرو بن الحارث ويقصد أن الإسلام أحاط برقابنا فلا
نستطيع أن نعمل شيئاً .

وأبو خراش هو خويلد بن مرة من هذيل أدرك الإسلام ، وله صحبة
مات زمن عمر بن الخطاب بعد أن نهشته حية .

انظر شرح ديوان الهذليين ٣ - ١١٨٨ .

(٤) هكذا في ب و ط وفي ا مواقعها ولعله تحريف .

(٥) في ب (من) .

[إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ] (١)

والثالث : أن يريدوا بها ما تتابع بعضه في إثر بعض
واتصل كقولهم : تَسَلَّسَلِ الْحَدِيثُ ، وَتَسَلَّسَلِ الْمَاءُ ،
ويقال ماء سَلْسَلٌ وَسَلْسَالٌ وَسَلْسِيلٌ . قال أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ :
وَأَشْبَرُّ نَيْهِ الْهَالِكِيُّ كَأَنَّهُ

غَدِيرٌ جَرَّتْ فِي مَتْنِهِ الرِّيحُ سَلْسَلٌ (٢)

وقالوا سلاسل البرق ، وسلاسل الرمل . قال ذو الرمة :

لِأَدْمَانَةٍ مِنْ وَحْشٍ بَيْنِ سُوَيْقَةٍ
وَبَيْنِ الْجِبَالِ الْعُفْرِ ذَاتِ السَّلْسِيلِ (٣)

(١) قال الإمام الزمخشري : مثل تصميمهم على الكفر : وأنه لا سبيل إلى ارعواثهم بأن جعلهم كالمفلولين المقمحين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ، ولا يعطفون أعناقهم نحوه ، ولا يطأطئون رءوسهم له .

والآية رقم ٨ من سورة يس .
الكشاف ج ٤ ص ٨ ، ٩

(٢) وروى وأشبرنيها . يصف الشاعر سيفا . أشبرنيه : أعطانيه :
الهالكى : الحداد أو الصيقل . سلسل : صفة لغدير يريد إذا ضربت الريح
صفحة الغدير صار كالسلسلة :

والشاعر هو أوس بن حجر بن عتاب كان من شعراء الجاهلية ، وفحل شعراء مضر حتى ظهر النابغة وزهير فأخلاه وهو من أوصف الشعراء
للسلاح كما كان كثير الوصف لمكارم الأخلاق . انظر الديوان ص ٩٦ .

(٣) الأدمانة : ولد الظبية - والجبال العفر : التي تضرب إلى الحمرة
ورواية الديوان الجبال بدل الجبال يقصد الرمل انعقد بعضه إلى بعض .

ومن هذا النوع قوهم فلان على الجبل ، وعلى الدابة أى
فوق كل واحد منهما

فهذه حقيقة ، ثم يقولون : علاه دَيْنٌ ، وفلان أمير
على البصرة يريدون بذلك القهر والغلبة . وكذلك
قوهم : فلان فى الدار وفى البيت . ثم يقولون : أنا فى
حاجتك ، وإنما يريدون : أن حاجتك قد شغلتنى فلم
تدع فى فضلاً لغيرها ، فشبهوا ذلك بالمكان الذى
يحيط بالمتكمن من جهاته الست ، فلا يدع منه فضلاً
لغيره .

وهذا كثير جداً فى اللغة يكثر إن تتبعناه ، فمنه
قوله عز وجل : [فأتى الله بنيانهم من القواعد]^(١)

[ذهب]^(٢) قوم إلى أن البنيان هنا حقيقة ، وأنه

والسويقة: هضبة طويلة بالحمى حى ضرية بطن الريان وهى فى ديار تميم.
انظر شرح الديوان لأبى نصر الباهلى تحقيق د . عبد القدوس أبو صالح
١٣٤٠-٢ وفى اللسان : ضرية اسم امرأة سُمى الموضع بها بأرض نجد
وقبل بر .

(١) النحل : ٢٦ . وتام الآية : (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله
بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون) .

(٢) فى ط مذهب :

أراد الصرح الذي بناه هامان لفرعون ، وهو الذي ذكره [الله^(١)] تعالى في قوله : [وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ]^(٢) .

وذهب آخرون إلى أنه كلام خرج مخرج التمثيل والتشبيه^(٣) . قالوا : ومعناه أن ما بنوه من مكرهم ، وراموا إثباته وتأصيله أبطله الله وصرفه عليهم ، فكانوا بمنزلة من بنى بنيانياً يتحصن به من المهالك ، فسقط عليه فقتله ، وشبهوه بقوله تعالى^(٤) :

[وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ]^(٥) .

(١) ساقط في ب :

(٢) المؤمن : ٣٦ .

(٣) قال الزمخشري في الكشاف ٢ - ٦٠٢ (القواعد : أساطين البناء التي تغمده ، وقيل الأساس ، وهذا تمثيل يعني أنهم سووا منصوبات لمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات ، كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين فأتى البنيان من الأساطين ، بأن ضعفت ، فسقط عليهم السقف وهلكوا ، ونحوه (من حفر لأخيه جياً وقع فيه منكباً) .
(٤) بعض آية ٤٣ من سورة فاطر .

(٥) أى لا يحيط ولا ينزل المكر السيئ إلا بأهله ، عن كعب أنه قال لابن عباس : قرأت في التوراة من حفر مغواة (حفرة) وقع فيها . قال ابن عباس أنا وجدت ذلك في كتاب الله ، وقرأ الآية .

راجع الكشاف ٣-٦١٩ .

والقولان جميعاً جائزان على مذهب العرب ، ألا تراهم
يقولون : بنى فلان شرفاً ، وبنى مجدداً ، وليس هناك
بنيانٌ في الحقيقة قال عبدةُ بن الطيب :

فما كان قيسٌ ^(١) هُلكهُ هُلكٌ واحد
ولكنه بُنيانٌ قيسٍ تَهْدَمُ ^(٢)

ويشبه هذا المعنى الذى ذهبوا إليه قولُ ابنِ أحمَر :
رمانى بأمر كنتُ منه ووالدى
يرياً ومن جالِ الطوىِّ رَمَانى

(١) فى الأصل « قيسه » وما أثبت هو ما فى ب وهو الصواب .
(٢) هذا البيت من قصيدة يرثى بها قيس بن عاصم المنقرى ، وكان
سيد أهل الوبر من تميم ، فيقول فى هذا البيت : كان لقومه وجيرته مأوى
وحرزا ، فلما هلك هدم بنيانهم ، وذهب عزمهم . قال أبو عمرو بن العلاء :
(هذا البيت أرثى بيت قيل) .

وعبدة بن الطيب شاعر فحل من الشعراء المخضرمين فى الجاهلية
والإسلام كان شجاعاً شهد الفتوح ، وقاتل مع المثنى بن حارثة فى فارس
والنعمان بن مقرن فى المدائن توفى سنة ٢٥ هـ .

راجع شرح الحماسة للمرزوق ٧٩٢ . شرح شواهد سيبويه ١-٧٧ :
الشعر والشعراء لابن قتيبة ٧٠٧ . الأغاني ١٨-١٦٣ .

(٣) ابن أحمَر هو أبو الخطاب عمرو بن أحمَر بن العمرد الباهلى من
شعراء الجاهلية أدرك الإسلام وأسلم توفى فى خلافة عثمان بن عفان - رضى
الله عنه - وهو يصف رجلاً كان بينه وبين هذا الرجل مشاجرة على بُر ،
فذكر أنه رماه بأمر يكرهه كما رمى أباه كذلك على براءتهما منه ، وذلك =

ويروى من جَوْلِ الطَّوِيِّ وَالْجَالِ وَالْجَوْلِ نَاحِيَةَ
الْبِئْرِ مِنْ أَسْفَلِهَا إِلَى أَعْلَاهَا وَمَعْنَاهُ : رَمَانِي بِأَمْرٍ رَجَعُ
عَلَيْهِ مَكْرُوهُهُ ، فَكَأَنَّهُ رَمَانِي مِنْ قَعْرِ الْبِئْرِ فَرَجَعْتُ
رَمِيَّتَهُ عَلَيْهِ فَأَهْلَكَتَهُ . هَكَذَا رَوَاهُ قَوْمٌ ، وَفَسَّرُوهُ

وَالْمَعْرُوفُ : وَمَنْ أَجَلِ الطَّوِيِّ . وَإِنَّمَا كَانَ يَخَاصِمُهُ فِي بِئْرِ يَدْعِيهَا
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا . فَقَالَ : رَمَانِي بِأَمْرٍ أَنَا وَوَالِدِي بَرِيثَانُ
مِنْهُ مِنْ أَجْلِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنَ الْخِصَامِ فِي الطَّوِيِّ ،
وَعَلَى هَذَا يَدُلُّ الشَّعْرُ لِأَنَّ قَبْلَهُ :

فَلَمَّا رَأَى سُفْيَانُ أَنَّ قَدَ عَزَلْتُهُ

عَنِ الْمَاءِ مَرَى الْحَائِمِ الْوَحْدَانَ^(١)

وَمِنْ هَذَا النَّبْوَعِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : [وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ
لِتَنْزُولِ مِنْهُ الْجِبَالُ]^(٢) .

من أجل البئر ويروى من أجل الطوي، والجبال والجول جدار البئر من أسفلها
إلى أعلاها في جميع جوانبها ، والمعنى أن الذي رماني به رجعت عليه ، وكان
أحق به كمن رمى وهو في قعر بئر فرجعت رميته عليه .

راجع شرح شواهد سيبويه ٣٨-١ . خزائن الأدب ٣٨-٣ .

(١) الحائم : الطائر يحوم ويطوف بحثاً عن ماء فلا تجد - الوحدان :
المفرد بنفسه .

(٢) إبراهيم : ٤٦ . وتام الآية : (وقد مكروا مكروهم وعند الله
مكروهم ، وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال) .

قوم يَرَوْنَ الجِبَالَ ها هنا حقيقة ، وأنه أراد بذلك ما كان من صُعود نُمْرُودِ بْنِ كَنْعَانَ فِي التَّابُوتِ نَحْوَ السَّمَاءِ ، فَلَمَّا كَرَّ مُنْحَدِرًا نَحْوَ الْأَرْضِ ظَنَّنَهُ الْجِبَالَ أَمْرًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَكَادَتْ تَزُولُ مِنْ مَوَاضِعِهَا .

وقوم آخرون يقولون : الجبال ها هنا تمثيل لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أي إنهم مكروا به ليُزيلوا أمره الذي قد رسخ رسوخ الجبال التي لا يستطيع على إزالتها من مواضعها^(١) . والعرب تشبه الشيء الثابت بالجبل الشامخ ، والصخرة الراسية ، ألا ترى إلى قول زهير :

إِلَى بَادِخٍ يَعْلُو عَلَى مَنْ يُطَاوِلُهُ^(٢)

وقال السموّع بن عادياء :

(١) يقول الإمام الزمخشري في الكشاف ٢-٥٦٦ (الجبال مثل آيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتاً وتمكناً ، وتكون إن نافية ، وتنصره قراءة ابن مسعود . وما كان مكرهم لتزول) .

(٢) هذا عجز بيت صدره : حذيفة ينميه وبدر كلاهما .

وحذيفة أبو المندوح ، وبدر جده ، وينميه : يرفعه ويعليه . البادخ : العالى . والبيت من قصيدة يمدح بها حصن بن حذيفة مطلعها : صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله :

الديوان ٥٦ بيروت .

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُهُ مَنْ نُجَيْرُهُ
 مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيْلٌ
 رَسَا أَصْلَهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَّا بِهِ
 إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يُنَالُ طَوِيْلٌ^(١)

وقال الأعشى :

كَنَاطِحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا
 فَلَمْ يَضُرَّهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِيْلُ^(٢)

فهذا كلام العرب . ومن هذا الباب قوله تعالى :
 [يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ]^(٣)
 ومعلوم أن الله لم يُنزل من السماء ملابس تلبس ، وإنما

(١) قائله السؤال بن فريض بن عادياہ اليهودى . وهو من شعراء
 الجاهلية . وكان مضرب المثل فى الوفاء . وأراد من الجبل العز والمنعة :
 ومنيع صفة مشبهة من منع ، ويجوز أن يكون فعيلًا بمعنى مفعول أى ممنوع
 من طالبه - والطرف : النظر . رسا : ثبت - والثرى : التراب الندى :
 وكليل : حسير أى هو ممتنع على طالبه يرد طرف الناظر إليه وهو حسير لا ارتفاعه ،
 الدرر اللوامع ١-٣٩ شرح الحماسة للمرزوقى ١-١١١

(٢) كناطح صفة لموصوف محذوف أى كوعل ناطح ، والوعيل
 يتسكين العين وكسرهما : التيس الجبلى .

الديوان ص ٢٦ - شواهد العينى ٣-٥٢٩ .

(٣) الأعراف : ٢٦ وتماها : (وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك
 من آيات الله لعلهم يذكرون) .

تأويله - والله أعلم - أنه أنزل المطر فنبت عنه النبات ،
ثم رعته البهائم ، فصار صوفاً وشعراً ووبراً على أبدانها ،
ونبت عنه القطن والكتان ، فاتخذت من ذلك أصناف
الملابس ، فسمى المطر لباساً ، إذ كان سبباً لذلك على
مذاهب^(١) العرب في تسمية الشيء باسم الشيء إذا كان
منه بسبب ، وهذا يسميه أصحاب المعاني : التدرّيج^(٢) .

ونحوه قولهم للمطر سماء لأنه ينزل من السماء ، وللنبت
ندى لأنه عن الندى يكون ، وللشَّحْم ندى ، لأنه عن
النبت يكون قال ابن أحرر :

كثُور العَذَاب الفرد يضربه الندى

تَعَلَّى الندى في مَتْنِهِ وتَحَدَّرَا^(٣)

(١) في ط : مذهب .

(٢) قال أبو حيان : وقيل الإزال مجاز من إطلاق السبب على سببه
فأنزل المطر وهو سبب ما يتبها منه اللباس . وقال ابن عطية : أنزلنا يحتمل
أن يريد بالتدرّيج أى لما أنزل المطر فكان عنه جميع ما يلبس . قال
عن اللباس : أنزلنا وهذا نحو قول الشاعر يصف مطراً :

أقبل في المستن من صحابه أسنمة الآبال في ربابه

البحر المحيط ٤-٢٨٢ . فسمى المساء : أسنمة الآبال لأنه سبب السمن وارتفاع
الأسنمة .

(٣) في بعض الروايات العذاب الفرد بالذال المعجمة ، والصواب
العذاب بالذال المهملة وهو المستدق من الرمل حيث يذهب معظمه ويبقى

وقال معاوية بن مالك مَعُودُ الْحِكَمَاءِ :

إذا سقط السماء بأرض قوم

رعيناه وإن كانوا غصاباً^(١)

نحوه قول الراجز :

الحمد لله العزيز المَنَّان

صار الثريدُ في رؤوس العيسدان^(٢)

يريد السنبُل .

ومن هذا الباب قوله - صلى الله عليه وسلم : ينزل

وبنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ثلثَ الليل الآخِر ، فيقول :

شيء من لينه قبل أن ينقطع وقيل هو جانب الرمل الذي يرق من أسفل
الرملة ويبل الجدد من الأرض ، والفرد : المنفرد . والثور ذكر البقر ،
والندى الأول : المطر ، والثاني الشحم ، وسمى الشحم ندى لأن المطر ينشأ
عنه النبات فيأكله الثور فينمو له الشحم .

انظر لسان العرب مادة (عذب) شرح شواهد الكشاف ص ٣٦

(١) يصف قومه بالعزة والصولة ولقب بمعود الحكماء لقوله

القصيدة نفسها :

أعود مثلها الحكماء بعدي إذا ما الحق في الحدثنان نابا

انظر سبط الآلء ٤٤٨-١ الأملى ١-١٨١ اللسان (سما) .

(٢) الراجز هو صعصعة بن بجير الهلالي يريد أن السنبُل قد أفرق

وأن القمح الذي يعمل منه الثريد قد صار في رعوس من قضبان رده .

انظر كنايات الجرجاني : ١٣٥ .

هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مُستغفرٍ فأغفرَ له ؟
هل من تائب فأتوب عليه ؟^(١)

جعلته المجسِّمة^(٢) نزولاً على الحقيقة — تعالى الله عما
يقول الجاهلون علواً كبيراً — وقد أجمع العارفون بالله
تعالى على أنه لا ينتقل ، لأن الانتقال من صفات
المحدثات . ولهذا الحديث تأويلان صحيحان لا يقتضيان
شيئاً من التشبيه :

أحدهما : أشار إليه مالك بن أنس رضي الله عنه ،
وقد سئل عن هذا الحديث ، فقال^(٣) : ينزل أمره في
كل سَحَر ، فأما هو عز وجل فإنه دائم لا يزول .

(١) ورد في البخارى كتاب التوحيد ٩-١٧٥ . وفي مسلم باب التَّوْبِ
في الدعاء والذكر في آخر الليل ٢-١٧٥ ومُسْنَدُ الإِمَامِ أَحْمَد ٣-٢٥٨ ،
٢-٤٣٣ .

(٢) هم الذين جعلوا لله جوارح من يد ورجل ورأس ، وأجازوا
عليه الملامسة والمصافحة ، وقد تقدم ذلك .

(٣) هذا يخالف ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام مالك في
كتابه شرح حديث النزول . قال : قال أبو عمرو الطلمنكى : أجمعوا
— يعنى أهل السنة والجماعة — على أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ،
على ما أتت به الآثار ، كيف شاء ، لا يحدون في ذلك شيئاً ، ثم روى بإسناده
عن محمد بن وضاح . قال : حدثنا زهير بن عباد . قال : كل من أدركت
من المشايخ : مالك بن أنس ، وعبد الله بن المبارك ، ووكيعة بن الجراح
يقولون : النزول حق . وسألت يحيى بن معين عن النزول فقال : أقر به ،
ولا تحد فيه حداً (شرح حديث النزول ص ١٨٢) .

وسئل عنه الأوزاعي فقال : يَفْعَلُ اللهُ ما يشاء . وهذا
تَلْوِيحٌ بِحِجَابٍ إِلَى تَصْرِيحٍ ، وَخَفِيُّ إِشَارَةٌ بِحِجَابٍ إِلَى
بَيِّنٍ عِبَارَةٌ .

وحقيقة الذي [ذهبنا إليه ^(١)] أن العرب تنسب الفعل
إلى من أمر به كما تنسبه إلى مَنْ فَعَلَهُ وباشره بنفسه ،
فيقولون : كتب الأمير لفلان كتابا ، وقطع الأمير
يد اللص ، وضرب السلطان فلانا ألف سوط ، وهو لم
يباشر شيئا من ذلك بنفسه . إنما أمر به ، ولأجل هذا
احتجج إلى التأكيد الموضوع في الكلام ، فقول : جاء
زيد نفسه ، ورأيت زيدا نفسه .

فمعناه على هذا أن الله تعالى يأمر ملكا بالنزول إلى
السماء الدنيا ، فينادى بأمره ، وقد تقول العرب جاء
فلان ، إذا جاء كتابه ووصيته ، ويقولون للرجل :
أنت ضربت زيدا ، وهو لم يضربه - إذا كان قد رضى
بذلك وشايع عليه قال الله تعالى : [فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ
الله ؟] ^(٢) . والمخاطبون بذلك لم يقتلوا نبيا ، ولكنهم

(١) هكذا في إوفى ب ، ط (ذهبنا إليه) بقصد مالكا والأوزاعي
وفى ط رحمهما الله .

(٢) البقرة : آية ٩١ .

لما رضوا بذلك ، وتوكلوا قتلَةَ الأنبياء ، وشايعواهم على
فعلهم نسب الفعل إليهم ، وإن كانوا لم يباشروه .

وعلى نحو هذا يتأول قوله تعالى : [فَأَنَّى يُبَيِّنُ اللَّهُ لِهِمْ
مِنَ الْقَوَاعِدِ] (١) .

فهذا تأويل كما تراه صحيح جاء على فصيح كلام
العرب في محاوراتها ، والمتعارف من أساليبها (٢) ، وهو
شرح ما أراده مالك والأوزاعي رحمهما الله .

ومما يقوى هذا التأويل ، ويشهد بصحته أن بعض
أهل الحديث رواه . يُنزل الله ، بضم الياء وهذا واضح .
والتأويل الثاني أن العرب تستعمل النزول على وجهين
أحدهما حقيقة ، والآخر مجاز واستعارة (٣) .

(١) النحل : آية ٢٦ .

(٢) في ب ، ط زيادة (ومخاطباتها) .

(٣) هذا الكلام يخالف مذهب السلف الذين يأبون التأويل ، فذهب
السلف يثبت لله النزول كما يثبت له اليد والرجل والفوقية من غير كيف
ولا تشبيه ، فليس نزوله كنزول الحوادث ولا يده كيدهم ولا وجهه
كوجههم ، متبعين في ذلك ظواهر القرآن والسنة ، ونعني الظواهر الحرفية
لا المجازية . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولا عن أحد
من سلف الأمة ، ولا من الصحابة والتابعين . ولا عن الأئمة الذين أدركوا

== زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لانصاً ولا ظاهراً ، ولم يقل أحد منهم : إن الله ليس في السماء ، ولا أنه ليس على العرش . ولا أنه في كل مكان . . ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها (أنظر الحموية الكبرى ٤١٩) ويقول في شرح حديث النزول نافياً التشبيه ص ١١ :

وهنا نعلم أن الله لا مثل له ، ولا كفو ، ولا ند ، فلا يجوز أن نفهم من ذلك أن علمه مثل علم غيره ، ولا كلامه مثل كلام غيره ، ولا استواءه مثل استواء غيره ، ولا نزوله مثل نزول غيره ، ولا حياته مثل حياة غيره . ولهذا كان مذهب السلف والأئمة إثبات الصفات ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات .

فإنه تعالى موصوف بصفات الكمال الذي لا نقص فيه ، منزّه عن صفات النقص مطلقاً ومنزه من أن يماثله غيره في صفات الكمال . فهذان المعنيان جمعا التزيه ، وقد دل عليهما قوله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد) فالاسم الصمد يتضمن صفات الكمال ، والاسم الأحد يتضمن نفي المثل .

كيف ينزل ؟ :

ويسوق ابن تيمية رأى السلف في كيفية النزول . وهو أنهم يفهمون معنى النزول ، ولكن لا يعرفون كيفيته ويفوضون ذلك إلى الله . فيروى أن سائلاً سأل الإمام مالكا رضي الله عنه عن كيفية الاستواء . فقال الإمام مالك : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة . وما أراك إلا رجل سوء . ثم يقول شيخ الإسلام :

وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك في أنا لا نعلم كيفية الاستواء كما لا نعلم كيفية ذاته ، ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب . فتعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته ، وكذلك نعلم معنى النزول ، ولا نعلم كيفيته . ونعلم معنى السمع والبصر والعلم والقدرة ، ولا نعلم كيفية ذلك . ==

فَأَمَّا الْحَقِيقَةُ فَانْحِدَارُ الشَّيْءِ مِنْ عُلُوِّ إِلَى سُفْلٍ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى : [وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ^(١)] .

وَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

هُوَ الْمُنزِلُ الْأَلْفِ مِنْ جَوْ نَاعِطٍ
بَنِي أَسَدٍ حَزْنَا مِنَ الْأَرْضِ أَوْعَرَا ^(٢)

== رَأَى شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي تَأْوِيلِ النَّزُولِ :

قَالَ : وَتَأْوِيلُ النَّزُولِ بِنَزُولِ الْمَلِكِ أَوْ بِنَزُولِ الْأَمْرِ أَوْ الرَّحْمَةِ فَاسْتَدْرَجَ
لِأَنَّ الْحَدِيثَ كَمَا وَرَدَ فِي الْبُخَارِيِّ : يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ
يَبْقَى ثَلَاثَ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي
فَأَعْطِيهِ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ ؟ فَلَوْ كَانَ النَّازِلُ مَلَكًا مَا قَالَ ذَلِكَ بِضَمِيرِ
التَّكْلِيمِ ، لِأَنَّهُ لَا يَجِبُ الدُّعَاءُ ، وَلَا يُعْطَى كُلُّ سَائِلٍ ، وَلَا يَغْفَرُ الذَّنْبَ إِلَّا اللَّهُ .
وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ . وَكَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ تَأْوِيلُ نَزُولِهِ بِنَزُولِ الرَّحْمَةِ تَنْزِيلًا إِلَى
الْأَرْضِ لِتَعَمُّ الْخَلْقِ لَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا وَإِذَا نَزَلَتْ لَا تَصْعَدُ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي
بَعْضِ الرِّوَايَاتِ : ثُمَّ يَصْعَدُ (حَدِيثُ النَّزُولِ ص ٣٩) .

ثُمَّ إِنَّ السَّلَفَ يَرْفُضُونَ التَّأْوِيلَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ
إِلَّا اللَّهُ) . وَلِأَنَّ التَّأْوِيلَ أَمْرٌ مَظْنُونٌ فِيهِ بِالِاتِّفَاقِ ، وَالْقَوْلُ فِي صِفَاتِ
الْيَأْرِي بِالظَّنِّ غَيْرُ جَائِزٍ .

(١) النُّورُ : ٤٣ .

(٢) هَذَا بَيْتٌ ضَمِنَ آيَاتٍ يَفْخَرُ فِيهَا عَلَى بَنِي أَسَدٍ ، وَيَخُوفُهُمْ مِنْهُ .
وَجَوْ : أَرْضٌ بِالْيَمَامَةِ ، وَنَاعِطٌ : حَصْنٌ بِأَرْضِ هَمْدَانَ . أَيْ عَلَيْكُمْ يَا بَنِي
أَسَدٍ أَنْ تَلْزَمُوا الْحَزْنَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَأَنْ تَنْزِلُوا بِمَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ وَخَشَنَ
وَالْتَحَصَّنَ بِالْجِبَالِ ، وَهَذَا وَعِيدٌ مِنْهُ .

انظر خزنة الأدب ٣-٦٠١ ، ٤-١٦١ ، والديوان ص ٦٥

وأما الاستعارة والمجاز فعلى أربعة أوجه :

أحدها : الإقبال على الشيء بعد الإعراض ، والمقاربة بعد المباعدة يقال : نزل البائع في سلعته إذا قارب المشتري بعد مباعده ، وأمكته منها بعد منعه ، ويقال : نزل فلان عن أهله : أى تركها وأقبل على غيرها ، ومنه قول الشاعر :

أنزلنى الدهر على حكمه

من شاهق عال إلى خفض^(١)

أى جعلنى أقارب من كنت أباعده ، وأقبل على من كنت أعرض عنه ، فيكون معنى الحديث على هذا :

(١) رواية الحماسة : من شامخ . والشامخ ، والشاهق : العالى . والخفض ضد الرفع وهو مصدر بمعنى المفعول أى إلى مكان منخفض . يريد كنت قوياً غنياً فصيرنى الدهر إلى الضعف ، وهذا البيت من قصيدة لخطاب بن المعلى كما فى شرح الحماسة للمرزوقى ، ولكن فى شرح الحماسة للتبريزى يرجح أن اسمه حطان بن المعلى . ومن أبيات القصيدة :

أيكافى الدهر ويا ربما
لولا بنيات كزغب القطا
لكان لى مضطرب واسع
وإنما أولادنا بيننا
لو هبت الريح على بعضهم
أضحكنى الدهر بما يرضى
رددن من بعض إلى بعض
فى الأرض ذات الطول والعرض
أكبادنا تمشى على الأرض
لامتنعت عيني من الغمض
شرح الحماسة للتبريزى ١-٢٧٨ ، شرح الحماسة للمرزوقى ١-٢٨٥ .

إن العبد في هذا الوقت أقرب إلى رحمة الله تعالى منه في غيره من الأوقات وأن الباري تعالى يقبل على عباده بالتَّحَنُّنِ والتَّعَطُّفِ في هذا الوقت بما يلقيه في قلوبهم من التَّنْبِيهِ والتذكير الباعثين لهم على الطاعة والجد في العمل ، فهذا أيضا تأويل ممكن صحيح .

[فَمَا] ^(١) الأقسام الباقية من معنى النزول فلا مدخل لها في هذا الحديث ، وإنما نذكرها لتوفية معنى النزول ولأنها مما يحتاج إليه في غير هذا الحديث .

فمنها ما يراد به ترتيب الأشياء ووضعها مواضعها الثلاثة بها ، كقوله تعالى : [وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ^(٢)] . أي رتبناه مراتبه ووضعناه مواضعه ، ومن ذلك قولهم : نزل فلان عند الملك منزلة حسنة ، أو منزلةً قبيحة ، ومنه قول الشاعر :

أَنْزَلُوهَا بَحَيْثُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ بَدَارِ الْمَسْوَانِ وَالْإِثْعَانِ ^(٣)

(١) في ط وأما :

(٢) الإسراء : ١٠٦ . والآية بتمامها : (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) .

(٣) هذا البيت من قصيدة أنشدها سديف بن ميمون مولى أبي العباس السفاح يخرجه على الأمويين ، وقبل هذا البيت :

لا تقبلن عبد شمس عثارا واقطعن كل رقلة وغراس

ومنها ما يراد به الإعلام والقول كقوله تعالى :
 [وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ] ^(١) . أى أقول مثل
 ما قال الله وأعلم بمثل ما أعلم . ومن هذا إنزال الوحي
 إنما معناه أن جبريل تلقاه عن الله تعالى وأداه إلى محمد
 صلى الله عليه وسلم - وهو راجع إلى معنى الإقبال الذى
 قدمناه .

ومنها ما يراد به الانحطاط (عن) ^(٢) المرتبة والذلة
 كقولهم : نَزَلْتُ مِنْزَلَةً فَلَانَ عِنْدَ الْمَلِكِ . أى انحطت ،
 ويجوز ^(٣) أن يكون قوله :

أَنْزَلَنِي الدَّهْرَ عَلَى حِكْمِهِ

من هذا المعنى .

— ثم قال :

أقصمهم أيها الخليفة واحسم عنك بالسيف شأفة الأرجاس
 والرقلة : النخلة الطويلة التى تفوت اليد . ويرجح بعض علماء
 الأدب أن الأبيات لشبل بن عبد الله مولى بنى هاشم .
 انظر تعليق الأغاني ٤-٢٣٥ . الكامل ٤-٨ العقدة الفريد ٤-٤٨٦ .

(١) الأنعام : ٩٣ : وتماها (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً
 أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) .
 (٢) فى (من) .

(٣) فى ط ولا يجوز . وهو واضح الفساد .

وقد تستعمل العرب النزول في النماء والزيادة ، وهو ضد ما ذكرناه قبل هذا ، فيقولون : طعام له نَزَلٌ . أى بركة ونماء ، وأرض نَزَلَةٌ . إذا كانت كثيرة الكلال^(١) وتركت القوم على نزلاتهم إذا كانوا في خصب وحسن حال .

وقد يستعملونه أيضاً على معنى آخر يقولون : نَزَلَ القومُ إذا أتوا مِنِّي ، ويقال لِمَنى المَنَازِلِ قال الشاعر :

أنازلة يا أَسْمَ أم غير نازلة
أبيني لنا يا أَسْمَ ما أنتِ فاعِلَةٌ^(٢)

فجميع مواضع هذه الكلمة سبعة . فهذه وجوه النزول في كلام العرب .

ومما غلطت فيه المجسمة أيضاً قوله تعالى :

[اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ]^(٣) .

(١) انظر اللسان (نزل) .

(٢) هذا البيت ذكره صاحب اللسان شاهداً على أن نزل تأتي بمعنى أتى منى ونسبه لعامر بن الطفيل . اللسان (نزل) .

(٣) سورة النور : ٣٥ . والآية بتأنيدها : (اللهُ نورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مثل نوره كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة . الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار . نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء . ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم .

فتوهموا أن ربهم نور — تعالى الله عن قول الجاهليين —
وإنما المعنى : الله هادى أهل السموات والأرض . والعرب
تسمى كل ما (جَلَى) ^(١) الشُّبُهَاتِ ، وأزال الالتباس ،
وأوضح الحق نورا .

قال الله تعالى : [وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا] ^(٢) .

يعنى القرآن . وعلى هذا المعنى سَمِيَ نبيه صلى الله
عليه وسلم سِرَاجًا مُنِيرًا ^(٣) .

وقال العباس بن عبد المطلب يمدحه :

وَأَنْتَ لِمَا ظَهَرْتَ أَشْرَقْتَ

الْأَرْضَ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأَفْقُ ^(٤)

(١) فى ب (جلا) بالتخفيف .

(٢) سورة النساء : ١٧٤ . وتام الآية : (يا أيها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم ، وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً) .

(٣) فى ط زيادة (فقال عز من قائل) وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً
منيراً) .

(٤) هذا البيت ضمن أبيات قالها العباس عم الرسول — صلى الله
عليه وسلم — فقد قال العباس يا رسول الله !! أريد أن امتدحك ، فقال
الرسول — عليه السلام : قل لا يفضض الله فاك . ورواية البيت السيرة هكذا :

وَأَنْتَ لِمَا وَلَدْتَ أَشْرَقْتَ الْأَرْضَ ضَوْضَاءَتْ بِنُورِكَ الْأَفْقُ
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي الدُّنْيَا نُورٌ وَسَبِيلُ الرِّشَادِ نَجْزِي
السيرة لابن كثير ١-١٩٥ .

وعلى هذا مجرى كلام العرب . قال امرؤ القيس :

أَقْرَّ حَتَّى امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ

بنو تميم مصابيح الظلام (١)

وقال النابغة الذبياني :

لا يُبْعِدُ اللهُ جِيرَانَنَا تَرْكُهُمْ

مثل المصابيح تجلّو ليلة الظلم (٢)

وقال الآخر :

من تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ لَأَقِيَتْ سَيِّدُهُمْ

مثل النجوم التي يسرى بها السارى (٣)

(١) هذا البيت من قصيدة يمدح بها المعلّى أحد بني تميم ، وكان قد لجأ إليه فجماه ، ويقصد من قوله : (أقر حتى امرئ القيس) أنه أمن فيهم فلم تضطرب أحشاؤه . ويقصد من قوله : (مصابيح الظلام) أنهم كالسراج في الظلام لفضلهم وكشفهم الأمور المهمة بصحة رأيهم وثاقب فكرهم . شرح الديوان ص ١٤١ طبعة دار المعارف .

(٢) هذا البيت ساقط من ب وهو من قصيدة يمدح بها النابغة الغسانية حين ارتحل عنهم ، ويعني أنه يهتدى بأرائهم في المشكلات . كما يهتدى بالمصابيح في الظلام .

(٣) الشاعر هو العرنديس أحد بني بكر بن كلاب ، وقيل عقيل بن العرنديس أو عبد بن العرنديس وهذا البيت أحد أبيات يصف فيها قوماً نزل بهم ومدحهم ، وهو يريد أن النباهة والسيادة نعم هؤلاء القوم ، فكل منهم يتسم بالسيادة . وهم في الشهرة والتميز عن سائر الناس كالنجوم التي يهتدى =

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أصحابي كالنجوم
 بأيهم اقتديتم اهتديتم » (١) . ولو مُنِحَتِ المِجْسَمَةُ طرفاً
 من التوفيق ، وتأمّلت الآية بعين التحقيق لوجدت فيها
 ما يبطل دعواهم (٢) دون تكلف تأويل ، ومن غير طلب
 دليل ، لأنه قال تعالى بعقب الآية :

[وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] (٣)

== بها السالبة في الليالي المظلمة - يقول صاحب ديوان المعاني إنها أمدح أبيات
 قيلت . (ديوان المعاني ١-٤١ . الأمل ١-٢٣٩ . الكامل ١-٧٨ . شرح
 الحماسة للمرزوقي ٤-١٥٩٥) .

(١) رواه البيهقي وأسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ أصحابي بمنزلة
 النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم . وقال ابن عبد البر طاعناً في إسناده
 (هذا اسناد لا يقوم به حجة لأن أحد رواته وهو الحارث بن غصين مجهول .
 وقال ابن حزم هذه رواية ساقطة (كشف الخفاء ١-١٤٧) .

(٢) قال الإمام القرطبي في تفسيره : النور في كلام العرب الأضواء
 المدركة بالبصر ، واستعمل مجازاً فيما صح من المعاني ولاح ، ومن ذلك :
 الكتاب المنير . ثم قال فيجوز أن يقال الله نور من جهة المدح لأنه أوجد
 الأشياء . ونور جميع الأشياء منه ابتداؤها ، وعنه صلورها وهو سبحانه
 ليس من الأضواء المدركة .

وقد قال هشام الجواليقي وطائفة من المحسمة هو نور لا كالأنوار .
 وجسم لا كأجسام . وهذا كله محال عقلاً ونقلًا ، ثم إن قولهم متناقض
 فإن قولهم جسم ونور حكم عليه بحقيقة ذلك ، وقولهم لا كالأنوار ولا كأجسام
 نفي أثبتوه من الجسمية والنور وذلك تناقض (١٢-٢٥٦) . وقال ابن كثير
 (الله نور السموات) عن ابن عباس هادي أهل السموات والأرض ٣-٢٨٩ .

(٣) النور ٣٥ جزء من الآية التي سبق ذكرها .

فأخبرنا أن ما ذكره في الآية العزيزة من النور والمشكاة
والمصباح والزجاجة والزيتونة والشجرة أمثال مضرورية
يعقلها عن الله تعالى من وفق لفهمها وكشفت له الحجب
عن مكنون سرها وعلمها كما قال تعالى :

[وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا
العالِمون] (١)

فإن قات : كيف وقع هذا التمثيل ، وما المراد به ؟
فالجواب أنه شبه صدر المؤمن بالمشكاة ، وقلبه
بالزجاجة ، ونور الهدى الذى يضعه فى قلبه بالمصباح ،
وشبه مادة الهدى المنبعثة [من] (٢) قبيل الرسول صلى الله
عليه وسلم التى تزيد فى بصائر المؤمنين ، وتحفظ نور
الإيمان عليهم ، وتمنعه من أن يغلب عليه الشك فيطمسه
بمادة الزيت التى تمد المصباح لئلا يطفأ نوره ، وشبه
النبي صلى الله عليه وسلم بالزيتونة ، إذ كان الهدى إنما
ينبعث من قبله كأنبعاث الزيت من الزيتونة . وجعل
الزيتونة لا شرقية ولا غربية لأن ظهوره ومبعثه إنما كان
بمكة ، ومكة متوسطة بين المشرق والمغرب .

(١) العنكبوت : ٤٣ .

(٢) ساقطة من ط

فهذا كلام كما ترى قد خرج على أحسن مخارج الكلام وتشبيهه جاء على أبدع وجوه التشبيه .

فهذا ونحوه من الحقيقة والمجاز العارضين في موضوع الكلمة . وأما الحقيقة والمجاز^(١) العارضان فيها من قبل أحوالها^(٢) فإنهما كثيران أيضا ككثرة النوع الأول فمن ذلك قولهم : مات زيد فيرفعونه كما يرفعون قولهم أمات الله زيدا وأحدهما حقيقة والآخر مجاز و [منه]^(٣) قوله تعالى :

[فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ]^(٤) . وَالْأَمْرُ لَا يَعْزِمُ وَإِنَّمَا يُعْزِمُ عَلَيْهِ
قال النابغة :

وإن الدين قد عزَّ ما^(٥) .

(١) يقصد ما يسميه علماء البيان المجاز العقلي . وهو إسناد الفعل إلى غير ما هو له .

(٢) هكذا في ب وفي أ فهما وأحوالهما . وهو تحريف .
(٣) زيادة في ب .

(٤) محمد : ٢١ . والآية هي : (طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) .

(٥) هذا جزء بيت وتامه كما في الديوان :

حياك ربي فإننا لا يحل لنا لهُ النساء وإن الدين قد عزمنا
نحاطب الشاعر سعاد التي يقول عنها في مطلع القصيدة :
بانث سعاد وأمس حبلها أنجزما

وهو يقصد من الدين الحجج . وعزم أي عزمنا عليه . وهو من باب القلب . وهو الذي يسميه علماء البيان المجاز العقلي .

(انظر الديوان ص ١٢٨) :

ويقولون : أعطى ثوبٌ زيداً ، وإنما الوجه أعطى زيد
ثوباً ، لأن زيدا هو الآخذ للثوب والمتناول له . وولد له
ستون عاماً . والمعنى وُلِدَ له الأولادُ في ستين عاماً .

ونحوه قوله تعالى : [بل مكرُّ الليل والنهار]^(١)

و [إنما]^(٢) المراد بل مكرهم في الليل والنهار ، وأنشد
سيبويه :

أما النهارُ في قيدٍ وسِلْسَلَةٍ

والليلُ في قَعْرِ مَنْحَوْتِ مِنَ السَّاجِ^(٣)

وتقول العرب : نهارُكَ صائِمٌ ، وليلك قائم

[وقال^(٤) جرير :-

(١) سبأ : ٣٣ .

(٢) ساقطة من ط .

(٣) هذه رواية سيبويه ورواية ابن السيد (والليل في بطن منحوت)
أخبر الشاعر عن النهار بأنه في سلسلة . وعن الليل باستقراره في جوف منحوت
انساعاً ومجازاً فقد وصف محبوساً يقيد بالنهار ويغل في سلسلة ، ويوضع
في الليل في جوف خشبة منحوتة من خشب الساج .

(انظر سيبويه ١-٨٠ . الكامل للمبرد ص ٧٠٠ . المقتضب ٤-٣٣١) .

(٤) في الأصل قال .

لقد لُمْتَنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السَّرَى

وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطَى بِنَائِمٍ (١)

وقال حميد بن ثور الهلالي :

وَمَطْوِيَّةُ الْأَقْرَابِ أَمَّا نَهَارُهَا

فَسَبْتُ وَأَمَّا لَيْلُهَا فَذَمِيمٌ (٢)

وأما المجازُ والحقيقةُ العارضان من طريق التركيب وبناء بعض الألفاظ على بعض فنحو الأمر يرد بصيغة الخبر ، والخبر يرد بصيغة الأمر ، والإيجاب يرد بصيغة النفي ، والنفي يرد بصيغة الإيجاب ، والواجب

(١) أخبر الشاعر عن الليل بالنوم اتساعاً ومجازاً ، والمعنى وما المطى بناءً في الليل . يقول إنه عدل في السرى ومواصلة السير ، ويقول : يلومنا في ذلك من ينام عنه ونصلي نحن شدته دونه لما نرجو من الفائدة فلا نصغى إلى لومه فيه وعدله . وأم غيلان : بنت جرير .
(انظر الديوان ص ٥٥٤) .

(٢) الأقرب : جمع قرب (بضمين وبضم القاف وتسكين الراء) وهو الحاصرة ، أو من الشاكلة إلى مراقي البطن . ورواية الجمهرة : بمقورة الألياط . والأقورار : الضمور ، والألياط : جمع ليط وهو الجلد . والسبت : السير السريع ، وفي رواية الأغاني : فنص . والنص : أقصى السير ، والذميل : السير اللين . وحميد بن ثور بن عامر الهلالي شاعر مخضرم قضى الشطر الأكبر من حياته في الإسلام . توفي في خلافة عثمان - رضي الله عنه - وقيل زمن عبد الملك بن مروان .
(انظر الديوان ص ١١٦ مطبعة الدار القومية بالقاهرة) .

يرد بصيغة الممكن أو الممتنع ، والممكن والممتنع يردان
بصيغة الواجب ، والمدح يرد بصورة الـذم ، والذم يرد
بصورة المدح ، والتقليل يرد بصورة^(١) التكثير ،
والتكثير يرد بصورة التقليل ، ونحو ذلك من أساليب
الكلام التي لا يقف عليها إلا من تحقق بعلم اللسان .

وكل نوع من هذه يقصد^(٢) به غرض من أغراض
البيان ، ونحن نذكر من كل نوع من هذه الأنواع
أمثلة تشهد بصحة ما قلناه ليُحتذى فيما لم نذكره على
ما ذكرناه إن شاء الله تعالى .

أما الأمر الوارد بصيغة الخبر فكقولهم : حَسْبُكَ
درهم ، فإن صيغة هذا الكلام كصيغة قولك أخوك
ينطلق ، وأبوك زيد ، ومعناه معنى الأمر لأن تقديره
لبِكْفِكَ درهمٌ ، أو اكَتِفِ بدرهمٍ قال امرؤ القيس :
وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْبَعٍ وَرِي^(٣)

(١) في ط بصيغة

(٢) في ط مقصود .

(٣) هذا عجز بيت صدره : فتوسع أهلها أقطاً وسمناً .

الأقط شيء يصنع من اللبن المخيض على هيئة الجن . والمعنى أن الإنسان إذا
لم يطلب من الدنيا إلا الحياة والعيش دون الملك والرئاسة فالقليل من العيش يكفيه

(انظر الديوان ص ٦٣٧)

ومن هذا قولهم في الدعاء : غفر الله لزيد ، ورحمك
الله ، وسلام عليك . ومنه قوله تعالى : [وَالْوَالِدَاتُ
يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمَ
الرِّضَاعَةَ] (١) .

وإنما المعنى ليرضع (٢) الوالدات أولادهن لم يخبرنا (٣)
وإنما أمرنا (٤) . وأما الخبر الوارد بصيغة الأمر فكقولهم
في التعجب : أحسن زيد ، فإن صيغته كصيغة قولك
أحسن إلى زيد ، وأحدهما خبر ، والآخر أمر ، لأن معنى
أحسن بزيد : ما أحسن زيدا وإنما أنت مخبر لا أمر ،
ومكان الباء وما عملت فيه رفع ، ومكان إلى وما عملت
فيه نصب . ومنه قوله تعالى : [أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ] (٥)
أى ما أسمعهم وأبصرهم .

وأما الإيجاب الوارد بصيغة النفي فكقولهم (٦) : مازال

(١) البقرة : صدر آية ٢٣٣ .

(٢) في ط . لترضع .

(٣) في ب و ط : لأنه لم يخبرنا .

(٤) قال القرطبي : خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات
وعلى جهة التندب لبعضهن (٣ - ١٦١) .

(٥) مريم : ٣٨ . تمامها : « أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين » .

(٦) في ط : فكقولك .

زيد عالماً . فإن صيغته كصيغة قولك ما كان زيد عالماً ،
الأول إيجاب ، والثاني نفي ، فإذا أدخلت على هذه
الجملة إلا التي للإيجاب ، فقلت ما زال^(١) زيد إلا عالماً
صارت صيغته صيغة الموجب ، ومعناه معنى النفي ، والعلة
في ذلك أن قولك : « زال زيد عالماً لو كان مما يستعمل
لكان معناه النفي ، لأن معناه زال عن العلم وانتفى منه ،
فإذا أدخلت عليه ما النافية رجع إيجاباً ، لأن النفي
الثاني يبطل النفي الأول ، فإذا أدخلت إلا بطل النفي
الثاني الذي أوجبه ما ، وعاد النفي الأول إلى حاله ،
فصار قولك ما زال زيدُ إلا عالماً بمنزلة قولك : زال
زيد عالماً .

فمن النحويين من يرى أن قولك « ما زال زيد
إلا عالماً إنما امتنع من الجواز لأن دخول ما في صدر
المسألة يوجب له العلم ، ودخول إلا في آخرها تنفي
عنه العلم ، فتصير (نافية مثبتاً)^(٢) للخبر في حال
واحدة .

(١) هذا افتراض من المؤلف لا غير لأنه لا يجوز مثل هذا في الأساليب
العربية كما سأتى

(٢) عبارة ب تصير مثبتاً نافية .

ومنهم من يقول إنما استحال لأن دخول إلا عليه تبطل^(١) ما لأنها مناقضة لها فكأنك قلت : زال زيد عالماً ، وهذا غير جائز ، لأن العرب لم تستعمل زال الداخلة على الابتداء والخبر إلا مع ما^(٢) .

ومنهم من يقول : إنما استحال لأن قولك ما زال زيد عالماً كلام موجب وإن كان بصورة النفي^(٣) ، فلما كان كذلك لم يجوز دخول إلا عليه ، لأن إلا إنما وضعت لتوجب ما كان منفيًا قبل دخولها ، فإذا كان الكلام موجبا بنفسه استغنى عنها .

ومن طريف هذا النوع قول الفرزدق :

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشِيْمُوا سِيوفَهُمْ
وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتِ^(٤)

(١) في لظ يبطل .

(٢) بقصد مع نفي ولو بغير ما . نحو لا زال زيد عالماً ، ومثل النفي النهي الداخلة على المضارع .

(٣) في ب المنفي .

(٤) شام السيف يشيمه : إذا أعمده أو إذا سله فهو من الأضداد : وهو هنا بمعنى أعمده . ومن ذلك قول أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - حين شكى إليه خالد بن الوليد ، وطلب منه عزله عن القيادة (لا أشيم سيفاً =

قال أصحاب المعاني : معناه لم يَشِيمُوا سيوفهم
إلا وقد كثرت القتلى بها حين سُئِلَتْ . فمعناه كما ترى
إيجاب ، وصيغته وظاهره نفي ، وإنما وجب هذا لأن
قوله : « ولم تكثر القتلى » ليس بجملة منقطعة من
الجملة التي قبلها . معطوفة عليها على حد عطف الجمل
على الجمل ، وإنما هي في موضع نصب على الحال من
السيوف ، وتقدير الكلام : لم يَشِيمُوا سيوفهم غير
كثيرة القتلى بها حين سُئِلَتْ .

فصار بمنزلة قولك : لم يجيُ زيد ولم يركب فرسه .
إذا جعلت قولك : ولم يركب فرسه في موضع الحال من
زيد . تقديره : لم يجيُ زيد غير راكب فرسه ، فمحصول
أنه جاء راكباً فرسه . فظاهره نفي ، ومعناه إيجاب .
وقد يجوز في المسألة أن يريد أنه لم يجيُ ، ولم يركب

== سله الله على المشركين) أى لا أعمده قال المبرد (في الكامل ١-١٢٧) :
وهذا البيت ظريف عند أصحاب المعنى وتأويله : لم يَشِيمُوا لم يغمدوا ولم
تكثُر القتلى أى لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين سئلت :

والفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة التميمي شاعر
اسلامي عاش في العصر الأموي وكان بينه وبين جرير والخطيبه مهاجاة .

فتنقى الفعلين معاً ، وتجعلهما جملتين ليست إحداهما متعلقة بالأخرى إلا على جهة العطف فقط .

وأما الننى الوارد بصورة الإيجاب فنحو قولهم لو جاءنى زيد لأكرمته . فصورته صورة كلام موجب ، لأنه ليست^(١) فيه أداة من أدوات الننى ، وهو منى فى المعنى لم يقع^(٢) المجئ ولا الإكرام ، فإذا دخل عليه حرف الننى ، فقليل : لو لم يشتمنى زيد لم أضربه صارت صورته صورة الننى^(٣) ، ومعناه معنى الواجب^(٤) ، ومن أجل هذا قال النحويون فى قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة

كفانى ولم أطلب قليل من المال^(٥)

(١) فى ط ليس .

(٢) لأن لو حرف يدل على امتناع الشرط دائماً والجواب قالياً إثباتاً ونفياً .

(٣) فى ب ، ط المنى :

(٤) فى ب ، ط الموجب . أى ثبت الشم والضرب وذلك لأنه إذا امتنع الشيء ثبت نقيضه وقد امتنع عدم الشم وعدم الضرب .

(٥) بعد هذا البيت :

ولكنما أسعى لمجد موئيل وقد يدرك المجد الموئيل أمثالى
والموئيل : المثر الذى له أصل . والمعنى لو كان سعى لأقرب معيشة
وأدناها لكفانى قليل من المال ، ولم أطلب الملك ، ولكننى أسعى لمجد موئيل
كثير . (الخزانة للبغدادى ١-١٥٨ . الديوان ص ٣٩) .

إن نصب القليل ها هنا محال ، لأنه لو نصبه لأوجب
أنه قد طلب قليلا من المال ، وهذا خلاف ما أراد
الشاعر ، ألا تراه يقول بعد هذا :

ولكنما أسعى لمجد مؤثّل

وقد يُدرك المجد المؤثّل أمثالي

فأخبر ببعده همته وعلوها ، وأنه إنما يطلب الملك
والرياسة ، ألا ترى أن النحويين قد جعلوا قوله : « ولم
أطلب قليلا^(١) » بالنصب إيجاباً وظاهره نفي . وإنما عرض
هذا من قبل دخول لو في أول البيت . وقد أعلمتك
أن إيجابها نفي ونفيها إيجاب .

ومن هذا قوله تعالى : « ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها »^(٢) .

« ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً »^(٣)

(١) في ط زيادة من المسال .

(٢) السجدة : ١٣ . والآية بنامها : (ولو شئنا لآتينا كل نفس
هداها ، ولكن حق القول مني لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين

(٣) يونس : ٩٩ وتامها : (أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا
مؤمنين) .

وأما ورود الواجب بصورة الممكن فكقوله تعالى :

[فعسى الله أن يأتي بالفتح] ^(١) وقوله تعالى : [عسى
أن يبعثك ربك مقاماً محموداً] ^(٢) .

وهذا واجب ثابت ، وصورته صورة الممكن المشكوك
فيه ، والعرب تفعل هذا تحريراً للمعاني واحتياطاً عليها ،
ومنه قول الشاعر :-

لَعَلِّي إِذَا مَالَتْ بِي الرِّيحُ مَيْلَةً
على ابن أبي زيَّان أن يتندماً ^(٣)

فأخرج كلامه مخرج الإمكان ^(٤) ، وإنما ^(٥) يريد أنه
يتندم لا محالة .

وأما ورود الممتنع بصورة الممكن فكقول امرئ القيس :

(١) المائة ٥٢ والآية بنامها (فرى الذين في قلوبهم مرض
يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح
أو أمر من عنده ، فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) .

(٢) الإسراء : ٧٩ . وتام الآية (ومن الليل فتهجد به نافلة لك
عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) .

(٣) لم يعرف قائله وفي ط (لعل إن) بدل (إذا) و (زبان) بدل
(زيان) . وفي الصحاح لابن فارس : زبان بالباء وكسر الذا .

(٤) في ط الممكن .

(٥) في ب وأنه .

وَبَدَّلْتُ قَرَحًا دَامِيًا بَعْدَ صِحَّةٍ
لَعَلَّ مَنَايَانَا تَحَوَّلْنَ أَبْوَسًا^(١)

وتحول المنايا أيوساً من الممتنع الذي^(٢) لا يمكن
وقد جعله كما ترى في صورة الممكن على العلم منه^(٣)
أنه ليس كذلك تقللاً^(٤) بذلك واستراحة^(٥) مما كان
فيه من عظيم البلاء .

ونحوه قول كعب بن سعد الغنوي يريث أخاه :-

وَدَاعٍ دَعَا يَا مِنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى
فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبٌ^(٦)

(١) يقصد بقوله : (وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة) ما أصابه في جسمه
من الحلة المسمومة التي بعث بها إليه ملك الروم . ومعنى (لعل منايانا تحولن
أبوساً) يريد : لعل ما بي من شدة الحال والبلاء عوض من الموت وبدل منه
(الديوان ص ١٠٧ . الدرر اللوامع ١-٨٣) .

(٢) الذي : ساقطة في ط .

(٣) في ط : بأنه .

(٤) في ط زيادة : منه .

(٥) في ب واستراحة .

(٦) هذه الأبيات من قصيدة يريث بها أخاه ويكنى أبا المغوار .
والواو واو رب - والداعي : السائل . يستجبه : استجاب . إذا عدى إلى
الداعي عدى باللام فيقال استجبت له . وبنفسه . فيقال : استجبت . وإذا
عدى إلى الدعاء تعدى بنفسه . وقيل إن استجاب هنا بمعنى أجاب أي لم يجبه .
وفي ط وفي شواهد النحو (جهرة) بدل (دعوة) وفي ط لعل أبي بالجر .
وفي الأمازي إنّه محبب بدل نجيب .

وكعب شاعر إسلامي وهو من بني سالم بن عبيد بن سعد بن عوف .

(انظر الأمازي ١-١٥٠ . الخزانة ٣-٦٢١ . ٤-٣٧٥)

فقلتُ ادعْ أُخرى وارْفَعْ الصوتَ دَعْوَةً
لعلَّ أبا المغوار منك قريب

يُجِيبُكَ كما قد كان يَفْعَلُ إنه
نَجِيبٌ لأبوابِ العلاءِ طَلُوبُ

وقال النابغة يرثي النعمان :

فإنْ تَحَى لا أَمَلُ حَيَاتِي وإنْ تَمَّتْ
فما في حَيَاةٍ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلٌ^(١)

ومن هذا قولُ الرجلِ المحرَّقِ لِبَنِيهِ^(٢) :

« إذا أَنَا مِتُّ فَأَحْرَقُونِي ، ثم اذْرُوا رَمَادِي فِي الِیَمِّ ،
فَلَعَلِّي أُضِلُّ اللَّهَ ، فوالله لئن قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيَّ لِيُعَذِّبَنِي
عَذَاباً شَدِيداً . »

ألا ترى أنه قد أخرج ما قد تحقق أنه لا يكون
مُخْرَجَ ما يَرَجَى أن يكون ، تَقَلُّلاً بِذَلِكَ ، واستراحة^(٣)

(١) البيت من قصيدة يرثي بها النعمان بن الحارث الغساني لا النعمان
ابن المنذر . والرواية في ط (في حياتي) وهي مخالفة لرواية الديوان . والمعنى :
ما دمت حياً لا أمل الحياة لما أجد منك من أنس و نفع ، وإن تمت فلا خير
في الحياة بعدك (شرح الديوان ٦٢) .

(٢) ورد في مسلم ٨-٩٧ باب التوبة بروايتين وليس فيهما (فلعل)
أصل الله) ، وفي البخاري كتاب التوحيد ٩-١٧٩ وليس فيه (لعل) أصل
الله) وفي مسند الإمام أحمد ١-٣٩٨ .

(٣) في ب واستراحة .

إليه ، كما فعل امرؤ القيس حين اشتد به البلاء في
قوله : لعل منايانا تحولن أبوساً .

وهو لا يشك في أن الذي رجا ممتنع .

ومن أبين ما في ذلك قول الآخر :

أخادع نفسي بالأمانى تعللاً

على العلم مني أنها ليس تنفسع

وأما قوله : فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً

شديداً ، فمعناه فوالله لئن ضيق الله عليّ طرق الخلاص

ليعذبني . وليس يشك في قدرة الله ، ولو شك في قدرته

لكان كافراً . وإنما هو كقوله تعالى : « فظن أن لن

نقدر عليه »^(١) وقوله :

[ومن قدر عليه رزقه]^(٢) أي ضيق .

ويجوز أن يكون من القدر الذي هو القضاء ، فيكون

معناه :

(١) الأنبياء : ٨٧ . وهي بتامها : (وذا النون إذ ذهب مغاضبا

فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى
كنت من الظالمين) .

(٢) الطلاق : ٧ . وتام الآية : (ليتفق ذو سعة من سعته ، ومن

قدر عليه رزقه ، فليتفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاهها سيجعل
الله بعد عسر يسراً) .

[فوالله لئن قدرَ اللهُ على لِيُعَذِّبُنِي العذابَ] ^(١) فحذف

المفعول اختصاراً كما قال النابغة الجعدي :

حتى لِحِقْنًا بهم تُعْدِي فَوَارِسَنَا
كَأَنَّا رَعْنُ قُفٌّ يَرْفَعُ الآلَا ^(٢)

أراد تُعْدِي قَوَارِسَنَا الخيلَ .

وقد يجوز أن يكون قوله : « فوالله لئن قدرَ اللهُ عَلَيَّ من القُدرةِ على الشيءِ . فإن قيل : كيف يصح هذا . ودخول الشرط عليه قد جعله من حيز الممكن الذي يجوز أن يكون ، ويجوز أن لا يكون ، وهذه خاصة الشرط ؟ ألا ترى أنك إذا قلتَ : إن جاءني زيدٌ أكرمه فممكن

(١) عبارة ب (فوالله لئن قدر اللهُ على العذاب ليعذبني) بتقديم العذاب وهي أوضح .

(٢) رواية الأصل لحقناهم ، وما أثبتناه هو الموافق لمسا في الديوان . ومسا في : ب ، ظ وأمالى القالى . والخصائص . والرعن بفتح الراء أول كل شيء ، والقف بضم القاف ما غلظ من الأرض ، ولم يبلغ أن يكون جبلا ، والآل : السراب ، ويريد : يرفعه الآل . ولكنه قلب على عادة العرب ، والأصل تُعْدِي فوارسنا الخيل . فحذف المفعول الذي هو الخيل . والنابغة الجعدي هو عبد الله بن قيس بن جعاءة بن كعب بن ربيعة شاعر مخضرم نادم النعمان بن المنذر كما نادمه النابغة الذبياني . وأدرك رسول الله الله صلى الله عليه وسلم . وأنشده شعراً فدعا له .

انظر الديوان ص ١٠٦ الأمالى للقالي ٢ - ٢٨٨ . المختضب ٢ - ٢٧ .
الخصائص ١ - ١٣٤ .

أن يقع ذلك ، وممكن ألا يقع . وهذا شك محض في
 قدرة الله تعالى^(١) ؟؟ فالجواب^(٢) أن العرب قد تستعمل^(٣)
 [إن] التي للشرط بمعنى إذا كما تستعمل إذا بمعنى
 إن . وإذا^(٤) تقع على الشيء الذي لا يشك في كونه
 كقولك^(٥) إذا كان الليل فأتني ، وكون الليل لا بد^(٦)
 منه . وكقوله تعالى : [إذا السماء انفطرت]^(٧)

فمعناه على هذا : فوالله إذا قدر الله على ليُعذِّبني
 عذاباً شديداً .

وإنما جاز وقوع إن التي للشرط موقع إذا الزمانية
 لأن كل واحدة منهما تحتاج إلى جواب ، والشيطان
 إذا تضارعا^(٨) جاز أن يقع كل واحد منهما موقع صاحبه ،

(١) في ط عز وجل .

(٢) في ط والجواب .

(٣) ساقطة في ب .

(٤) لأن إذا تدل على أن شيء طها محقق الوقوع . وأما إن فشرطها
 مشكوك في وقوعه . وقوله لا يشك في كونه أي وجوده .

(٥) في ط كقولك .

(٦) عبارة ب (لا بد له منه) . وكون الليل : أي وقوعه ووجوده .

(٧) الانفطار : ١ .

(٨) تضارعا : تشابها .

فمما وقعت فيه إن موقع إذا قوله تعالى : [لَتَدْخُلُنَّ
المسجدَ الحرامَ إن شاء اللهُ آمِنينَ]^(١)

وقول النبي صلى^(٢) اللهُ عليه وسلم حين وقف على القبور :
« وَإِنَّا إِن شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ »^(٣) يريد إذا شاء اللهُ .

ومنه قول الشاعر :

فإن لا يكن جسمي طويلا فإنني

له بالفعال الصالحاتِ ووصول^(٤)

معناه : فإذا لم يكن جسمي طويلا فإنني أطيله بالأفعال

(١) الفتح : ٢٧ . بعض آية أولها : (لقد صدق اللهُ رسوله الرؤيا
بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء اللهُ آمِنينَ) .

(٢) في ط : عليه السلام .

(٣) رواه مسلم في باب الجنائز (٣-٦٣ ، ٦٤) ورواه أحمد في مسنده
بلفظ « وإنا بكم لاحقون » ٦-٧١ .

(٤) نسبة في الحماسة لرجل من الفزاريين ، ورواية الحماسة :

إلا يكن عظمي طويلا فإنني له بالحصال الصالحات وصول

وبعده :

ولا خبر في حسن الجسم ونبهها . إذا لم تزن حسن الجسم عقول

(انظر شرح الحماسة للمرزوقي ٣-١١٨١) .

الحَسَانَ وَلَا يَصْلِحُ^(١) الشَّرْطَ مَا هُنَا لِأَنَّ قِصْرَ جِسْمِهِ
شَيْءٌ قَدْ كَانَ وَوَقَعَ ، فَالشَّرْطُ هُنَا مَحَالٌ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ
الْآخِرِ .

فَإِنْ أَكُّ قَدْ فَارَقَتْ نَجْدًا وَأَهْلَهُ

فَمَا عَهْدٌ نَجِدُ عِنْدَنَا بِذَمِّهِ^(٢)

وَأَمَّا وَقُوعٌ إِذَا بَمَعْنَى إِنْ فَكَقَوْلِ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ :-

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرَضْ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخِنَا

أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ^(٣)

وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْخِنَا مُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ ، وَمُمْكِنٌ أَنْ

لَا يَكُونَ ، فَلَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاضِعِ إِذَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَوَاضِعِ إِنْ .

وَأَمَّا وَرُودُ الْمَدْحِ فِي صُورَةِ الدَّمِ فَكَقَوْلِهِمْ : أَخْزَاهُ اللَّهُ

مَا أَشْعَرَهُ !!

وَلَعَنَهُ اللَّهُ مَا أَفْصَحَهُ ، وَكَقَوْلِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ الْغَنَوِيِّ :

(١) فِي ب ، ط : وَلَا يَصْلِحُ .

(٢) لَمْ نَعْرِضْ عَلَى قَائِلِهِ .

(٣) الْخِنَا : الْفَحْشُ (انظر الأديوان ص ٩٩ بيروت) .

هَوَتْ أُمَّهُ مَا يَبْعَثُ الصَّبْحُ غَادِيًا
وماذا يردُّ الليلُ حينَ يَؤُوبُ^(١)

وذكر ابن جنِّي أنَّ أعرابياً رأى ثوباً ، فقال
ماله محقه الله ؟ قال :

فقلت له : لم تقول هذا ؟ فقال : إنا إذا استحسننا
شيئاً دعونا عليه .

وأصل هذا أنهم يكرهون أن يمدحوا الشيء ، فيصيبونه^(٢)
بالعين ، فيعدلون عن مدحه إلى ذمه . وأما ورود الظم
في صورة المدح فكقوله تعالى :

(١) هوت أمه : هلكت . وليس المراد الدعاء بالوقوع في الهلاك ،
بل المراد التعجب والمدح كقولهم : قاتله الله ما أفصحه !! أي أنه مستحق
لأن يحسد ويدعى عليه بالهلاك . وهذا من مخالفة ظاهر اللفظ معناه .
وما استفهامية يقصد منها التعجب والاستعظام . وما بعدها خبر . أي :
أي شيء يبعث الصبح منه حين يغدو للحرب وأي شيء يرد الليل منه حين
يرجع إلى أهله . يعني أنه شيء عظيم . وفي البيت تجريد . يعني أنه كان
يغدو في طلب الغارة ويرجع بالليل ظافراً .
(الأمالي ٢-١٥٠ . الخزانة ٤-٣٧٥ . شرح شواهد الكشاف ٤-٧٩٠) :

(٢) في ط . ب فيصبيوه . عطفنا على يمدحوا .

[إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمَ الرَّشِيدُ] (١)

وقول الشاعر :

وَقُلْتُ لَسَيِّدِنَا يَا حَلِيمُ إِنَّكَ لَمْ تَأْسُ أَسْوَأَ رَفِيقَا (٢)

وأما التقليل الوارد بصورة التكثير فنحو قوله (٣) :

كَمْ بَطَلٍ قَتَلَ زَيْدٌ ، وَكَمْ ضَيْفٍ نَزَلَ عَلَيْهِ !! وَأَنْتَ
تُرِيدُ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ بَطْلًا قَطْ ، وَلَا قَرَى ضَيْفًا ، وَلَكِنَّكَ
تَقْصِدُ الْإِسْتِهْزَاءَ بِهِ ، كَمَا تَقُولُ لِلْبَخِيلِ يَا كَرِيمُ ،
وَلِلْأَحْمَقِ يَا عَاقِلُ .

وأما التكثير الوارد بصورة التقليل فنحو قولك :

رُبَّ ثَوْبٍ حَسَنٍ قَدْ لَبِسْتُ ، وَرُبَّ رَجُلٍ عَالِمٍ قَدْ لَقِيتُ ،
فَتَقَابِلْ مَا لَبِسْتَ مِنَ الثِّيَابِ ، وَمَنْ لَقِيتَ مِنَ الْعُلَمَاءِ

(١) هود : ٨٧ . والآية بتامها : (قالوا يا شعيب أصلانك تأمرك

أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد)
وقال الزمخشري أرادوا بقولهم « إنك لأنت الحليم الرشيد » نسبته إلى غاية
السفه والغي فعمكسوا ليهكموا به كما يهكم بالشحيح الذي لا تبص حجره
فيقال له لو أبصرك حاتم لسجد لك . ٢٠٠-٢٠٤

(٢) لم يعرف قائله . لم تأس من أسأ الجرح أسوأ وأسا : داواه

وأسا بينهم : أصلح . جعله ابن فارس من باب ما يجرى من كلامهم مجرى
التهكم والهزء فهم يقولون للرجل يستجهل : يا عاقلي (الصاحبي ص ٢١٤) .

(٣) في قولك .

تواضعاً ليكون. أجل لك في النفوس ، لأن الرجل إذا
 حقر نفسه تواضعاً ثم اختبر فوجد أعظم مما وصف به
 نفسه عظم في النفوس ، وإذا تعاضم ، وأنزل نفسه
 فوق منزلتها ثم اختبر فوجد أقل مما قال . استخف به ،
 وهان على كل من كان يُعظمه .

وقد يستعمل تقليل الشيء - وهو كثير في الحقيقة -
 لضروب من الأغراض والمقاصد ، كالرجل يهدد صاحبه
 فيقول له : لا تعادني^(١) فربما ندمت . وهذا مكان ينبغي
 أن تكثر فيه الندامة ، وليس بموضع تقليل ، وإنما
 تأويله أن الندامة على هذا لو كانت قليلة لوجب أن
 يتجنب ما يؤدي إليها ، فكيف وهي كثيرة ؟ فصار
 فيه من معنى المبالغة ما ليس في التكثير لو وقع ها هنا .
 ومن هذا قوله تعالى^(٢) : [رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لو كانوا مسلمين]^(٣) .

(١) في ط لا تعادني .

(٢) الحجر : ٢ .

(٣) قال الزمخشري في تفسير الآية . فإن قلت فما معنى التقليل ؟
 قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلاك ستندم على فعلك ، وربما
 ندم الإنسان على ما فعل . ولا يشكون في ندمه ، ولا يقصدون تقليله ،
 ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكاً فيه أو كان قليلاً لحق عليك أن لا تفعل

وإنما تأتي رب بمعنى التكثير في مواطن الافتخار .
والوجه في ذلك أن المفتخر يريد : أن الأمر الذي يقل
وجوده من غيره يكثر وجوده منه فيستعير لفظ التقليل
في موضع التكثير إشارة إلى هذا المعنى ، وليكون أبلغ
[في ^(١)] الافتخار .

وقد توهم قوم ^(٢) أن رب للتكثير حين خفي عليهم
ما ذكرناه من تداخل المعاني ، وهذه غفلة شديدة

هذا الفعل لأن العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون . كما يتحرزون
من المتيقن ، ومن القليل منه كما من الكثير ، وكذلك المعنى في الآية :
لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة فبالحرى أن يسارعوا إليه ، فكيف
وهم يودونه في كل ساعة ؟ . الكشاف ٥٩٦ .
(١) ساقطة في ب .

(٢) يرى العلامة ابن السيد أن رب موضوعة للتقليل . ولا تكون
للتكثير إلا تجوزاً . وهذا رأى أكثر النحاة وهو مخالف لرأى سيبويه ،
لأن ظاهر مذهب سيبويه العكس أى أنها للتكثير كثيراً ، لأنه جعل معناها
كمعنى كم الخبرية . فيقول في ٢٩١-١ عن كم . ومعناها معنى رب ، وفي
٢٩٣-١ قال : واعلم أى كم في الخبر لا تعمل إلا فيما تعمل فيه رب لأن
المعنى واحد . ويقول ابن هشام في المغنى ١-١٣٤ وليس معناها التقليل دائماً
خلافاً للأكثرين ، ولا التكثير دائماً خلافاً لابن درستويه وجماعة . بل
ترد للتكثير كثيراً وللتقليل قليلاً فن الأول . ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين وفي الحديث يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة . ومن الثاني
قول الشاعر :

ألا رب مولود وليس له أب وذى ولد لم يلد له أبوان

لأننا نجد المدح قد يخرج مخرج الدم ، والدم يخرج مخرج المدح ، ولا يخرجهما ذلك عن موضوعهما الذى وضعنا عليه فى أصل وضعهما ، كما أن الاسم العلم الذى وضع فى أصل وضعه للخصوص قد يعرض له العموم ، والنكرة التى وضعت فى أصل وضعها للعموم قد يعرض لها الخصوص ، ولا يُبطلُ ذلك وضعهما الذى وضعنا عليه أولاً ، وإنما ذلك لكثرة المعانى وتداخلها ، واختلاف الأغراض وتباينها ، فمتى وجدت شيئاً قد خالف أصله ، فإنما ذلك لسبب وغرض ، فيجب [لك] ^(١) أن تبحث عنه ولا تتسرع إلى [نقض] ^(٢) الأصول دون تثبيت وتأمل .

فمن مشكل هذا الباب قول أبى كبير الهذلى :

أزهيرَ إن يَشِبَّ القَدالُ فإِننى

رُبَّ هِيضَلٍ مَرَسَ لَفَفْتُ بِهِيْضَلٍ ^(٣)

(١) هكذا فى جميع الأصول .

(٢) فى ط بعض وهو تصحيف .

(٣) وروى هيضل لجب ، والهيضل : الجماعة المتسلحة . ومرس ذومراس وشدة . والجب المرتفع الصوت . وهو يخاطب امرأة اسمها زهيرة ، يقال : إنها ابنته :

وأبو كبير أحد فطاحل شعراء الهذليين واسمه عامر بن الحليس من هذيل (أشعار الهذليين ٣-١٠٧٠) :

وَرُبَّ (١) هُنَا مَخْفَفَةٌ مِنْ رُبٍّ .

وَقَوْلُ أَبِي عَطَاءٍ السُّنْدِيِّ :

فَإِنْ تَمَسَّ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ قُرْبَمًا

أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوَفُودِ وَوُفُودٍ (٢)

والمراد بهذين البيتين التكثير ، ولكن خرجا مخرج
التقليل ليكون أمدح ، والمعنى أن هذا لو كان قليلا
لكان فيه فخرا لصاحبه ، فما ظنك به وهو كثير .

ويحتمل قولُ أبي عطاءِ السُّنْدِيِّ أن يكون أراد تقليل
مدة حياة المرثى التي كثرت عليه فيها الوفود . فعلى نحو
هذه التأويلات يُتَأَوَّلُ ما وردَ مخالفا للأصول . وملاك
هذا الباب معرفة الحقيقة والمجاز ، وهو باب يدق
على من لم يتمهر في هذه الصناعة ، فلذلك يُنكَرُ كثيرا

(١) في ط هنا زيادة (زهير ههنا ترخيم زهيرة وهي ابنته فلذلك
فتح الراء) .

(٢) هذا البيت من قصيدة يرثي بها يزيد بن عمر بن هبيرة لما قتله
المنصور بواسط سنة ١٣٢ هـ . والمراد بالوفود : طلاب الحاجات .

وأبو عطاء هو أفلح بن يسار السندي مولى بني أسد . وهو شاعر مخضرم
عاصر الدولتين الأموية والعباسية وكان متشعبا لبني أمية . توفي أيام المنصور .

(الأغاني ١٦-٧٨ . شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢-٨٠٠ . الخزانة

١٦٧-٤ . وفيات الأعيان ٢-٣٦٩)

مما هو صحيح ، والله در أبي الطيب حيث يقول :
 وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم^(١)
 ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم
 ومن طريف^(٢) المجاز العارض من طريق التركيب
 إيقاعهم أدوات المعاني على السبب^(٣) ، ومرادهم المسبب
 تارة ، وتارة يوقعونها على المسبب ومرادهم السبب ،
 وإنما يفعلون هذا لتعلق أحدهما بالآخر .

فمثال الأول قوله تعالى : [فلا تموتنَّ إلا وأنتم
 مسلمون]^(٤) .

فأوقع النهي على الموت في اللفظ ، والموت ليس
 بفعل لم فيصح نهيهم عنه ، وإنما نهاهم عن مفارقة
 الإسلام ، فمعناه لا تفارقوا الإسلام حتى تموتوا عليه .
 فأوقع النهي على الموت لأنه السبب الذي من أجل تَوَقُّعه
 وخَوْفه يانزم الإنسان أن يستعد لوروده ، ويتأهب له
 بصالح عمله .

-
- (١) انظر شرح العكبري لديوان المتنبي (١٢٠-٤) .
 (٢) في ط : ومن طريف بالظاء . وهو تصحيف .
 (٣) يقصد من أدوات المعاني حروف المعاني مثل حروف النفي والنهي .
 (٤) الآية وردت في الأصل (فلا تموتن) فهي من سورة البقرة :
 جزء من آية ١٣٣ . وفي ب و ط (ولا تموتن) بالواو فهي من سورة
 آل عمران جزء من آية ١٠٢ .

والثاني مثل قوله تعالى : [فما تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ
الشَّافِعِينَ] (١) .

وليس المراد إثبات شفاعه غير نافعه ، لأنه لا شفاعه
هناك فى الحقيقه بدليل قوله تعالى : [فما لنا مِن
شافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ] (٢) .

فأوقع النفى على المنفعة التى هى السَّبَبُ ، ومراده
تعالى الشفاعه التى هى السَّبَبُ ، فكأنه قال : ما تكون
شفاعه ، فتكون مَنفَعَةٌ .

ونحوه قولك : ما نفعنى كلام زيد . فهذا كلام
يحتمل معنيين :

أحدهما : أن تريد إثبات الكلام ونفى المنفعة
وحدها .

والثانى : أن تريد نفيهما معاً أى لم يكن منه كلام ،
فَتَكُنْ مِنْهُ مَنفَعَةٌ .

ومثله قول امرئ القيس :

(١) المدثر : ٤٨ .

(٢) الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١ .

عَلَى لَا حَبَّ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ (١)

ولم يرد إثبات المنار ، ونفى الهداية ، ولو كان ثم منارٌ لكانت ثم هداية ، وإنما المعنى ليس به منارٌ فتكون هداية .

ومن هذا قول العرب : لَا أَرَيْنَكَ هَا هُنَا أَى لَا نَكُونُ (٢)
هَا هُنَا فَإِنِّي أَرَاكَ ، فالمراد بالنهى الكون (٣) لَا الرَّوْيَةَ .
وَنَحْوَهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

لَا أَعْرِفُن رِبْرِبَا حَوْرًا مَدَامَعَهَا
كَأَنَّ أَبْكَارَهَا نِعَاجٌ دَوَارٌ (٤)

فعلى هذا مجرى الباب .

(١) هذا صدر بيت عجزه : إذا سافه العود النباطى جرجرا :
واللاحب : الطريق البين الذى لحبته الحوافر أى أثرت فيه ، وقد يستعمل فى الطريق مطلقا .

النباطى : منسوب إلى النبط وهو أشد الأبل وأصبرها - سافه العود :
أى إذا شمه المسن من الإبل القوى صوت ورغا لبعده ، وما يلقى فيه من
مشقة (الديوان ص ٦٦) .

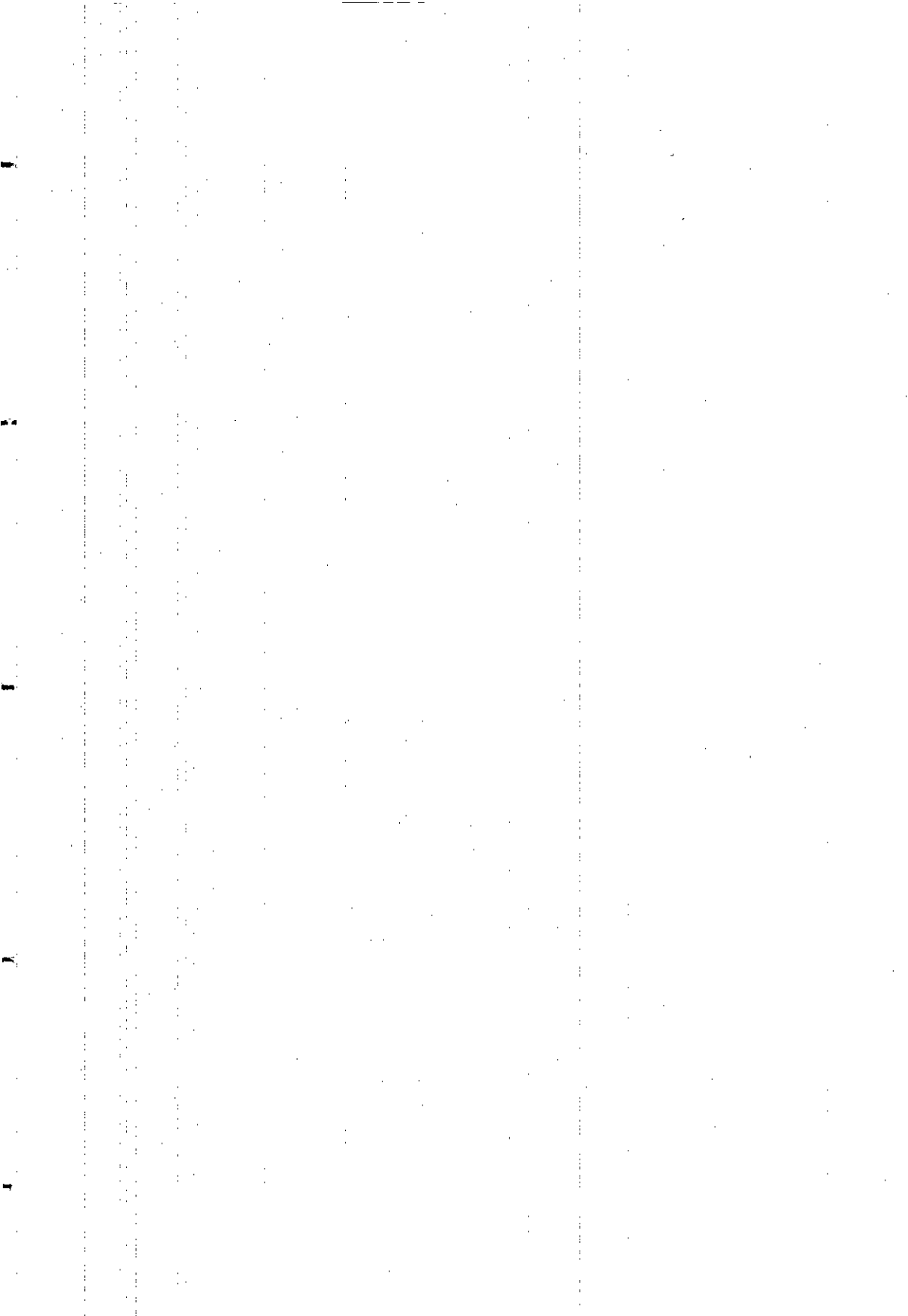
(٢) فى ب ، ط : لَا نَكُونُ .

(٣) الكون : يعنى الوجود .

(٤) الربرب : القطيع من بقر الوحش شبه به جماعة النسوة - المدامع :

العيون جمع مدمع - وحوور جمع حوراء من الحور وهو شدة بياض العين مع
شدة سواد سوادها . والدوار : ما استدار من الرمل . ونعاج الرمل : البقر ،
ولا يقال لغبر بقر الوحش . أى لا تعرضوا نساءكم للسبي .

انظر الديوان ص ٨٥ . بيروت .



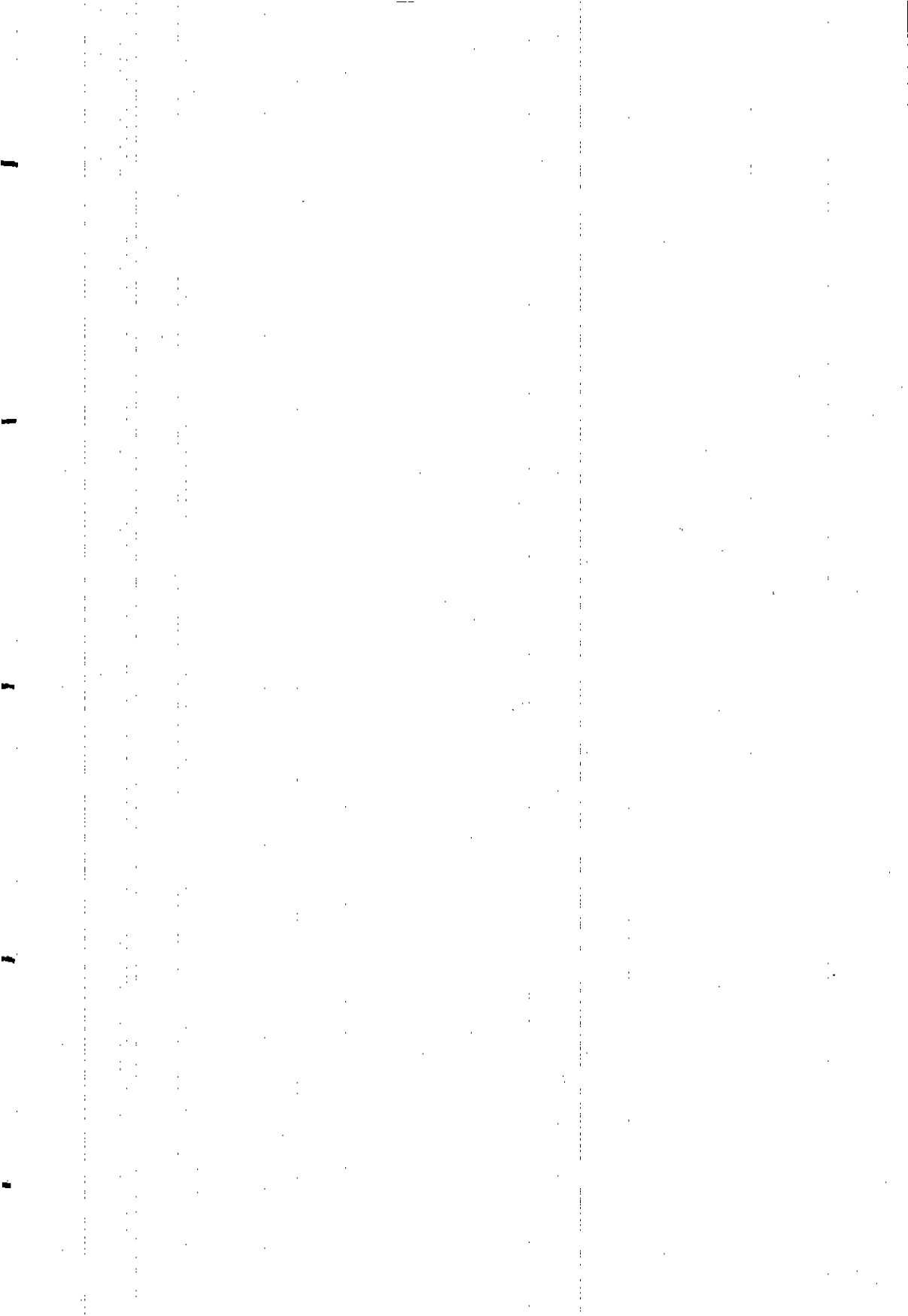
الباب الثالث

في الخلاف العارض

من جهة

الإفراء

والتركيب



هذا باب طريف^(١) جداً ، وقد تولدت منه بين الناس أنواع كثيرة من الخلاف وهو باب يحتاج إلى تأمل شديد ، وحذق بوجوه القياس ، ومعرفة [تركيب]^(٢) الألفاظ ، وبناء بعضها على بعض ، وذلك أنك تجد الآية الواحدة ربما استوفت الغرض المقصود بها من التعبد فلم تُحوِّجك إلى غيرها كقوله تعالى : [يا أيها الناس اتقوا ربكم^(٣)] و - يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله^(٤)] و - قوله تعالى : [أطيعوا الله وأطيعوا الرسول]^(٥) .

فإن كل واحدة من هذه الآيات قائمة بنفسها ، مستوفية للغرض المراد منها [فكذلك]^(٦) الأحاديث الواردة كقوله عليه السلام :

(١) في ط طريف وهو تصحيف :

(٢) ساقطة من ط :

(٣) النساء : ١ :

(٤) النساء : ١٣٦ .

(٥) النساء : ٥٩ :

(٦) في ب : ط : وكالك :

« الزعيم غارم » ، والبينة على المدعى واليمين على المدعى عليه » (١) .

وربما وردت الآية غير مستوفية للغرض المراد من التعبد ، وورد تمام الغرض في آية أخرى . وكذلك الحديث . كقوله عز وجل :

[من كان يُريدُ حَرثَ الآخرةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُريدُ حَرثَ الدنيا نُوتِهِ مِنْهَا ، وَمالُهُ فِي الآخرةِ مِنْ نَصيبٍ] (٢) .

فظاهر هذه الآية أن من أراد حَرثَ الدنيا أُوتِيَ منها ، ونحن نشاهد كثيراً من الناس يحرصون على الدنيا ولا يُوتون شيئاً منها . فهذا كلام محتاج إلى بيان وإيضاح .

ثم قال في آية أخرى :

(١) ورد في مسند أحمد ٥-٢٦٧ (العارية مؤداة ، والمنحة مردودة ، والدين مقضى ، والزعيم غارم) . وفي ٥-٢٩٣ عن أبي أمامة (الزعيم غارم) أما قوله : والبينة على المدعى ، واليمين على المدعى عليه . ففي حديث آخر رواه البخاري في باب الرهن ٣-١٨٧ . والترمذي في الأحكام . ورواه ابن ماجة في الأحكام عن ابن عباس بلفظ : (لو يعطى الناس بلغواهم لا دعى أناس دماء رجال وأموالهم . ولكن البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه)

(٢) الشورى : ٢٠ .

[مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ
نُرِيدُ] (١) .

فإذا أُضيفت هذه الآية إلى الآية الأولى بآن مراد
الله تعالى ، وارتفع الإشكال .

وكذلك قوله تعالى : [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ] (٢) .

ثم قال في آية أخرى : [بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ، فَيَكْشِفُ
مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ] (٣) .

فدل اشتراط المشيئة في هذه الآية الثانية على أنه
مراد في الآية الأولى . وربما وردت الآية مجملة ثم يفسرها
الحديث ، كآيات الواردة مجملة في الصلاة والزكاة
والصيام والحج ، ثم شرحت السنة والآثار جميع ذلك .
وكقوله تعالى : [وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ
نِسَائِكُمْ فَاستَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ] (٤) ، فإن شهدوا

(١) الإسراء : ١٨ .

(٢) البقرة : ١٨٦ .

(٣) الأنعام : ٤١ .

(٤) في الأصل منكن وهو محريف .

فَمَا مَسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ، أَوْ يَجْعَلَ
اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ^(١) .

ثم قال صلى الله عليه وسلم « خذوا عني قد جعل الله
لهن سبيلاً : البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ،
والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » ^(٢) .

ولأجل هذا صار الفقيه مضطراً في استعمال القياس
إلى الجمع بين الآيات المفترقة ، والأحاديث المتغايرة ،
وبناء بعضها على بعض

ووجه الخلاف العارض من هذا الموضع أنه ربما أخذ
بعض الفقهاء بمفرد الآية وبمفرد الحديث ، وبني آخر
قياسه على جهة التركيب الذي ذكرناه بأن يأخذ
بمجموع آيتين أو بمجموع حديثين ، أو بمجموع
آيات ، أو بمجموع أحاديث ، فتفضي هما الحال إلى

(١) النساء : ١٥ .

(٢) هذا حديث مشهور . رواه مسلم في صحيحه (٢-٣٣) ورواه

أحمد في مسنده (٥-٣٢٠) . (انظر تفسير ابن جرير ٨-٧٨) .

الاختلاف فيما ينتجانه ، وربما أفضت بهما الحال إلى التناقض ، فأحل أحدهما ما يحرمه الآخر . وربما أفضى بهما الأمر إلى اختلاف العقائد فقط ، وربما أفضى بهما إلى الاختلاف في الأسباب فقط ، كاختلافهم في سبب تحريم الخمر . فإن قوما يستدلون على وجوب تحريمها بمجرد قوله عز وجل (١) :

[« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »
وقوم يستدلون على وجوب تحريمها لمجرد قوله] (٢) :
يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان إلى قوله : فهل أنتم منتهون] (٣) .

وقوم يرون ذلك بطريق التركيب ، وبناء الألفاظ بعضها على بعض وذلك أنه لما قال تبارك وتعالى :

(١) الحشر : ٧ .

(٢) ما بين التوسين في ب ساقط من الأصل .

(٣) المسائدة : ٩٠ ، ٩١ . والآيتان : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) .

[يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما إثم كبير
ومنافع للناس]^(١) . ثم قال في آية أُخْرَى :

[قل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ
وَالْإِثْمَ]^(٢)

تركب من مجموع الآيتين قياساً أنتج تحريم
الخمر ، وهو أن يقال : كل اثم حرام ، والخمر اثم ،
فالخمر إذاً حرام .

ومثل هذا قوله تعالى فيما حكاه عن قوم لوط [أَنَتَّوْنَا
الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ]^(٣) . ثم قال
في هذه الآية التي ذكرناها :

[قل إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ] .
فَرَكَّبَ من مجموع الآيتين قياساً وهو : كل فاحشة
حرام ، وفعل قوم لوط فاحشة ، ففِعِلُ قَوْمُ لُوطٍ إِذَا
حرام .

فعلى مثل هذا أنتجت النتائج ، ورُكِّبَت القياسات ،

(١) البقرة : ٢١٩

(٢) الأعراف : ٣٣ .

(٣) الأعراف : ٨٠ .

ووقع بين أصحاب القياس الخلاف بحسب تقدم [القائس]^(١) أو بحسب تأخره .

وخالفهم قوم آخرون لم يروا القياس ، ورأوا الأخذ بظاهر الألفاظ ، فنشأ من ذلك نوع آخر من الخلاف .
ومما اختلفت^(٢) فيه أقوال الفقهاء لأخذ كل واحد منهم بحديث مفرد اتصل به [ولم يتصل به]^(٣) سواه ،
ما روى عن عبد الوارث بن سعيد أنه قال : قدمت مكة فالفيت فيها أبا حنيفة [وابن^(٤) أبي ليلى^(٥) وابن شبرمة ، فأتيت أبا حنيفة] ، فقلت ما تقول في رجل باع بيعاً وشرط شرطاً ؟؟ فقال : البيع باطل والشرط باطل .

(١) في ط : القياس وهو تحريف .

(٢) في ط اختلف .

(٣) هكذا في ب ، ط وفي أ أو لم يتصل به .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ط .

(٥) ابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن الأنصارى الكوفي نقيه من أصحاب الرأى ولى القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية ثم لبني العباس ، ومات بالكوفة سنة ١٤٨ هـ .

وفيات الأعيان ١-٤٥٢ • تهذيب التهذيب ٩-٣٠١ وابن شبرمة هو القاضي عبد الله بن شبرمة بن حسان روى عن أنس وأبي الطفيل وعبد الله بن شداد ، كان فقيها ثقة في الحديث . ولى قضاء البصرة وهو كاره . توفى سنة ١٤٤ هـ .

تهذيب التهذيب ٥-٢٥٠ . العقد الفريد ٢-٣٦٥ .

فَأْتَيْتَ ابْنَ أَبِي لَيْلَى ، فَسَأَلْتَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ :
 الْبَيْعُ جَائِزٌ ، وَالشَّرْطُ بَاطِلٌ ، فَأْتَيْتَ ابْنَ شُبْرُمَةَ ،
 فَسَأَلْتَهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : الْبَيْعُ جَائِزٌ ، وَالشَّرْطُ جَائِزٌ .
 فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ^(١) !! ثَلَاثَةٌ مِنْ فُقَهَاءِ
 الْعِرَاقِ لَا يَتَّفِقُونَ عَلَى مَسْأَلَةٍ !! فَعُدْتُ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ ،
 فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ صَاحِبَاهُ ، فَقَالَ : مَا أَدْرِي مَا قَالَا لَكَ ؟
 حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ . قَالَ : نَهَى
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيْعٍ وَشَرْطٍ ، فَالْبَيْعُ
 بَاطِلٌ ، وَالشَّرْطُ بَاطِلٌ ^(٢) .

فَعُدْتُ إِلَى ابْنِ أَبِي لَيْلَى فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ صَاحِبَاهُ ،
 فَقَالَ : مَا أَدْرِي مَا قَالَا لَكَ ؟ . حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ
 عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَشْتَرِيَ بَرِيرَةَ ، فَأَعْتَقَهَا الْبَيْعُ جَائِزٌ ،
 وَالشَّرْطُ بَاطِلٌ ^(٢) .

قَالَ : فَعُدْتُ إِلَى ابْنِ شُبْرُمَةَ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ صَاحِبَاهُ ،

(١) في ط « سبحان الله » دون يا .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط . وفي سبل السلام كتاب البيوع ٢-٢٩٦

(٣) حديث بريرة . رواه البخاري في كتاب البيوع (٣٠-٧١) .

(٦٤-٣) باب إذا اشترط شروطاً . ومسلم (كتاب المكاتب ٣-١٣٢) .

فقال ما أدري ما قالوا لكن حدثني مسعر بن كدام عن محارب بن دثار عن جابر . قال : بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعيرا ، وشرط لي حملانه إلى المدينة . البيع جائز والشرط جائز (١) .

وقد ترد الآية والحديث بلفظ مشترك يحتمل تأويلات كثيرة ، ثم ترد (٢) آية أخرى [و (٣) حديث آخر بتخصيص ذلك اللفظ المشترك ، وقصره (٤) على بعض تلك المعاني دون بعض كقوله عز وجل (٥) : « ووجدك ضالاً فهدى » (٦) .

فإن لفظة الضلال لما كانت مشتركة تقع على معان كثيرة توهم قوم ممن لم يكن لهم فهم صحيح بالقرآن ، ولا معرفة ثاقبة باللسان ، أنه أراد الضلال الذي هو

(١) مسند الإمام أحمد (٣-٢٩٩) بلفظ بعته واشترطت حملانه إلى أهلي .

(٢) هكذا في ب وفي أ ثم نراد :

(٣) في ب ، ط (أو)

(٤) في ط (وقصده) بالدال وهو تحريف :

(٥) في ط : وتعالى .

(٦) الضحى : ٧ .

ضد الهدى ، فزعموا أنه كان على مذهب^(١) قومه أربعين سنة . وهذا خطأ فاحش نعوذ بالله من اعتقاده فيمن طهره الله^(٢) لنبوته ، وارتضاه لرسالته ، ولو لم يكن في القرآن العزيز ما يردُّ قولهم لكان فيما ورد من الأخبار المتواترة ما يرد عليهم . ذلك لأنه قد روى أنهم كانوا يسمونه في الجاهلية الأمين ، وكانوا يرتضونه حكماً عليهم ، ولهم^(٣) . وكانت عندهم أخبار كثيرة يروونها وإنذرات من أهل الكتاب والكهان بأنه^(٤) يكون نبياً .

ولولا أن كتابنا هذا ليس موضوعاً لها لاقتصصناها ، فكيف والقرآن العزيز قد كفانا هذا كله ، فقله^(٥) عز من قائل في سورة يوسف : [نحنُ نقصُّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين]^(٦) .

(١) في ط « دين » .

(٢) في ط زيادة « تعالى » .

(٣) في ب ، ط حكما لهم وعليهم .

(٤) في ط : بأن .

(٥) في ب يقول الله عز وجل .

(٦) يوسف : ٣ .

فهذا نص جلي [قد]^(١) شرح ما وقع في تلك الآية من الإبهام وبين أنه إنما أراد الضلال الذي هو الغفلة كما قال في موضع^(٢) آخر: [لا يضلُّ ربِّي ولا ينسى]^(٣) أي لا يغفل .

وقال: [أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى]^(٤) أي تغفل وتنسى .

وقالت الصوفية معناه: ووجدك محبا في الهدى فهذاك، فتأولوا^(٥) الضلال ههنا^(٦) بمعنى المحبة . وهذا قول حسن جداً . وله شاهد من القرآن واللغة ، أما شاهده من القرآن فما حكاه الله تعالى من قول إخوة يوسف لأبيهم: [تالله إنك لفي ضلالك القديم]^(٧) .

(١) في ط : (في) بدل (قد)

(٢) في ط مواضع أخرى .

(٣) طه . آية ٥٢ . والآية بتامها: (قال علمها عند ربِّي في كتاب

لا يضلُّ ربِّي ولا ينسى) .

(٤) البقرة : ٢٨٢ .

(٥) في ب : فأولوا .

(٦) في ط : هنا .

(٧) يوسف : ٥٩ . (قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم) .

إنما أرادوا بالضلال ههنا^(١) إفراط محبته في يوسف
صلى الله عليه وعلى جميعهم^(٢) .

وأما شاهده من اللغة فإنه جائز في مذاهب العرب أن
تسمى المحبة ضلالا ، لأن إفراط المحبة تُشغل^(٣) المحب
عن كل غرض وتحمله على النسيان والإغفال لكل
واجب مفترض ، ولذلك قيل : الهوى يُعمى ويُصم .
فسميت المحبة ضلالا إذ كانت سبب^(٤) الضلال على
مذاهبهم في تسمية الشيء باسم الشيء إذا^(٥) كان منه
بسبب^(٦) .

ومن هذا الباب قوله تعالى في سورة نوح عليه السلام :
[أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون . يغفر لكم من ذنوبكم
ويؤخركم إلى أجل مسمى]^(٧) .

(١) في ط : هنا .

(٢) في ط : عليهم أجمعين .

(٣) في ط « يشغل » و « يحمله » بالياء .

(٤) في ط : تسبب .

(٥) في الأصل : إذ .

(٦) وهذا يسميه علماء البيان مجاز مرسلا .

(٧) نوح : ٣ ، ٤ . وتتمة الآية الرابعة : (إن أجل الله إذا جاء

لا يؤخر لو كنتم تعلمون) .

والأجل قد علمنا أنه لا تأخير فيه ، وقد بين ذلك بقوله تعالى في عقب الآية : « إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر » وقال في موضع آخر [فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون]^(١) . فوجب أن يُنظر في معنى هذا التأخير ما هو ؟ .

ثم وجدنا هذه الآية المبهمة المجملة قد شرحتها آية واضحة مفصلة كفتنا التأويل ، ولم تحوجنا إلى طلب الدليل ، وهو^(٢) قوله تعالى في أول سورة هود عليه السلام [وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى]^(٣)

فدلّت هذه الآية على أنه إنما أراد بتأخير الأجل التمتع الحسن . لأن التمتع الحسن يجتمع فيه الغنى والسلامة من الآفات والعز والذكر الحسن . والعرب تسمى هذه الأشياء كلها زيادة في العمر ، وتسمى أضعادها وخلافها نقصانا من العمر^(٤) .

(١) النحل : ٦١ . والآية : (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) .

(٢) في ط : وهي . (٣) هود : آية ٣ .

(٤) انظر ٢-٣٧٨ من تفسير الكشاف .

وقد جاء في بعض الحديث أن موسى عليه السلام شكَا
إلى الله تعالى بعدو له . فأوحى الله إليه : إني سأُميتُه .
فلما كان بعد مُدَّة (١) رآه فقيراً ينسج الحصر ، فقال
يا رب : ألم تعدني أن تميتَه ؟ فقال أو ليس قد أفقرته ؟
وقد تعين علينا في هذا الموضع أن نذكر على كم معنى
تتصرف الحياة والموت في اللسان العربي ليتبين ما ذكرناه
بشواهد حتى لا يبقى فيه لطاعن مطعن بحول الله
تعالى .

اعلم أن الحياة والموت لفظتان مشتركتان تستعملان
في اللغة العربية على ثلاثة عشر وجهاً :-

أحدها : الوجود والعدم والثاني مقارنة (٢) النفس
الحيوانية للأجسام ومفارقة إياها . والثالث : العز
والذل . والرابع : الغنى والفقير . والخامس : الهدى
والضلال . والسادس : العلم والجهل . والسابع : الحركة
والسكون . والثامن : الخصب والجذب . والتاسع :

(١) في ط : زمن .

(٢) هكذا في ب وفي الأصل غير واضحة . وفي ط : (مغارقة)

وهو تحريف إذ يفسد المعنى المقصود .

اليقظة والنوم . والعاشر : اشعال النار وخمودها .
والحادى عشر : المحبة والبغضاء . والثانى عشر : الرطوبة
واليبس . والثالث عشر : الرجاء والخوف .

ونحن نورد على كل وجه من هذه الوجوه أمثلةً تشهد
بصحة ما قلنا إن شاء الله تعالى .

أما الحياة والموت المراد بهما مقارنة^(١) النفوس للأجسام
ومفارقتها^(٢) إياها فَشُهُرُهُمَا تَغْنَى عَنْ إِيرَادِ مِثَالِ هُمَا .
وأما الوجود والعدم فكقولهم للشمس ما دامت موجودة
حياة . فإذا عدمت سموها : ميتة . قال ذو الرمة :

فلما رَأَيْنَ اللَّيْلَ وَالشَّمْسَ حَيَّةً
حياة الذى يقضى حُشَّاشَةً نَازِعَةً^(٣)

شبه الشمس عند غروبها بالحى الذى وجوده بنفسه
عند الموت وهو من التشبيه البديع . وقال آخر :

(١) فى ط : مفارقة . وهو خطأ

(٢) فى ط : ومفارقتهما . وهو تحريف .

(٣) الحشاشة : بقية النفس . يريد أن يقول : بقى من الشمس مثل
ما بقى من الذى ينزع أى يختصر .

شرح الديوان ٢-٨٠٢ .

إِذَا شَعَتْ أَدَانِي صُرُومٌ مُشَيِّعٌ
مَعِي وَعَقَامٌ تَتَقَى الْفَحْلَ مُقْلِبٌ

يطوف بها من جانبيها وَيَتَّقِي
بها الشمسَ حَيٌّ فِي الْأَكَارِعِ مَيِّتٌ^(١)

يريد ظلّها في نصف النهار . أراد أنه موجود في
الأَكَارِعِ معدوم من سائر الجسم .

وأما العز والذل ، والغنى والفقر فنحو ما قدمناه
من حديث موسى صلى الله عليه وسلم ونحو ما روى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : (من سره النَّسَاءُ
فِي الْأَجْلِ وَالسَّعَةِ فِي الرِّزْقِ فليصل رحمه)^(٢) . ومنه
قول الشاعر :

(١) الصرورم : الناقة التي لا ترد النضح حتى يخلو لها فتصرم عن
الإبل . مشيع : هي التي يتبعها غيرها . وناقعة عقام : بأزل شديد . والمقلى
هي التي تلد واحداً ثم لا تلد غيره بعد ذلك . وذلك كله كناية عن شدتها .
والأَكَارِعِ جمع أكرع وأكرع مفردة كراع ، فهو جمع الجمع ، والكرع
ما دون الكعب في ذات الخوافر وغيرها .

(٢) رواية البخارى في باب الأدب عن أنس بن مالك (من أحب
أن يبسط له في رزقه ، وينسأله في أمره فليصل رحمه) ، وكذلك رواه مسلم
في باب البر عن أبي هريرة (بلفظ من سره بدل من أحب) وكذلك رواه
البخارى في كتاب البيوع ٥٦-٢ .

ليس مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَا حَ بِنَيْتِ
إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ

إِنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَعِيشُ كَثِيبًا
كَاسْفًا بِأَلِهِ قَلِيلُ الرَّجَاءِ^(١)

وقال آخر :

فَأَتُّنُوا عَلَيْنَا لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ
بِأَفْعَالِنَا إِنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الْخُلْدُ^(٢)

وقال آخر :

وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو مَعَارًا حَيَاتِهِ بِعَمْرٍو
فَلَمَّا مَاتَ مَاتَ أَبُو عَمْرٍو

يقول : كان ابنه عمرو يُحْيِي ذِكْرَهُ فَكَانَهُ حَيًّا
فَلَمَّا مَاتَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ فَكَانَهُ إِنَّمَا مَاتَ حِينَئِذٍ .

وأما ما يراد به الهدى والضلال ، والعلم والجهل ،

(١) قائل هذا الشعر عدى بن الرعلاء الغساني . والرعلاء أمه اشتهر بها ، وهو شاعر جاهلي .
راجع (خزنة الأدب ٤-١٨٧ . أمالي الشجري ١-١٥٢ . المنصف لابن جني ٢-١٧) .

(٢) هذا البيت للمخادبة قطب بن أوس بن محصن بن جرول من قبس عيلان وهو شاعر جاهلي مقل . والبيت من قصيدة يفخر فيها بيوم كفاقة بين قومه بني ثعلبة وبين نمم .
(انظر الأبيات في الأغاني ٣-٢٧٠ - ٢٧٥) .

فكقوله تعالى^(١) [يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله
وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم]^(٢) ، وقوله عز وجل^(٣) :
[أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ]^(٤) .

المعنى : أو من كان ضالاً فهديناه ، وجاهلاً فعلمناه .
وتقول العرب للذكي النبيه : حي ، وللبليد الغبي :
ميت .

وقال لقمان لابنه : يا بني : جالس العلماء وازحمهم
بركبتك ، فإن الله يحيي القلب الميت بالكلمة من
الحكمة يسمعها كما يحيي الأرض بالمطر .

(١) الأنفال : ٢٤ .

(٢) قال الزمخشري : إذا دعاكم لما يحييكم من علوم الديانة والشرائع
لأن العلم حياة كما أن الجهل موت ، ول بعضهم :

لا تعجن الجهول حلتة فذاك ميت وثوبه كفن

راجع الكشف ج ٢ ص ٢١٠ .

(٣) الأنعام : ١٢٢ . والآية يتألفها : (أو من كان ميتاً فأحييناه
وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها .
كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) .

(٤) قال الزمخشري : مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ، ومنحه
التوفيق لليقين الذي يميز به الحق والمبطل ، والمهتدى والضال ، بمن كان ميتاً
فأحياه الله ، وجعل له نوراً يمشي به في الناس (٢-٦٢ من الكشف) .

وأما الحياة والموت المراد بهما الحركة والسكون فنحو
قول الراجز :

قد كنت أرجو أن تموت^(١) الريح
فأرقد اليوم وأستريح
فجعل هبوب الريح حياةً وسكونها موتاً . وقال
المجنون^(٢) :

يموتُ الهوى منى إذا ما لقيتها
ويحيا إذا فارقتها فيعود

وقال آخر :

ومجلودةً بالسوط فيه حياتها
فإن زال عنها الجلد بالسوط ماتت
يعنى الدوام^(٣)

(١) فى ط : يموت باليساء .

(٢) من هو المجنون الذى يعنيه المؤلف ؟ لقد لقب بالمجنون كثير
من الشعراء واشتهر بهذا اللقب قيس بن الملوح صاحب ليلى العامرية .
والظاهر أنه لا يقصده لأن البيت ليس له وإنما منسوب إلى جميل بن
عبد الله بن معمر الشاعر العذرى صاحب بثينة وموجود فى ديوانه فلعل
المؤلف يعنيه بلقب المجنون لأنه أحب بثينة وهام بها وكان يقمان فى وادى
القرى بالحجاز . وتوفى بمصر فى أواخر القرن الأول الهجرى .

الديوان ٦٧٠ بيروت . خزنة الأدب ٢-١٧٠ . الأمل ٣-٤٧ .

(٣) الدوام كرمانة التى يلعب بها الصبيان فتدار .

(انظر القاموس المحيط) .

وأما ما يراد به الخصب والجذب ، فإن العرب تقول :
أثيت الأرض فأحييتها إذا وجدتها مخصبة . ويقال
أرض حية بالهاء ، وأرض ميت بغير هاء^(١) . قال الله
تعالى : [وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا]^(٢) .

وقال آخر :

أقبل سليلٌ جاء من أمر الله
يخردُ حرد الحية المغلة^(٣)

قال بعض أصحاب المعاني : أراد بالحية : الأرض
المخصبة ، والمغلة ذات الغلة ، ويشهد لهذا التأويل رواية
من روى : الجنة بالجيم والنون

وقال آخرون : إنما أراد الحية نفسها ، والمغلة ذات

(١) في ط : ويقال أرض حية أى بالماء . وأرض ميتة أى بغير ماء
وهو تحريف .

(٢) سورة ق : ١١ . والآية بتمامها : (رزقا للعباد وأحيينا به بلدة
ميتاً كذلك الخروج) .

وفي ا . ب ، ط فأحيينا بالفاء . وهو مخالف لما في المصحف الشريف .
(٣) رواية اللسان :

وجاء سليل كان من أمر الله يخرد حرد الجنة المغلة
يخرد : يقصد . والرواية بخذف ألف الله وتسكين آخره : وترقيق
لامه .

(أمالي الشجرى ج ٢ ص ١٦ . اللسان (حرد) .)

ذات الغل والحقد ، وشبه تلوى السيل وانعطافه بتلوى
الحية وانعطافها إذا مشت .

وهذا قول ابن الرومي ^(١) :

بين حِقَافِي جَسَدُولِ مَسْجُورِ
كالسيفِ أو كالحية المذعورِ

وأما اليقظة والنوم فكقول الله عز وجل : [الله يتوفى
الأنفسَ حينَ موتها والتي لم تمت في منامها] ^(٢) .

فسمى النوم وفاة .

وسأل رجل ابن سيرين ^(٣) عن رجل غاب عن مجلسه .
فقال له : أما علمت أنه توفي البارحة ؟ فلما رأى جزع
السائل قرأ : [الله يتوفى الأنفس حين موتها] .
وقال الشاعر :

(١) في ط : ذو الرمة وهو تحريف . ومسجور : مملوء . وابن الرومي
هو علي بن العباس بن جريج . مولى عبيد الله بن عيسى بن جعفر عاش في
عصر الدولة العباسية توفي سنة ٢٨٣ هـ وقد اشتهر بالهجاء .

(٢) الزمر : آية ٤٢ .

(٣) ابن سيرين هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري تابعي ولد
وتوفى بالبصرة . واشتهر بتعبير الروايا .
(وفيات الأعيان ١-٤٥٣) .

تموت ونحيا كل يوم وليلة
ولا بد يوماً أن تموت ولا نحيا

وأما اشتعال النار وخمودها فمشهور متعارف أيضاً .
فمنه قول ذي الرمة يصف ناراً اقتدحها :

فقلتُ له ارفَعْها إليك فأحيها
بروحك، واقتته لها قَيْتَةً قَدْرًا^(١)

وقال آخر في مثله :

وزهراءٍ إن كَفَّنْتَهَا فهو عيشها
وإن لم أكَفَنْهَا فموت معجل

يعنى بالزهراء : الشررة الساقطة من الزند عند
الاقْتداح .

يقول : إن بادرت إليها عند سقوطها من الزند
فلففتها في خرقة حَيْتٍ وإن تركتها ماتت وطُفِئَتْ .

(١) رواية الديوان : وقتت بدل فقلت - ارفعها : أى ارفع النار -
فأحيها بروحك : أحيا بنفسك - اقتته : انفخ نفخاً ضعيفاً . واقتته :
افتعل من القوت أى أطعمها . والضمير فى اقتته يعود إلى الروح
(انظر شرح ديوان ذي الرمة ٣-١٤٢٩ . الخزانة ٤-٥٢) .

وأما الحياة والموت المستعملان بمعنى المحبة والبغضاء
فكقول الشاعر :

أبلغ أبا مالكٍ عنى مُغْلَغَلَةً

وفي العتاب حيساةً بينَ أقوامٍ^(١)

أى إذا تعاتبوا حييت المودة بينهم فإذا^(٢) تركوا
العتاب ماتت المودة أى ذهبت وانقطعت وصاروا إلى
البغضاء والتهاجر .

وأما الرطوبة واليبس فنحو ما ذهب إليه السدي في
قوله تعالى :

[يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ]^(٣)

قال : معناه يخرج السنبله الخضراء من الحبة
اليابسة ، ويخرج الحبة اليابسة من السنبله الخضراء .
وهذا راجع إلى معنى الخصب والجذب من بعض وجوهه .

(١) المغلغلة : الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد . وهكذا أشده ابن
برى في اللسان (غل) .

(٢) فى ب وإذا .

(٣) الروم : ١٩ .

وينحو نحوه قول ابن ميادة :-

سحائب لا من صيف ذي صواعق
ولا مخرفات ماوهن حميم
إذا ما هبطن الأرض قد مات عودها
بكيّن بها حتى يعيش هشيم^(١)

وأما الرجاء والخوف فلا أذكر عليهما شاهدا غير
تمل أبي الطيب :

تركتني اليوم في غفلة
أموت مراراً وأحياناً مراراً^(٢)

(١) حدث اسحاق بن أيوب بن سلمة : قدم ابن ميادة معتمراً في
رجب سنة خمس ومائة فنزل مطر شديد بمكة توالى فيه الصواعق ، وهدمت
بيوت ، فقال ابن ميادة : هذا العيث لا العيث ، فقلت : فما العيث ؟
فأنشد هذين البيتين . والصيف : المطر ينزل صيفاً ، والمخرفات : الممطرات
في الخريف . وهذه (رواية الكامل ١-٥١) ورواية (الأغاني ٢-٣٢٣) :
سحائب لا من صيف ذي صواعق - ولا محرقات ماوهن حميم .
وإبن ميادة هو الرماح بن أبرد بن ثوبان بن سراقبة ينتمي إلى غطفان وأمه
ميادة أم ولد وهو شاعر فصيح من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية مات
في خلافة المنصور .

(٢) رواية الديوان : تركتني اليوم في خجلة . وهو يوافق ما في ب
والبيت من قصيدة مخاطب بها سيف الدولة حين استبطأ مدح المتنبي له
فتنكر له . يقول في مطلعها :

أرى ذلك القرب صار ازورارا وصار طويل السلام اختصاراً

فهذه وجوه الحياة والموت في كلام العرب قد استوفينا
أقسامها لما جرى من ذكر الآية المتقدمة .

ثم نرجع إلى ما كنا فيه فنقول :

إن من ^(١) طريف [أهر] ^(٢) هذا الباب أنه قد يتولد
منه مقالتان متضادتان كلاهما ^(٣) غلط ، ويكون الحق
في مقالة ثالثة متوسطة بينهما ، ترتفع عن حد التقصير
وتنحط عن حد الغلو . وإذا تأملت المقالات التي شجرت
بين أهل ملتنا في الاعتقادات رأيت أكثرها على هذه
الصفة .

وقد نبهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك
بقوله :

== يريد المتنبي أن يقول :

بقيت في خجلة بين الناس لما أعرضت عنى فأموت بالخجلة ،
فإذا ذهبت رجعت إلى الحياة ، وإذا عادت صرت ميتا ، فبقيت ميتا مرارا
وحيا مرارا .

الديوان شرح العكبري ٢-٩٤ .

(١) في ط : طريف وهو تحريف .

(٢) ساقط في ب .

(٣) في ب كلتاها .

« دين الله بَيْنَ الْعَالِيِ وَالْمَقْصُرِ » (١)

وهذا تصريح منه بهذا الذي ذكرناه وتحذير منه .
وقال أيضا « خير الأمور أَوْسَطُهَا » (٢) .

رُقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عُلِّمَنِي دِينَنَا وَسُوطَنَا ،
لَا سَاقِطًا سُقُوطًا وَلَا ذَاهِبًا فُرُوطًا (٣) ، فَقَالَ : أَحْسَنْتَ
خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا .

وهذا نوع يطول فيه الكلام إن ذهبنا إلى تتبعه
ولكننا نذكر منه شيئاً يستدل به على غيره .

فمن ذلك أن قوما لما خطر ببالهم أمرُ القدرِ والقضاء ،
وأحبوا الوقوف على حقيقة ما ينبغي أن يُعتقد في ذلك .

(١) لم نعر على هذا الحديث في الصحاح ولا في كتب الحديث الموثوق
بها . وإن كانت وردت أحاديث كثيرة تنهى عن الغلو في الدين .

(٢) هذا الحديث مطعون فيه . روى للدليمي بلا سند مرفوعاً إلى
ابن عباس بلفظ داوموا على الفرائض خير الأعمال أوساطها . وفي رواية
خير الأمور .
(انظر كشف الخفاء ١-٤٦٩) .

(٣) أي ديننا وسطاً لا متقدماً بالغلو ، ولا متأخراً بالتلو . والفروط :
السبق . والفارط : المتقدم السابق ، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم
أنا فرطكم على الحوض . أي أنا متقدمكم إليه (اللسان فرط) والحسن البصري
إمام أهل البصرة . وحرر الأمة في زمنه ولد بالمدينة وشب في كنف علي
ابن أبي طالب . قال الغزالي كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام
الأنبياء توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ

(حلية الأولياء ٢-١٣١ . الأعلام ٢-٢٤٢)

تأملوا القرآن العزيز والحديث المأثور ، فوجدوا فيهما
أشياء ظاهرها الإجبار والإكراه ، كقوله تعالى :
[وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْجَاهِلِينَ] (١) .

وقوله تعالى : [خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ
وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ] (٢) .

وقوله : [بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ] (٣) ، و (٤) في
آيات كثيرة غير هذه .

ووجدوا في الحديث المأثور نحو ذلك كقوله صلى الله
عليه وسلم : « السعيدُ من سَعِدَ في بطنِ أمِّه ، والشقيُّ
من شَقِيَ في بطنِ أمِّه » (٥) .

فَبَيَّنَّا من هذا النوع من الآيات والأحاديث مقالة
أصلوها على أن العبد مُجْبَر ليس له شيء من الاستطاعة ،
وصرحوا بأن من اعتقد غير هذا فقد كفر .

(١) الأنعام : ٣٥ .

(٢) البقرة : ٧ .

(٣) النساء : ١٥٥ .

(٤) زيادة ليم بهاربط المعنى :

(٥) ورد في مسلم باب القدر بلفظ : الشقي من شق في بطن أمه ،
والسعيد من وعظ بغيره ، وفي مسند أحمد ٢-١٧٦ * وإن الشقي من شق في
فطن أمه .

وخطر ببال آخرين مثل ذلك ، فرأوا^(١) مذهب هؤلاء فلم يرضوه مُعتقداً لأنفسهم ، فتصفحوا القرآن والحديث ، فوجدوا فيهما آياتٍ أُخرَ ، وأحاديثٍ ظاهرها يوهم أن العبد مستطيع مفوض أمره إليه ، يفعل ما شاء كقوله تعالى : (ولا يرضى لعبادِهِ الكُفْرَ)^(٢) ، وقوله تعالى : [وأما ثمودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى]^(٣) - وقوله تعالى : [إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا]^(٤) .

وقوله صلى الله عليه وسلم « كل مولودٍ يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »^(٥) .

وقوله عليه السلام : « يقول الله تعالى خلقت عبادي حنفاءً كلهم فأجالتهم الشياطين عن دينهم »^(٦) .

فبنوا من هذا النوع من الآيات والأحاديث مقالة ثانية مناقضة للمقالة الأولى أصلوها على أن العبد مخير

(١) في ب : ورأوا . (٢) الزمر : ٧ .

(٣) فصلت : ١٧ . (٤) الدھر : ٣ .

(٥) البخارى كتاب الجنائز ٢-٨٢ . ومسلم فى كتاب البر ٨-٥٢ .

(٦) رواه مسلم فى باب الجنة عن عياض بن حمار المجاشعى .

مفوض إليه أمره يفعل ما يشاء ويستطيع على ما لا يريد
ربه . . . تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً . . .

ثم عمدت كل فرقة من هاتين الفرقتين إلى ماخالف
مذهبها من الآيات والأحاديث ، فطلبت له التأويل البعيد وردوا
ما أمكنهم رده من الأحاديث المناقضة لمذهبهم وإن كان
صحيحاً ، كمن يروم ستر ضوء النهار ، ويؤسس
بنيانه على شفا جرف هار .

ولما تأملت طائفة ثالثة مقالتي الفرقتين معاً لم
يرتضوا بواحدة منهما معتقداً لأنفسهم ورأوا أنهما
جميعاً خطأ . لأن المقالة الأولى تجويز للبارئ تعالى
وإبطال للتكليف .

[والمقالة الثانية تجهيل للبارئ تعالى بأمر خلقه (١)]

وتعجيز له عن تمام مشيئته فيهم وكلا (٢) الصفتين
لا تليق بمن وصف نفسه بأنه أحكم الحاكمين وأقدر
القادرين ، ووصف نفسه (٣) بقوله تعالى : [وما تَسْقُطُ

(١) ما بين القوسين ساقط من ط .

(٢) في ط وكتنا .

(٣) في ط . ووصف نفسه جل جلاله بقوله .

مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ
وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [(١)] .

وروأوا أَن الأخذ بالآيات والأحاديث الأول ليس
بأولى من الأخذ بالآيات والأحاديث الأخر . وَأَن الحق
إنما هو في واسطة تنتظم الطرفين وتسلم من شناعة المذهبيين
واعتبروا القرآن والحديث ببصائر^(٢) أصح من بصائر
الفريقين ، فوجدوا آيات وأحاديث تجمع شتيت^(٣)
المقاتلتين وتُخبرُ بغلط الفريقين كقوله تعالى : [وَلَوْلَا
أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَّ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا] (٤) .
وقوله تعالى في يوسف عليه السلام : [وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ
وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ] (٥) ، وقوله تعالى :
[وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ] (٦) . فأثبت للعبد
مشيئة لا تتم إلا بمشيئة ربه تعالى ، ووجدوا الأمة مجمعة
على قولهم : لا حول ولا قوة إلا بالله . وفي هذا إثبات
حول وقوة للعبد لا يتيان إلا بمعونة الله إياه ، ووجدوا

(١) الأنعام : ٥٩ .

(٢) في الأصل : واعتبروا القول والحديث مصائر .

(٣) في ط بين شتيت المقاتلتين . وفي ب : مشتت .

(٥) يوسف : ٢٤ .

(٤) الاسراء : ٧٤ .

(٦) الدهر : ٣٠ .

الأمّة مجمعةً على الرغبة إلى الله في العصمة والاستعاذة
به من الخذلان (وقولهم : اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا
فنعجزَ ولا إلى الناس فنضيع)^(١) ورأوا الله تعالى قد
أثبت لنفسه علمَ غيب وعلم شهادة بقوله تعالى :
[عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ]^(٢) .

فعلمه الغيب : علمه الأشياء قبل كونها ، وعلمه
الشهادة : علمه بالأشياء وقت كونها ، واعتبروا أحوال
الإنسان التي وقع فيها التكليف ، وأحواله التي لم يقع
فيها تكليف ، فوجدوا الله تعالى لم يأمره بألا يسمع
ولا يبصر ولا يأكل ، ولا يشرب على الإطلاق .

إنما أمره بأن يستعمل آلاته^(٣) التي يسمع^(٤) بها
ويبصر^(٥) ويأكل ويشرب في بعض الأشياء ولا يستعملها
في بعض . فوجب أن يكون بين الأمرين فرق ، ولا فرق

(١) ما بين القوسين في ب ، وط

(٢) الأنعام : ٧٣ .

(٣) في ط : الآلة .

(٤) في ب التي لم يسمع بها . وهو خطأ .

(٥) في ط زيادة بها .

هاهنا إلا أنه مُكَّنَّ من أحد الأمرين وجُعِلَتْ له استطاعة عليه ، ولم يمكن من الآخر .

وكذلك رأوا حركة يد المفلوج تخالف حركة يد الصحيح فثبت أن بينهما فرقا ، ولا فرق إلا وجود الاستطاعة (على وجه لا يقتضى ما توهمته ^(١) القدرية من التفويض) . ووجدوا مع هذا أحاديث تؤيد بطلان قول الفريقين معاً . وتدل على أن الحق متوسط بين غلو أحد الفريقين وتقصير الآخر ، كنعحو ما روى عن جعفر الطيار ^(٢) رضى الله عنه أن رجلا قال ^(٣) : هل العباد مجبرون ؟ قال ^(٤) : الله أعدل من أن يجبر عبده على معصية ، ثم يعذبه عليها . فقال له السائل : فهل أمرهم مفوض إليهم ؟ فقال : الله أعزُّ من أن يجوز في ملكه ما لا يريد . فقال له السائل : فكيف ذلك إذن ؟ قال : أمر بين الأمرين . لا جبر ولا تفويض .

وكنحو ما روى عن علي رضى الله عنه أنه لما انصرف

(١) ما بين القوسين زيادة في ب ، ط .

(٢) في ط . الصادق .

(٣) في ط : قال له .

(٤) في ب و ط : فقال جعفر .

من صَفِينٍ قام إليه شيخ فقال : يا أمير المؤمنين !!
أرأيت مسيرنا إلى صفين أبقضاء وقدر ؟ . فقال على :
والله ما علونا جبلا ، ولا هبطنا وادياً ولا خطونا خطوة
إلا بقضاء وقدر .

فقال الشيخ : فعند الله أحسب هنائي إذن مالى من
أجر .

فقال له على : مه يا شيخُ فإن هذا قول أولياء الشيطان
وخصماء الرحمن ، قَدْرِيَّةٌ هذه الأمة أَنَّ الله أمر تخييراً
ونهى تحذيراً ، لم يُعْصَ مغلوباً ، ولم يُطْعَ مكرهاً .
فضحك الشيخ ، ونهض مسروراً ، ثم قال :

أنت الإمام الذى نرجو بطاعته

يوم القيامة من ذى العرش رضوانا

أوضحتَ من ديننا ما كان ملتبساً

جزاك ربُّك عنا فيه إحسانا

وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه نحوُ مقالة

جعفر .

(فلما وجدوا جميع هذا الذى ذكرناه جمعوا الآيات

والأحاديث) (١) وبنوا بعضها على بعض فأنتج لهم من مجموعها مقالة «ثالثة» سليمة من شناعة المقاتلين منتظمة لكل واحد من الطرفين ارتفعت عن تقصير الجبرية ، وانحطت عن غلو القدرية . فوافقت قوله صلى الله عليه وسلم : «دين الله بين الغالي والمقصر» . بنوا تفريعها على أصل . جملة الغرض منه : أن الله تعالى عليم غيب سبق بكل ما هو كائن قبل كونه ، ثم خلق الإنسان فجعل له عقلا يرشده ، واستطاعة يصح بها تكليفه ، ثم طوى علمه السابق عن خلقه ، وأمرهم ونهاهم ، وأوجب عليهم الحجة من جهة الأمر والنهي الواقعين عليهم [لا] (٢) من جهة علمه السابق فيهم فهم يتصرفون بين مطيع وعاصٍ ، وكلهم لا يعدو علم الله السابق فيهم .

فَمَنْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ أَنَّهُ يَخْتَارُ الطَّاعَةَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَخْتَارَ الْمَعْصِيَةَ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَخْتَارُ (٣) الْمَعْصِيَةَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَخْتَارَ الطَّاعَةَ ، وَلَوْ جَازَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عِلْمُ اللَّهِ

(١) ما بين القوسين ساقط من ب

(٢) (لا) موجودة في ب . دون الأصل والمعنى لا يصح إلا -

(٣) في ب : بتخير

تعالى موصوفاً بالكمال ، ولكان كعلم المخلوق الذي يمكن
أن يقع الأمر كما علم ، ويمكن أن يقع خلاف ما علم .
وليس في علم الله الأمور قبل وقوعها إجباراً على ما توهمه
المجبرون ، ولا تتم لأحد استطاعةً على ما يهيم به من
الأُمور إلا بأن يعينه الله تعالى عليه أو يَكِلَهُ إلى حوله ،
ويسلمه إليه .

فإن عصمه مما يهيم به من المعصية^(١) كان فضلاً ،
وإن وكله إلى نفسه كان عدلاً . فإذا اعتُبرت حال العبد
من جهة الإضافة إلى علم الله السابق فيه الذي لا يعدوه
وجد في صورة المجبر ، وإذا اعتُبرت حاله من جهة
الإضافة إلى الاستطاعة المخلوقة له ، والأمر والنهي
الواقعين عليه وجد في صورة المُفَوَّض إليه . وليس
هناك إجبار مطلق ، ولا تفويض مطلق ، إنما هو أمر بين
أمرين ، يَدِقُّ عن أفكار المعتبرين ، ويحيرُّ أذهان
المتأملين .

وهذا هو معنى ما أشار إليه حُذَّاق أهل السنة من
قولهم : إن العبد لا مُطَلَقٌ ، ولا (موثَّق)^(٢) . فما ورد من

(١) في ط : المعاصي .

(٢) في ب : موثوق . ويبدو أنه محرف لأنه اسم مفعول من أوثقته
فهو موثوق .

الآيات والأحاديث التي ظاهرها الإيجاب ، فهو مصروف
إلى أخذ ثلاثة أشياء :-

، وإما إلى العلم السابق الذي لا مخرج للعبد [منه] ^(١) ،
ولا يمكنه أن يتخير غيره .

، وإما إلى فعل فعله الله تعالى به على جهة العقاب ،
كقوله تعالى : [بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ] ^(٢) .

، وإما إلى الإخبار عن قدرته تعالى على ما يشاء كقوله :
[وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدَى] ^(٣) .

، وما ورد من الآيات والأحاديث ظاهره التفويض ،
فهو مصروف إلى الأمر والنهي الواقعين عليه .

وإنما غلظت القدرية في هذا لأنهم لا يشبتون لله تعالى
علما سابقا بالأمور قبل وقوعها . وعلم الله عندهم محدث
(تعالى الله عما يقول الجاهلون) ^(٤) . فاعتبروا حال العبد
من جهة الأمر والنهي والاستطاعة المركبة فيه لا من
جهة العلم السابق .

(١) ساقطة من الأصل ثابتة في ب .

(٢) سورة النساء : ١٥٥ .

(٣) الأنعام : ٣٥ .

(٤) ساقط في ط .

وغلظت الجبرية لأنهم اعتبروا حال العبد من جهة علم الله السابق فيه لا من جهة الأمر والنهي الواقعين عليه [وظنوا أن علم الله تعالى بجميع ما يفعله العبد قبل فعله إياد إجبار منه له على الفعل . وكلا القولين غلظ لأنهم أخذوا بالطرف الواحد وتركوا الآخر] ^(١) .

ورأى المشيخة وجملة العلماء الوقفَ عن الكلام في ذلك والخوض فيه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إذا ذكر القضاء فأمسكوا » ^(٢) . فكان هذا المذهب أحسن المذاهب لمن أثر الخلاص والسلامة .

ولم يكن نبيه صلى الله عليه وسلم ونهى العلماء عن ذلك من أجل أن هذا أمر لا يمكن معرفة الحقيقة منه ، وإنما كان من أجل دقته وخفائه ، فإنه أمرٌ الخطأ فيه أكثر من الإصابة فأنت ترى القدرية والجبرية إلى يومنا هذا يختصمون فيه ، ويناقض بعضهم بعضا ،

(١) ما بين القوسين ساقط من ط ، ومن الأصل .

(٢) في كتب الحديث : إذا ذكر القدر فأمسكوا . وهو جزء من حديث رواه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن مسعود مرفوعا بسند ضعيف وهو : إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا . وإذا ذكر القدر فأمسكوا .

ولا يصلون إلى شفاء نفس ، وكل فرقة من الفرقتين
يفضى مذهبها إلى شناعة ، إذا ألزمتها فرت عنها .

[وكلا الطائفتين قد أخطأت التأويل ، وخلت عن
نهج السبيل ، ووصفت الله بصفات لا تليق به عند
ذوى العقول] (١)

وهذه (٢) جملة قليلة تفصيلها كثير و [هو (٣)] باب
ضيق المجال جداً ، والخائض فيه تسبق إليه الظنة بغير
ما يعتقد ، فلذلك نتحاشى الكلام فيه بأكثر مما نبهنا
عليه ، مع أننا لم نضع كتابنا هذا للخوض في المقالات ،
إنما وضعناه لتبيين المواضع التي نشأ منها الخلاف .

لكنا نقول ينبغي لمن طلب هذا الشأن ، ولم يقنعه
ما رآه العلماء ، وأمروا به من ترك الخوض فيه (٤) أن يراعى
أصلين ، فإن صحا له من معتقده ، فليعلم أنه [قد (٥)]

(١) ما بين القوسين ساقط من ا ، ط موجود في ب .

(٢) في ط زيادة - أعزك الله .

(٣) في ب وهذا .

(٤) في ب زيادة العبارة الآتية (وتوهم أن له منة) قوة (يصل بها
إلى الحقيقة من أمره) .

(٥) قد ساقطة من ب .

أصاب فَصَّ الحق . وإن أخطأهما ، أو واحداً منهما
فلعلم أنه قد غلط فليراجع النظر

أحدهما أنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله تعالى ،
وأن كلَّ فاعلٍ غيره إنما يفعل بمعونة من عنده ومادة
يُمدّه بها من فيضه وحوله . ولو وكله إلى نفسه لما كان
له فعل ألبتة^(١) .

والثاني أن أفعال الباري تعالى^(٢) كلّها حكمة محضة
لا عبث فيها ، وعدل محض لا جور فيه ، وحسن محض
لا قبح فيه ، وخير محض لا شر فيه ، وأن هذه
الأشياء^(٣) إنما تعرض في أفعالنا إما لوقوع الأمر والنهي
علينا ، وإما لما ركز في خلقتنا من القوة العقلية التي
ترينا بعض الأشياء حسناً ، وبعضها قبيحاً ، وكلا
الصفيتين لا يوصف بهما الباري تعالى لأنه لا أمر فوقه
ولا ناهي^(٤) ، وهو خالق العقل وموجدُه .

وجملة ذلك أنه لا يشبه شيئاً من المخلوقات في جهة

(١) ألبتة أى قطعاً بهمزة قطع . ويجوز وصلها . انظر القاموس وشرحه .

(٢) في ط : عز وجل .

(٣) في ط : الأفعال .

(٤) في الأصل : ناه . وهو أيضاً صحيح .

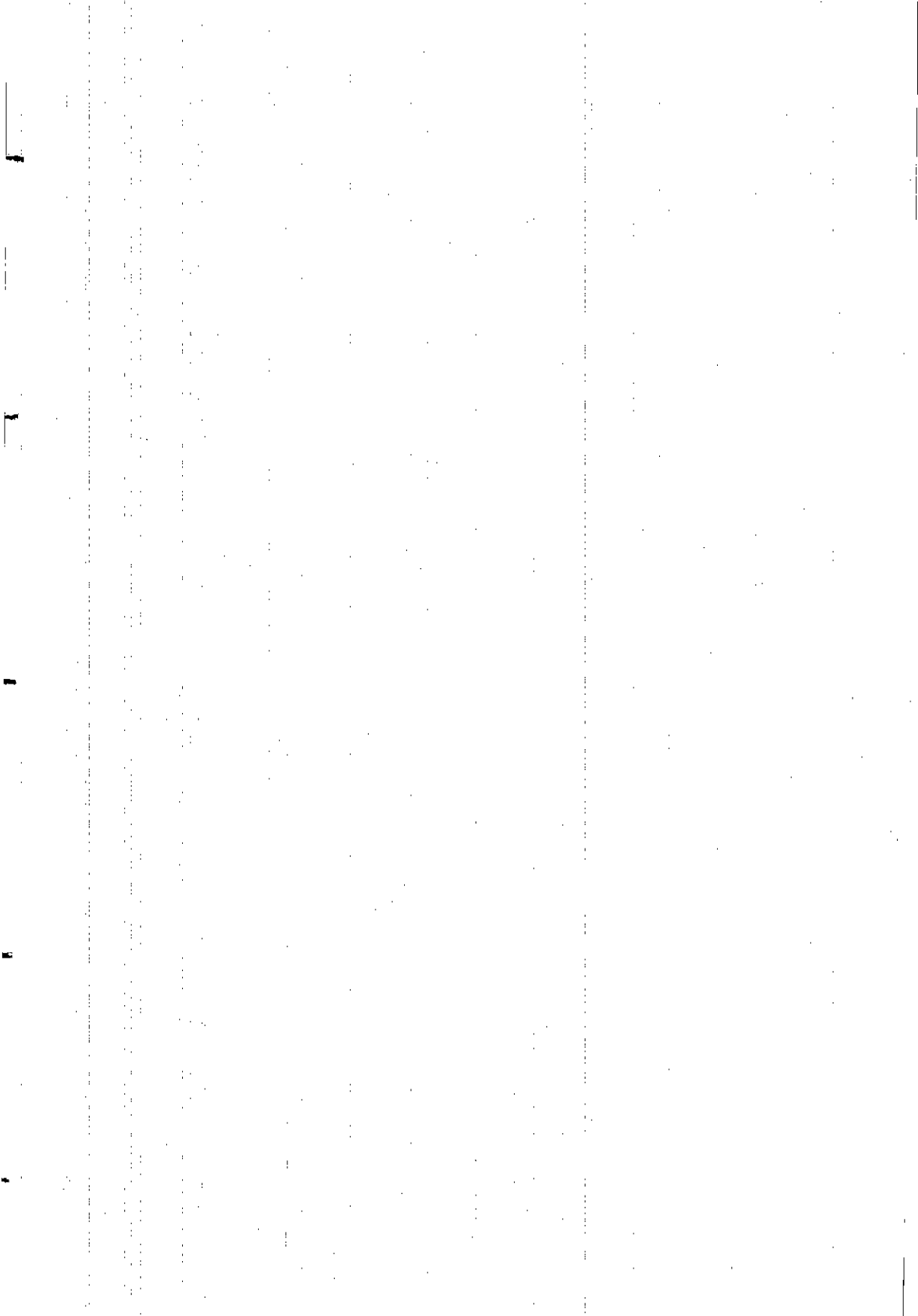
من الجهات ، فكل قول أدَّك إلى تشبيهه بخلقه في ذات أو فعل فارفضه رفض التراب^(١) ، وانبذه نبذ القذاة ، واعلم بأن الحق في غيره فابحث عنه حتى تظفر به ، وإن لم يتفق لك فهم الغرض منه والمراد فاشدد يدك بعروة هذا الاعتقاد ، ولا تتهم بارئك في حكمته ، ولا تنازعه في قدرته . واعلم بأنه غني عنك ، وأنت مفتقر إليه ، ووارد بما تزودت من عملك^(٢) عليه تبارك المتفرد بأقضيته وأحكامه ، الذي لا ينازع في نقضه وإبرامه ، ولا يمتري العاقلون في عدله ، ولا ييأس المذنبون من عفوهِ وفضله ، لا رب سواه ، ولا معبود حاشاه .

(١) هكذا في أ ، وفي ب فارفضه النواة : وفي ط فارفضه رفض القذاة ، وانبذه نبذ النواة .
(٢) في ط : من عملك .

الباب الرابع

في الخلاف العارض
من جهة

العموم
والخصوص



هذا الباب نوعان :

أحدهما : يعرض في موضوع اللفظة المفردة .

والثاني : يعرض في التركيب .

فأما الذي يعرض في موضوع [اللفظة^(١)] المفردة

فنحو : الإنسان ، فإنه يستعمل عموماً وخصوصاً .

أما العموم فكقوله تعالى : [يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ

بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ]^(٢) . اللفظ كلام الباطني في أبواب العموم أقسامه (ص ١٨٥)
سطر ٥ وما بعد ما

وقوله تعالى : [إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ]^(٣) .

ويدل على أنه لفظ عام لا يخص واحداً دون آخر

قوله تعالى : « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا » فاستثنى منه ، ولا يستثنى

إلا من جملة .

ونحو هذا قول العرب : أهلك الناس الدينار والدرهم ،

(٢) الانفطار : آية ٦ .

(١) ساقط في ب

(٣) العصر : الآية ٢ .

وقولهم : المَلِكُ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَالْإِنْسَانُ مُتَعَبِدٌ دُونَ
سَائِرِ الْحَيَوَانَ .

والخصوص نحو قولهم : جَاءَنِي الْإِنْسَانُ [الَّذِي تَعْلَمُ] ،
وَلَقِيتَ الرَّجُلَ (١) الَّذِي كَلَمَكَ ، وَقَوْلُهُمْ : شَرِبْتَ الْمَاءَ ،
وَأَكَلْتَ الْخُبْزَ . وَلَمْ يَشْرَبْ جَمِيعَ الْمَاءِ وَلَا أَكَلَ جَمِيعَ
الْخُبْزِ ، وَهَذَا كَثِيرٌ مَشْهُورٌ تَغْنَى شَهْرَتَهُ عَنِ الْإِكْتَارِ مِنْهُ ،
وَقَدْ يَأْتِي مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ أَشْيَاءٌ
يَتَّفَقُ الْجَمِيعُ عَلَى عَمُومِهَا أَوْ عَلَى خُصُوصِهَا ، وَأَشْيَاءٌ
يَقَعُ فِيهَا الْخِلَافُ (٢) .

فَمِنَ الْعَمُومِ الَّذِي لَمْ يَخْتَلَفْ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى :
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ (٣) وَ [يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا] (٤)

وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الزَّعِيمُ غَارِمٌ ،
وَالْبَيْنَةُ عَلَى الْمُدَّعِيِّ ، وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ » وَنَحْوِ
ذَلِكَ كَثِيرٌ (٥)

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ ط

(٢) كَلِمَةٌ يَقَعُ سَاقِطَةٌ مِنْهَا وَالْكَلَامُ مُسْتَقِيمٌ دُونَهَا

(٣) النِّسَاءُ آيَةٌ ١ . (٤) فَاطِرٌ : الْآيَةُ ٥

(٥) سَبَقَ تَحْرِيجُ هَذَا الْحَدِيثِ .

ومن الخصوص الذي لم يختلف فيه قوله تعالى :
 [الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ] (١)
 وهذا القول لم يقله جميع الناس إنما قاله رجل واحد ،
 وهو نَعِيمُ بن مسعود ولا جمع لهم جميعُ الناس ، إنما
 جمع لهم جزء منهم (٢) .

ومما وقع فيه الخلاف فاحتاج إلى فضل نظر قوله تعالى :
 [وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ] (٣)
 قال قوم : إن هذه الآية نزلت عموماً ثم خصّصت (٤)
 بقوله صلى الله عليه وسلم : « صُفِّحَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ
 بِهِ نَفُوسَهَا مَا لَمْ تَكَلِّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ » (٥) .

وروى عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت : (هي
 خصوص في الكافر يحاسبه الله بما أسرَّ وأعلن) .

(١) آل عمران : آية ١٧٣ .

(٢) هو أبو سفيان وأصحابه .

(٣) البقرة : آية ٢٨٤ .

(٤) في ط : نسخت .

(٥) هذا الحديث في الصحيحين والسنن من طريق قتادة عن زرارة
 ابن أوفى عن أبيه عن أبي هريرة واستدل به جماعة على أن الآية منسوخة بالآية
 بعدها وقد ثبت النسخ بهذا الحديث .

انظر ابن كثير في تفسير الآية . والقرطبي ٤٤٢.٣ والمنار ٣-٣٩٩ .

والقول الأول [أصح]^(١) لقوله تعالى بأثر ذلك :
[فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء]

ولا خلاف في أن الكافر معذب غير مغفور له .
فدل هذا على أن الخطاب وقع عموماً لا خصوصاً (ثم
خصص بما ذكرناه)^(٢) .

ومن ذلك قوله تعالى : [كلُّ لَهُ قَانِتُونَ]^(٣) .

قال قوم : هذا خصوص في أهل الطاعة ، واحتجوا
بأن كلاً^(٤) وإن كانت في غالب أمرها للعموم فإنها
قد تآتى للخصوص كقوله تعالى : [إني وجدت امرأة
تملكهم وأوتيت من كل شيء]^(٥) . وقوله تعالى :
[ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها] ،
ثم قال : [فأصبحوا لا ترى]^(٦) إلا مساً كنهم^(٧) .
وقال آخرون : هي عموم . واختلف القائلون بالعموم .

(١) في ب : أصح وأرجح .

(٢) ساقط من ط . (٣) البقرة : ١١٦ .

(٤) انظر المعنى لابن هشام ١-١٩٣ .

(٥) النمل : آية ٢٣ .

(٦) هكذا في ا ، ب بالتاء . وهي قراءة يقرأ بها . وفي المصحف

الشريف « لا ترى » .

(٧) الأحقاف ٢٤ ، ٢٥ .

فقال قوم : أراد أنهم مطيعون له يوم القيامة . وهذا
روى عن ابن عباس . وقال آخرون : مطيعون في الدنيا ،
واختلف القائلون بالطاعة في الدنيا فقال بعضهم : طاعة
الكافر سجود ظلّه لله ، واحتجوا بقول الله عز وجل :
[ولله يسجد من في السموات ، والأرض طوعاً وكرهاً
وظلالهم بالغدو والآصال] (١) .

وقال آخرون : إن معناه أن كل ما خلق الله تعالى
فيه أثر للصنعة قائم ، وميسم للعبودية شاهد أن له
خالقاً حكماً ، لأن أصل القنوت في اللغة : القيام ،
ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ، وقد سئل أى
الصلاة أفضل ؟ فقال : « طول القنوت » (٢) فالخلق
كلهم مؤمنهم وكافرهم قائمون بالعبودية ، إما إقراراً
بالسننتهم ، وإما بآثار الصنعة البينة فيهم .

ومن هذا الباب قوله تبارك وتعالى : [لا إكراه
في الدين] (٣)

(١) الرعد : الآية (١٥)

(٢) ورد في سنن الترمذي ٤٣٠٥ . وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم
سئل أى الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان لا شك فيه وجهاد لا غلول فيه
وحجة مبرورة . قيل فأى الصلاة أفضل ؟ قال طول القنوت .

(٣) البقرة : ٢٥٦ .

قال قوم : هذا خصوص في أهل الكتاب لا يكرهون
على الإسلام إذا أدوا الجزية ، وهو قول الشعبي ، وكان
ابن عباس - رضى الله عنه - يراه أيضا خصوصا ،
وفسره فقال : معناه : إن المرأة من الأنصار كانت
لا يعيش لها ولد ، فتندر على نفسها لئن عاش لتهودنه .
فلما أُجِّل بنو النضير إذا فيهم ناس من أبناء الأنصار ،
فقال الأنصار : يا رسول الله : أبناؤنا !! فأنزل الله
تعالى هذه الآية :

وقال قوم هي عموم ثم نسخت بقوله تعالى :
[جاهد الكافرين والمنافقين] (١)

ومن هذا الباب قوله تعالى : [علم الإنسان ما لم
يعلم] (٢) . ذهب قوم إلى أنه خصوص ، واختلفوا في
حقيقة ذلك . فقال بعضهم : أراد آدم عليه السلام
واحتجوا بقوله تعالى : [وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا] (٣)

وقال بعضهم : أراد محمدا صلى الله عليه وسلم ،
واحتجوا بقوله عز وجل : [وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ] (٤)

(١) التحريم : ٩

(٢) العلق : ٥

(٣) البقرة : ٣١

(٤) النساء : ١١٣

وقال آخرون : هي عموم في جميع الناس وهو
الصحيح .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : [المؤمن يأكل في
معى ^(١) واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء] ^(٢) .

قال قوم هذا خصوص في جهجاه الغفاريّ ورد على
النبي صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام فحلبت له سبع
شياه فشرب لبنها ، ثم أسلم ، فحلبت له شاة فكففته
فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال هذه المقالة .
وقال قوم : إنه عموم في كل كافر . واختلفوا في حقيقة
معناه :

(١) في الأصل معاء وما أثبتناه هو ما في كتب الحديث . والمعنى :
مذكر وقد يؤنث .

(٢) هكذا روى عن جابر وابن عمر . ورواه نافع عن ابن عمر
بلفظ « الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل في معى واحدة »
وروى أبو هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضافه ضيف
وهو كافر ، فأمر له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشاة فحلبت فشرب
حلابها ثم أخرى فشربه ثم أخرى حتى شرب حلاب سبع شياه . ثم إنه
أصبح فأسلم . فأمر له رسول الله بشاة فشرب حلابها ، ثم أمر بأخرى فلم
يستتمها . فقال رسول الله : المؤمن يشرب في معى واحد والكافر يشرب
في سبعة أمعاء (البخاري باب الأطعمة) ، (مسلم كتاب الأشربة والأطعمة
١٣٢٦ : ١٣٣) .

فقال قوم معناه أن المؤمن يسمى الله على طعامه فتكون فيه البركة والكافر بخلاف ذلك .

وقال آخرون^(١) إنما ضرب هذا مثلا للزهادة في الدنيا والحرص عليها ، فجعل المؤمن لقناعتته باليسير من الدنيا كالأكل في معي واحد . والكافر لشدة رغبته في الدنيا كالأكل في سبعة أمعاء .

وهذا القول أصح الأقوال ، ويشهد لصحته ما رواه أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يَخْرُجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ . فقال له رجل يا رسول الله هل يأتي الخير بالشر ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أنه يوحي إليه ، ثم مسح العرق عن جبينه ، وقال : أين السائل ؟ فقال : ها أنذا

(١) حيد المؤلف هذا الرأي ، ويؤيده . ما قال الأزهرى في اللسان : (المعنى واحد الأمعاء . يذكر ولا يؤنث إلا قليلا ، وفي الحديث وجه ثالث وأحسبه الصواب الذي لا يجوز غيره : وهو أنه مثل ضربه للمؤمن وزهده في الدنيا وقناعتته بالبلغة من العيش وما أوتي من الكفاية ، وللکافر واتساع رغبته في الدنيا وحرصه على جمع حطامها ، ومنعها من حقها مع ما وصف به الكافر من حرصه على الحياة وركونه إلى الدنيا واغتراره بزخرفها . اللسان (معنى) .

يا رسول الله . فقال : إن الخير لا يأتي إلا بالخير ثلاثاً ، ولكن هذا المال خضرة حلوة ، وإن مما يئبى الربيع ما يقتل حبطاً أو يُلِمَّ إلا آكلة الخضر تأكل حتى إذا امتلأت خاصرتها استقبلت الشمس فبالت وسلطت ، ثم عادت فأكلت ، إن هذا المال خضرة حلوة من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعيم المعونة هو . ومن أخذه بغير حقه ووضعه في غير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع^(١) .

ونحو من هذا أيضا قول أبي ذر : تخضمون ونقضم والموعود الله^(٢)

والخضم الأكل بالفم كله فضربه مثلا للرغبة في الدنيا ، والقضم الأكل بأطراف الأسنان فضربه مثلا للقناعة ونيل البلغة من العيش .

(١) ورد في البخارى باب الرقاق ٧٧-٨ . وفي مسلم باب الزكاة ١٠١-٣ . النهاية في غريب الحديث .

(٢) وفي اللسان في حديث أبي ذر : تأكلون خضما وتأكل قضميا . وفي حديث أبي هريرة أنه مر بمروان وهو بينى بنيانا له ، فقال ابنوا شديداً ، وأملوا بعيداً ، واخضموا فستقضم . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس ، والقضم بأدناها . وقيل الخضم ملء الفم بالمأكول ، أو الأكل بجميع الفم ، وكل أكل في سعة ورغد خضم . والقضم الأكل بأطراف الأسنان . (اللسان مادة خضم وقضم) .

وقيل الخضم : أكل الرطب ، والقضم أكل اليابس
وهو نحو المعنى الأول . وقد يأتي من هذا الباب ما موضوعه
في اللغة على العموم ، ثم تخصصه الشريعة . كالمتعة
فإنها عند العرب كلُّ شيءٍ استمتع به [لا يخص به
شيء دون شيءٍ آخر]^(١) ثم نقلت عن ذلك واستعملت
في الشريعة على ضربين :

أحدهما : المتعة التي كانت مباحة في أول الإسلام ،
ثم نهى عنها ، ونسخت بالزكاح والولي .

والثاني : ما تمتع به المرأة من مهرها كقوله تعالى :
[وَتَعَوَّهِنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرَقَدَرِهِ]^(٢) .

ولأجل هذا الذي ذكرناه وقع الخلاف في قوله تعالى :
[فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ قَرِيضَةً]^(٣) .

(فكان ابن عباس يذهب بمعناه إلى المتعة الأولى
وذهب جماعة من الفقهاء إلى أن المتعة الأولى منسوخة ،
وأن هذه الآية كالتى في البقرة ، وأن معنى « فآتوهنَّ
أجورهنَّ » إنما أراد المهر)^(٤) .

(١) عبارة : ب لا يخص شيئاً دون آخر .

(٢) البقرة : ٢٣٦ .

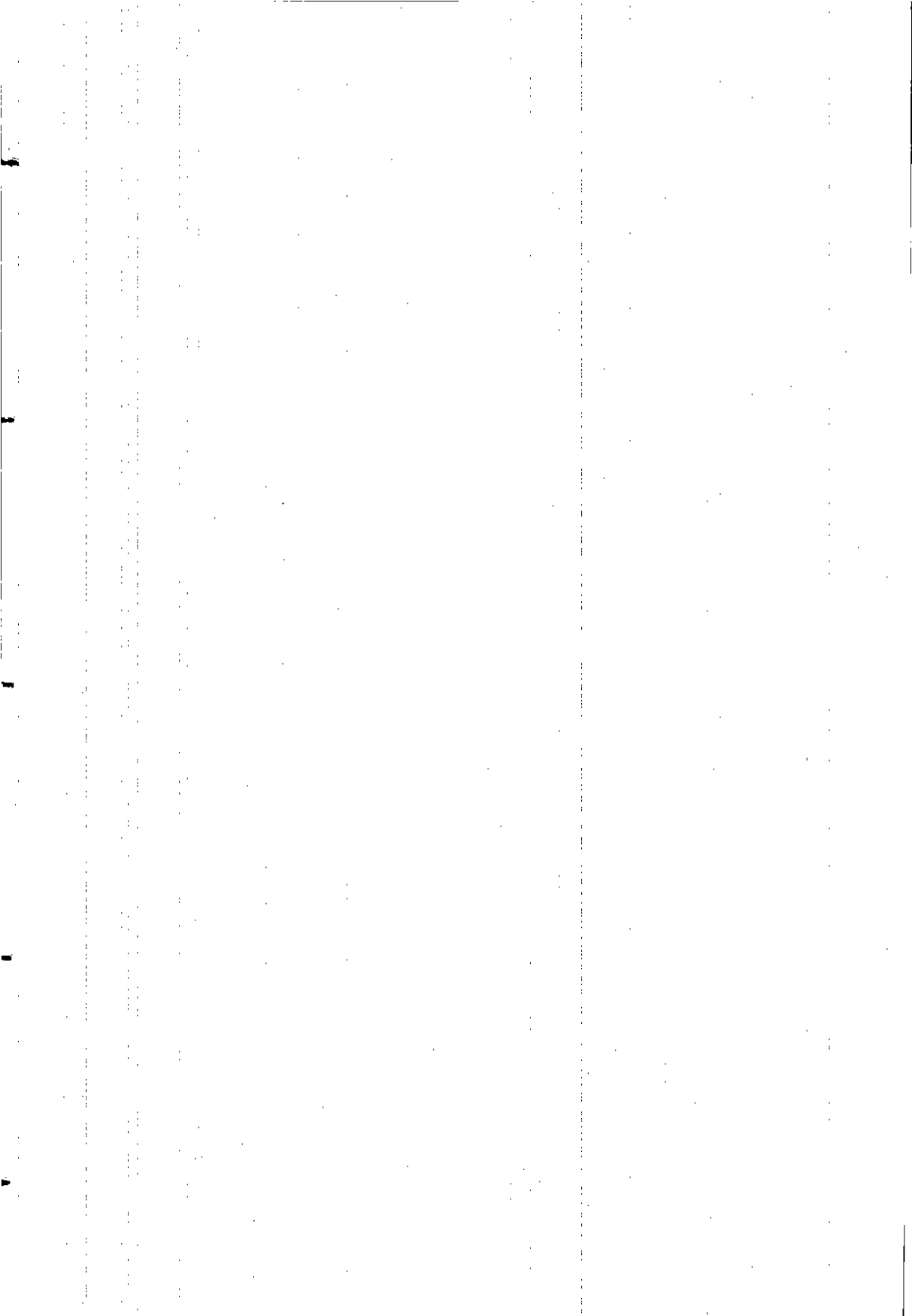
(٣) النساء : ٢٤ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من ط .

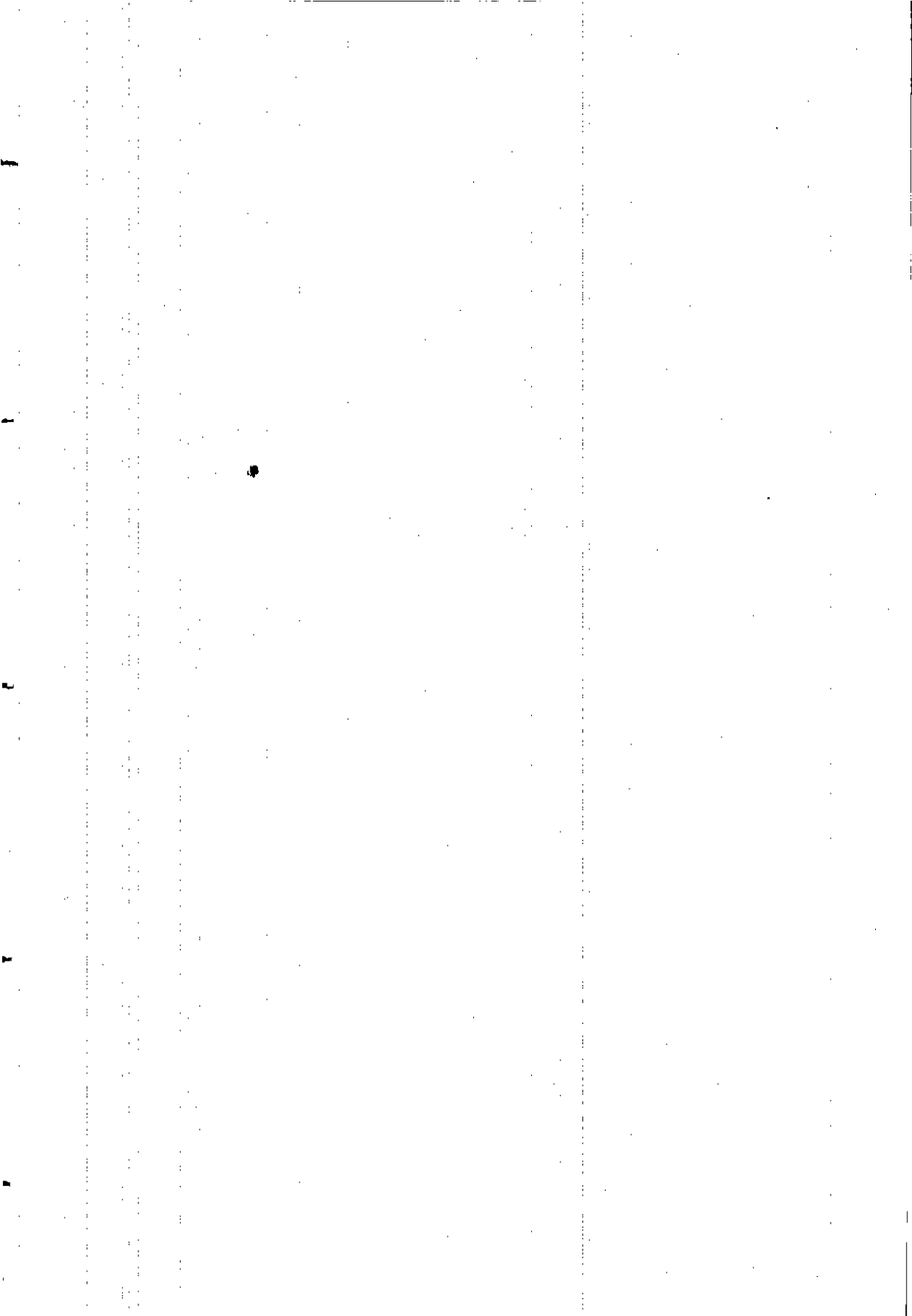
والدليل على صحة قول الجماعة [قوله تعالى ^(١)] :
[فَاَنْكِحُوهُنَّ بِاِذْنِ اَهْلِهِنَّ وَاَتُوهُنَّ اَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً] ^(٢)
فهذا المهر بإجماع .

(١) ساقط من ط :

(٢) النساء : ٢٥ .



الكتاب الخامس
في الخلاف المأرض
من جهة
الرواية



هذا الباب لا تتم الفائدة التي قصدناها منه إلا بمعرفة
العلل التي تعرض للحديث فتحيل معناه ، وربما أوهمت
فيه معارضة بعضه لبعض ، وربما ولدت فيه إشكالا
يحوج العلماء إلى طلب التأويل البعيد .

ونحن نذكر العلل كم هي ؟ ونذكر من كل نوع منها
مثالا ، أو أمثلة يستدل بها على غيرها إن شاء الله تعالى .
اعلم أن الحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن أصحابه والتابعين لهم رضى الله عنهم تعرض
له ثمانى علة :

أولها : فساد الإسناد . والثانية : من جهة نقل الحديث
على معناه دون لفظه ، والثالثة : من جهة الجهل بالإعراب
والرابعة : من جهة التصحيف ، والخامسة : من جهة
إسقاط شيء من الحديث لا يتم المعنى إلا به والسادسة :
أن ينقل المحدث الحديث^(١) ويغفل نقل السبب الموجب

(١) في ط : أن ينقل المحدث بعض الحديث :

له ، أو بساط الأمر الذي جر ذكره ، والسابعة : أن يسمع
المحدث بعض الحديث ويفوته سماع بعضه . والثامنة :
نقل الحديث من الصحف دون لقاء الشيوخ .

العلة الأولى

وهي فساد الإسناد ، وهذه العلة أشهر العلل عند
الناس حتى إن كثيراً منهم يتوهم أنه إذا صح الإسناد
صح الحديث ، وليس كذلك ، فإنه قد يتفق أن يكون
رواة الحديث مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين
والأمانة غير مطعون عليهم ، ولا مسترأبٍ بنقلهم .
ويعرض مع ذلك لأحاديثهم أعراض على وجوه شتى من
غير قصد منهم [إلى ذلك] على ما تراه في بقية هذا الباب
إن شاء الله تعالى .

والإسناد يعرض له الفساد من أوجه : منها الإرسال
وعدم الاتصال . ومنها أن يكون بعض رواة صاحب
بدعة ، أو متهما بكذب ، وقلة ثقة ، أو مشهوراً ببله
وغفلة ، [أو يكون^(١)] متعصباً لبعض الصحابة
منحرفاً عن بعضهم ، فإن من كان مشهوراً بالتعصب ،

(١) فب : أن يكون .

ثم روى حديثا في تفضيل من يتعصب له ، ولم يرد من غير طريقه لزم أن يستراب به ، وذلك أن إفراط عصبية الإنسان لمن يتعصب له ، وشدة محبته فيه (يحملة^(١)) على افتعال الحديث ، وإن لم يفتعله بدله وغير بعض حروفه كنعو ما فعلت الشيعة .

فإنهم رووا أحاديث كثيرة في تفضيل على رضى الله عنه ، ووجوب الخلافة له ينكرها أهل السنة مثل روايتهم أن نجما سقط على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انظروا . (ففى^(٢)) منزل من وقع فهو الخليفة بعدى ، فنظروا فإذا هو قد سقط فى دار على - رضى الله عنه - فأكثر الناس فى ذلك الكلام ، فأنزل الله تعالى : [وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ]^(٣) .

فهذا حديث لا يشك ذو لب فى أنه مصنوع مركب على الآية^(٤) .

(١) فى ب تحمله .

(٢) فى ب : انظروا فى منزل من وقع .

(٣) النجم : ١ .

(٤) هذا حديث موضوع ، وفى اسناده أبو صالح باذم . وهو كذاب ، والكلى . وهو من الذين يقولون : إن عليا لم يمت ، وأنه يرجع إلى الدنيا ،

وكالذي فعلت المعتزلة فإنهم تجاوزوا تغيير الحديث إلى أن رأوا تغيير القرآن فلم يصح لهم ذلك في القرآن لإجماع الأمة [عليه] ^(١) ، وضح في كثير من الحديث: فغيروا في المصحف مواضع كثيرة كقراءتهم: [مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ^(٢)] بالتنوين . وقراءتهم: [قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَسَاءَ] ^(٣) . بسين غير معجمة وفتح الهمزة ^(٤) .

== وإذا رأوا صحابة قالوا أمير المؤمنين فيها . ومما يدل على كذبه أنه اسند إلى ابن عباس . وابن عباس حينئذ عنده سنتان . راجع الموضوعات لابن الجوزي ١-٣٧٢ .

(١) ساقط من ب .

(٢) الفلق : ٢ .

(٣) الأعراف : ١٥٦ .

(٤) المؤلف ناقض نفسه هنا فهو يقرر أولاً أنه لم يصح لهم تغيير في القرآن لإجماع الأمة عليه ، وإنما غيروا ودلسوا في الحديث ، وهذا كلام حق ، فما كان له بعد ذلك أن يقول : فغيروا في المصحف مواضع كثيرة ، لأن هذا يضعف الثقة في القرآن ، والله يقول : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » أما القراءات التي ذكرها فهي قراءات شاذة ، لا تدل على عبثهم بالمصحف ، إذ لم يتفرد المعتزلة بروايتها ، وشأنها شأن غيرها من القراءات الشاذة رفضها بعض العلماء ، وبصححها بعض ويقبلها فريق ، ويزيفها فريق آخر .

قراءة (قال عذابي أصيب به من أساء) قال عنها ابن جنى إنها قراءة الحسن البصرى وعمرو بن فايد أبو على الأسوارى ، ونوه ابن جنى بهذه القراءة وأعلى من شأنها . (انظر المختص ١-٢٦١) ونسبها ابن خالويه إلى الحسن أيضا وعمرو بن عبيد وهو من زعماء المعتزلة (مختصر القراءات الشاذة ==

وقالوا في قوله تعالى : [وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ
الجنِّ والإنس] (١).

إن معناه : دفعنا ، وأنشدوا قول المثقّب :

== لابن خالويه طبع أوروبا ص ٤٦ (٤٦) . وقال الزمخشري في الكشاف ٢-١٦٥
وقرأ الحسن البصرى (قال عذابي أصيب به من أساء من الإساءة .

وفي البحر المحيط ٤-٤٠٢ وقرأ زيد بن علي والحسن وطاووس وعمرو
ابن فايد (من أساء) من الإساءة . وقال أبو عمرو الداني : لا تصح هذه
القراءة من الحسن وطاووس ، وعمرو بن فايد رجل سوء . وقرأ بهاسفيان
ابن عيينه مرة ، واستحسنها ، فقام إليه عبد الرحمن المقرئ وصاح به ،
وأسمعه ، فقال سفيان : لم أدر ، ولم أظن لما يقول أهل البدع . ويقول
أبو حيان : وللمعزلة تعلق هذه القراءة من جهة إنفاذ الوعيد ، ومن جهة
خلق المرء أفعاله . وإن أساء فلا فعل فيه لله تعالى .

أما قراءة (من شر ما خلق) فأسندها ابن خالويه إلى عمرو بن فايد
الأسوارى ص ١٨٢ وفي البحر المحيط : وقال ابن عطية : وقرأ عمرو بن
عبيد وبعض المعزلة القائلين بأن الله لم يخلق الشر « من شر » بالتنوين (ماخلق)
على النفي وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل . الله خالق كل شيء
٨-٣٠٥ البحر المحيط .

وأقول لا يتعين على هذه القراءة أن تكون مانافية ، بل تحتل وجوها
مختلفة . وجملة القول أن هاتين القراءتين لم ينفرد بروايتهما المعزلة . فلا ينبغي
أن نحكم عليهم بأنهم غيروا القرآن في مواطن كثيرة ، ولا يحملنا التعصب
على أن نرميهم بكل نقيصة حتى لا نسيء إلى القرآن من حيث نريد الدفاع عنه .

(١) الأعراف : ١٧٩ .

تقول إذا ذرأتُ لها وَصِيْنِي
هذا دِينُهُ أَبداً وَدِينِي (١)

وليس كما زعموا (٢). إنما يقال في الدفع ذرأتُ بدال
غير مُعْجَمَةٍ ، وكذلك روى بيت المثقب بدال غير
معجمة ، وإنما ذرأنا بالذال معجمة بمعنى خلقنا .
وقد روى عن بعضهم أنه قرأ : (ولقد ذرأنا)
بالدال غير معجمة .

ومما يبعث على الاسترابة بنقل الناقل أن يُعلم منه
حرص على الدنيا وتهافت على الاتصال بالملوك ، ونيل
المكانة والحظوة عندهم ، فإن من كان بهذه الصفة لم
يؤمن عليه التغيير والتبديل والافتعال للحديث والكذب

(١) روى أيضاً : أهذا دأبه أبداً ودِينِي ؟ وهو في هذا البيت يذكر
ناقته . الوضين : بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرجل على البعير .
ودرأ ووضين البعير إذا بسطه على الأرض ثم برك عليه البعير ليشد به الرجل .
والدين : العادة والشأن . تقول العرب ما زال هذا ديني وديني أي عادتي .
والمثقب العبدى هو محصن وقيل : عائذ بن محصن بن ثعلبة شاعر جاهلي .
انظر خزنة الأدب ٤-٣٢٩ . الشعر والشعراء لابن قتيبة .

(٢) إنما أولوا ذرأ بدفع لأن ظاهر الآية يتنافى مذهب القدرية والمعتزلة
الذي يجعل للعبد اختياراً مطلقاً وأنه خالق لأفعاله .

حرصاً على مكسب يحصل عليه ، ألا ترى إلى قول
القائل :

ولستُ وإن قُرْبْتُ يوماً ببائع
خلاقى ولا ديني ابتغاء التحجب

ويعتده قوم كثير تجارة
ويمنعي من ذاك ديني ومنصبي

وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو هذا
الذي ذكرناه بقوله : « إِنَّ الْأَحَادِيثَ سَتَكْثُرُ بَعْدِي
كَمَا كَثُرَتْ [عَلَى ^(١)] الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ، فَمَا جَاءَ كُمْ عَنِّي
فَاغْرَضُوهُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ
فَهُوَ عَنِّي قُلْتُهُ أَوْ لَمْ أَقُلْهُ ^(٢) » .

وقد روى أن قوماً من الفرس واليهود وغيرهم لما
رأوا الإسلام قد ظهر ^(٣) ودوخ جميع الأمم ورأوا أنه
لا سبيل إلى مناصبته رجعوا إلى الحيلة والمكيدة ، فأظهروا

(١) في ط : عن :

(٢) لم يرد هذا الحديث في الصحاح ولا في كتب الحديث المعتمدة
وفي الموافقات للشاطبي ٤-١١ أنه موضوع

(٣) في ط : ظهر وعم ، ودوخ وأذل :

الإسلام [عن^(١)] غير رغبة فيه ، وأخذوا أنفسهم بالتعبد والتشفيق . فلما حمد الناس طرائقهم ولدوا الأحاديث والمقالات ، وفرقوا الناس فرقا . وأكثر ذلك في الشيعة كما يحكى عن عبد الله بن سبيل اليهودى أنه أسلم ، واتصل بعلى رضى الله عنه ، وصار من شيعته ، فلما أخبر^(٢) بموته قال : كذبتم ، والله لو جئتمونا بدماعه مصرورا فى سبعين صرة ما صدقنا بموته ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، نجد ذلك فى كتاب الله فصارت مقالة يُعرف أهلها بالسبئية^(٣) .

وإذا كان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يتشدد فى الحديث ويتوعد عليه ، والزمان زمان والصحابة متوافرون ، والبدع لم تظهر ، والناس فى القرن الذى أثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ظنك بالحال فى الأزمنة التى ذمها وقد كثرت البدع وقلت الأمانة .

(١) فى ط : من غير .

(٢) هكذا بالأصل ، وفى ب و ط فلما أخبر بقتله وموته .

(٣) فى ط زيادة : ويقال إنه قال : على هو إله ، وأنه يحيى الموتى .

وإنما غاب ولم يموت .

وللبخارى^(١) - رحمه الله - في هذا الباب عناء مشكور
وسعى مبرور ، وكذلك لمسلم^(٢) وابن مَعِين^(٣) ، فإنهم
انتقدوا الحديث وحرَّروه ، ونبهوا على ضعف المحدثين
والمتهمين بالكذب حتى ضج من ذلك من كان في
عصرهم ، وكان ذلك أحد الأسباب التي أوغرت صدور
الفقهاء على البخارى ، فلم يزالوا يرصدون له المكاره

(١) في ط زيادة (أبي عبد الله) والبخارى: حبر الإسلام، وحافظ حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخارى،
ولد في بخارى، ونشأ يتيمًا، وقام برحلة سنة ٢١٠ هـ في طلب الحديث،
فزار خراسان، والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع
ستمائة ألف حديث وهو صاحب الجامع الصحيح، ورجع إلى بخارى،
وأقام بها فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم. توفي سنة ٢٥٦ هـ. تاريخ
بغداد ٢-٤. تذكرة الحفاظ ٢-١٢٢.

(٢) مسلم هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم، ولد بنيسابور،
ورحل في طلب الحديث إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي بظاهر
نيسابور سنة ٢٦١ هـ. وهو حافظ من أئمة المحدثين أشهر كتبه صحيح مسلم
جمع تقريباً اثني عشر ألف حديث، ومن كتبه: المسند الكبير وأوهام
المحدثين. والطبقات.

(انظر تذكرة الحفاظ ٢-١٥٠. وفيات الأعيان ٢-٩١. تاريخ بغداد ١٣-١٠٠).

(٣) في ط ولا بن معين. وهو يحيى بن معين بن زياد البغدادي من
أئمة الحديث قال عنه الذهبي: سيد الحفاظ. وقال عنه الإمام أحمد:
كان أعلمنا بالرجال. خلف له أبوه ثروة كبيرة أنفقها في طلب الحديث
ولد بقرية قرب الأنبار وتوفي بالمدينة سنة ٢٣٣ هـ

(وفيات الأعيان ٢-٢١٤. طبقات الخنابلة ص ٢٦٨).

حتى أمكنتهم فيه فرصة بكلمة قالها فكفروه ، وامتحنوه
وطردود من موضع إلى موضع ، وحتى حَمَلَ بعض الناس
قَلَقَهُ من ذلك على أن قال :

ولا بُنَّ مَعِينُ فِي الرِّجَالِ مَقَالَةٌ
سَيُسْأَلُ عَنْهَا وَالْمَسْلِكُ شَهِيدُ
فَإِنْ يَكُ حَقًّا قَوْلُهُ فَهُوَ غَيْبَةٌ
وَإِنْ يَكُ زُورًا فَالْعِقَابُ شَدِيدُ

وَمَا أَخْلَقَ قَائِلَ هَذَا الشَّعْرَ بَأَنَّ يَكُونُ دَفْعَ مَغْرَمًا ،
[وَأَسْرًا حَسَوًا فِي ارْتِغَاءٍ] ^(١) ، لِأَنَّ ابْنَ مَعِينٍ فِيمَا فَعَلَ
أَجْدَرُ بَأَنَّ يَكُونُ مَأْجُورًا [مِنْ أَنْ يَكُونَ مَوْزُورًا] ^(٢) .
وَأَلَّا يَكُونَ فِي ذَلِكَ مَلُومًا ، بَلْ مَشْكُورًا

(١) (أسر حسوا في ارتغاء) . هذا مثل يضرب لمن يظهر أمراً .
وهو يريد غيره « وفي التهذيب : يضرب مثلاً لمن يظهر طلب القليل ، وهو
يسر أخذ الكثير » ارتغى الرغوة أخذها واحتساها . والحسو الشرب
(اللسان رغا ، حسا) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من ط

العلة الثانية

وهي نقل الحديث على المعنى دون لفظ^(١) المحدث بعينه . وهذا الباب يعظم الغلط فيه جداً ، وقد نشأت منه بين الناس شُغوب^(٢) شنيعة ، وذلك^(٣) أن أكثر المحدثين لا يراعون ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم التي نطق بها ، وإنما ينقلون إلى من بعدهم معنى ما أراد بالآفاظ آخر^(٤) . ولذلك نجد الحديث الواحد في المعنى الواحد يرد بالآفاظ شتى ، ولغات مختلفة يزيد بعض ألفاظها على بعض ، على أن اختلاف ألفاظ الحديث قد يعرض من أجل تكرير النبي صلى الله عليه وسلم [له^(٥)] في مجالس مختلفة^(٦) ، وما كان من الحديث بهذه الصفة فليس كلامنا فيه ، وإنما كلامنا في اختلاف الآفاظ الذي^(٧) يعرض من أجل نقل الحديث على المعنى .

(١) في ط : دون اللفظ .

(٢) شُغوب : جمع شغب . وهو إثارة الشر وتهيج الفتن .

(٣) في ط : وذلك .

(٤) في ط : أخرى .

(٥) ساقطة من ط .

(٦) في ط مجالس عدة مختلفة .

(٧) هكذا في ب ، وفي التي .

ووجه الغلط الواقع من هذه الجهة أن الناس يتفاضلون
 في قرائحهم وأفهامهم كما يتفاضلون في صورهم وألوانهم
 وغير ذلك من أمورهم وأحوالهم فربما اتفق أن يسمع
 الرواة^(١) الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم ، أو من
 غيره فيتصور معناد في نفسه على غير الجهة التي أرادها .
 فإذا^(٢) عبر عن ذلك المعنى الذي تصور في نفسه بالألفاظ
 أُخِرَ كان قد حدث بخلاف ما سمع عن^(٣) غير قصد
 منه إلى ذلك .

وذلك أن الكلام الواحد قد يحتمل معنيين وثلاثة «
 وقد تكون فيه اللفظة المشتركة التي تقع على الشيء
 وضده ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « قُصُوا الشُّوَّارِبَ
 وَأَعْفُوا اللَّحْيَ »^(٤) .

(١) في ط : الراوى .

(٢) في ط : وإذا .

(٣) في ط : (من غير) .

(٤) رواه أحمد عن أبي هريرة ، ورواه البخارى عن ابن عمر في باب
 اللباس بلفظ (ائكموا الشارب وأعفوا اللحي) . وفي رواية ابن عمر خالفوا
 المشركين وغفروا اللحي واحفوا الشوارب) .

فقوله : أَعْفُوا . يحتمل أن يريد [به ^(١)] كثروا ،
وَوَقُّرُوا ، ويحتمل أن يريد : خففوا ^(٢) ، وقللوا ،
فلا يفهم مراده من ذلك إلا بدليل من لفظ آخر ،
والمعنيان جميعاً موجودان في كلام العرب :

يقال : عفاوبر الناقة إذا كثر ، وكذلك لحمها .
قال الله عز وجل : [حَتَّىٰ عَفَوْا ^(٣)] أى كثروا ،
وقال جرير :

ولكننا نعض السيفَ منها بِأَسْتَقْ

عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كَوْم ^(٤)

ويقال : عفا المنزل : إذا درس . قال زهير :

عفا من آل فاطمة الجواء ^(٥)

(١) زيادة في ب و ط .

(٢) في ب قللوا وخففوا وكذا في ط .

(٣) الأعراف : ٩٥ . والآية : (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى
عَفَوْا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) .

(٤) سبق شرح هذا البيت .

(٥) هذا صدر بيت عجزه (فيمن فالقوادم فالخساء) .

عفا درس . والجواء : زيمن . والقوادم والخساء : مواضع ببلاد شطفتان
(الديوان ص ٧ ط بيروت)

ففي مثل هذا يجوز أن يذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المعنى الواحد ويذهب الراوي عنه إلى المعنى الآخر ، فإذا أدى معنى ما سمع دون لفظه بعينه كان قد روى عنه ضد ما أراد غير عامد .

ولو أدى لفظه بعينه لأوشك أن يفهم منه الآخر ما لم يفهمه الأول .

وقد علم^(١) صلى الله عليه وسلم ، أن هذا سيعرض بعده . فقال محذرا من ذلك (نَصَرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَرَعَاها ، وَأَدَاها كَمَا سَمِعَهَا ، فَرَبٌ مُبَلِّغٌ أَوْعَى مِنْ مُبَلِّغٍ)^(٢) .

ومن نحو هذا ما روى عنه صلى الله عليه وسلم (أن رجلا أتاه فقال : أيجوز إتيان المرأة في دبرها ؟ فقال : نعم . فلما أدبر الرجل قال : ردوه علي . فلما رجع قال :

(١) في ب زيادة (النبي) .

(٢) في مسند أحمد ١-٤٣٧ نَصَرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يَبْلُغَهُ ، فَرَبٌ مُبَلِّغٌ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ . وفي رواية : نَصَرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَرَعَاها ، ثُمَّ أَدَاها إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ، فَرَبٌ حَامِلٌ فَفَقَهٌ لَا فَفَقَهٌ لَهُ ، وَرَبٌ حَامِلٌ فَفَقَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ . وانظر سنن أبي داود باب العلم .

في أي الخُرطَيْن^(١) أردت ؟ أما من دبرها في قبلها
فنعم ، وأما من دبرها في دبرها فلا^(٢) .

وقد غلط قوم في حديث عائشة - رضى الله عنها -
في هذا المعنى : (إذا حاضت المرأة حرم الجُحْرَان)^(٣) .
فتوهموا أن هذا الكلام ينفك منه جواز الأتيان في
الدير . وهذا غلط شديد ممن تأوله .

وقد رواه بعضهم الجحران بضم النون ، وزعم أن
الجحران : الفرج ذكر ذلك ابن قتيبة^(٤) .

(١) في ط : في أي الخريتين . والخربة بضم الخاء وسكون الراء كل
ثقب مستدير . وثقب الاست .

(٢) هذا الحديث معناه صحيح وورد بألفاظ مختلفة ومنه حديث الترمذى
عن حفصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال لا بأس
إن كان في صيام واحد وعن ابن عباس قال رسول الله : أقبل وأدر .
واتق الدير والحیضة . رواه أحمد والترمذى تفسير ابن كثير ١-٢٦٠ .

(٣) لم نعر على هذا الحديث في كتب الصحاح وهو في النهاية لابن
الأثير ؛ رواه بضم النون على أنه اسم مفرد بمعنى الجحر بزيادة الألف والنون
تمييزاً له عن غيره من الجحرة . ورواه الزمخشري في الفائق وغيره الحديث
بضم النون وكسرها على أنه مثنى . النهاية لابن الأثير ١-٢٤٠ . الفائق ١-١٧١ .

(٤) ابن قتيبة هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى . إمام في اللغة
والأدب . ومن المصنفين المكثرين ، ولد ببغداد وتوفى بها سنة ٢٧٦هـ
وقيل ٢٩٦هـ . ومن كتبه : أدب الكاتب ، وعيون الأخبار ، والشعر والشعراء
(انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ١٨٣ دائرة المعارف

الإسلامية ١-٢٦٠ . وفيات الأعيان ٤-٢٨٠) .

والرواية الأولى هي المشهورة ، وليس في الحديث
 شيء مما توهموه ، وإنما كان يلزم ما قالوه لو كانت
 الطهارة من المحيض شرطاً في جواز إتيان المرأة في جحرها
 معاً فكان يلزم عند ذلك أن يكون ارتفاع الطهارة سبباً
 في تحريمهما معاً ، كما كان شرطاً في تحليلهما^(١) معاً .
 فإذا لم يجدوا سبيلاً إلى تصحيح هذه الدعوى لم يلزم
 ما قالوه ، وإنما المعنى في حديث عائشة أن فرج المرأة
 يخالف دبرها في إباحتها أحدهما ، وتحريم الآخر
 والإباحتى التى خالفت بينهما معلقة بشرط الطهارة من
 المحيض . [فإذا لم يقع^(٢)] شرط الطهارة [من المحيض]^(٣)
 ارتفعت الإباحتى التى كانت معلقة به فاستويا معاً فى
 التحريم لارتفاع السبب الذى فرق بينهما ، وهذا
 كقول قائل [لو قال^(٤)] : إذا أسكر النبيذ
 حرم الشرايان يريد الخمر والنبيذ أى استويا فى

(١) هكذا فى ب : ط . وفى الأصل . لتحريمها وتحليلها وهو
 خلاف الصواب .

(٢) فى ب فإذا ارتفع وكذا ط .

(٣) ساقط من ط .

(٤) ساقط من ب .

التحريم . لأن النبيذ إنما خالف الخمر بشرط عدم الاسكار ، فلما ذهب السبب ، والشرط الذى فرق بينهما تساويا معاً فى التحريم . فكما أن هذا القول لا يلزم منه إباحة الخمر قبل وجود الاسكار فى النبيذ فكذلك قول عائشة - رضى الله عنها - لا يلزم منه إباحة نكاح الدبر قبل وجود الحيض فى الفرج ، ونظير هذا [أيضاً ^(١)] لو أن رجلاً كان معه ثوبان . أحدهما فيه نجاسة [تحرم عليه الصلاة به] ^(٢) . والآخر طاهر تجوز له الصلاة به ، ثم أصابت الثانى نجاسة فقال له قائل قد حرمت عليك الصلاة بالثوبين ، إنما أراد أن الثوب الثانى قد صار مثل [الثوب ^(٣)] الأول فى التحريم ، لعدم الشرط المفرق بينهما .

وقد جاء فى حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما ينحو نحو هذا ، وإن لم يكن مثله من جميع الوجوه ، وذلك ما روى عنه من قوله : « من سره أن يذهب كثير من

(١) ساقط من الأصل .

(٢) ما بين القوسين زيادة فى ب و ط .

(٣) زيادة فى ب و ط .

وَحَرَ صدره ، فليصم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر^(١) .

يريد بشهر الصبر : رمضان ، وليس المراد أن شهر الصبر مباح الأكل فيه لمن لم يسره ذهاب وَحَرَ صدره . وإنما معناه فليضيف إلى شهر الصبر الواجب صومه على كل حال ثلاثة أيام يصومها من كل شهر .

ومن طريف^(٢) الغلط الواقع في اشتراك الألفاظ ما روى من أن النبي صه الله عليه وسلم وهب لعلى - رضى الله عنه - عِمَامَةً تسمى السحاب ، فاجتاز على^(٣) متعمما بها ، فقال عليه السلام : لمن كان معه [أما رأيتم^(٤)] عليا في السحاب ؟ أو نحو هذا من اللفظ ، فسمعه بعض المتشيعين لعلى ، فظن أنه يريد السحاب^(٥) المعروفة ، فكان ذلك سببا لاعتقاد الشيعة أن عليا في السحاب^(٦) ،

(١) ورد في مسند الإمام أحمد ٧٨-٥ ودحر الصدر ما فيه من حقد وغيظ

(٢) في ط : ظريف .

(٣) في ط : رضى الله عنه .

(٤) هكذا في ب وفي الأصل محذوف همزة الاستفهام . وفي ط :

أرأيتم ؟

(٥) في ط : السجاية .

(٦) في ط : زيادة (إلى يومنا هذا)

ولذلك قال اسحاق^(١) بن سويد الفقيه :

بريتُ من الخَوارج لَسْتُ منهمُ

من الغَزالِ منهم وابنِ بابِ^(٢)

ومن قسوم إذا ذكروا عليا

يَرُدُّونَ السَّلامَ على السحاب

ولكني أحب بكل قلبي

وأعلم أن ذاك من الصواب

رسولَ الله والصدیقَ حُبًّا

به أرجو غدا حسن الثواب

وقد جعل بعض^(٣) العلماء من هذا الباب الحديث

المروى : خُلِقَ آدم على صورة الرحمن^(٤) ، قالوا :

(١) اسحاق بن سويد بن هبيرة العدوي التميمي . روى عن ابن عمر ، وابن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، ومعاذة صاحبة عائشة رضي الله عنها ، وهو محدث ثقة روى له البخاري توفي سنة ١٣١ هـ

(وفيات الأعيان ١ - ١٨١ . تهذيب التهذيب ١ - ٢٣٦) .

(٢) الغزال : واصل بن عطاء أحد رؤوس المعتزلة . وابن باب عمرو

ابن عبيد . زعيم من زعماء المعتزلة .

(الفرق بين الفرق ١١٩ الكامل للمبرد ٣ - ١٩١) .

(٣) كلمة بعض ساقطة من ط .

(٤) عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تنبجوا

الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن .

(الأسماء والصفات ص ٢٩١) .

وإنما قال صلى الله عليه وسلم: «خلق الله آدم على صورته»^(١) والهاء راجعة إلى آدم ، فتوهم بعض السامعين أنها عائدة على الله ، فنقله على المعنى دون اللفظ ، وهذا الذي قالوه لا يلزم ، وسنتكلم على هذا الحديث إذا انتهينا إلى موضعه من هذا الباب بعينه إن شاء الله . [فهذه أمثلة من هذا النوع تنبيه على بقيته إن شاء الله تعالى]^(٢)

العلة الثالثة

وهي الجهل بالإعراب ، ومباني^(٣) كلام العرب ومجازاتها وذلك أن كثيرا من رواة الحديث قوم جهال باللسان العربي ، لا يفرقون^(٤) بين المرفوع والمنصوب والمخفوض ، ولعمري لو أن العرب [وضعت لكل معنى^(٥) لفظا] يُودى عنه لا يلتبس بغيره لكان لهم عذر في ترك تعلم

(١) ورد في مسلم باب الجنة والنار ٨-١٤٩ . وفي البخارى باب الاستئذان ، ومسند أحمد بلفظ : إذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه . فإن الله خلق آدم على صورته (٢-٢٤٤) وفي زواية : ولا تقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإنه تعالى خلق آدم على صورته (٢-٢٥١) وفي (٢-٣١٥) رواه برواية مسلم .

(٢) ما بين القوسين زيادة في ط .

(٣) في ط : معاني .

(٤) هكذا في ب . وفي الأصل لا يفرق .

(٥) عبارة ب (وضعت كل معنى لفظا) . وهو تحريف .

الإعراب . ولم تكن [لهم^(١)] حاجة إليه في معرفة الخطأ
من الصواب .

ولكن العرب قد تُفرِّقُ بين المعنيين المتضادين
بالحركات فقط ، واللفظ واحد^(٢) . ألا ترى أن الفاعل
والمفعول ليس بينهما أكثر من الرفع والنصب ، فرمما
حدّث المحدث بالحديث فرقع لفظاً منه ينوى بها أنها
فاعلة ، ونصب أخرى ينوى بها أنها مفعولة ، فنقل عنه
السامع ذلك الحديث ، فرقع ما نصب ، ونصب ما رفع
جهلاً منه بما بين الأمرين فانعكس المعنى إلى ضد ما أراده
المحدث الأول . ألا ترى أن قوله صلى الله عليه وسلم :
« لا يُقتلُ قرشيٌّ صبراً بعد اليوم »^(٣) . إذا جُرِّمَت اللام
من يقتل كان له معنى ، وإذا رفعت كان له معنى آخر .

(١) في ط : هم .

(٢) من ذلك قولهم رجل ضحكة بضم الضاد وفتح الحاء أى يضحك
على الناس كثيراً مبالغة في اسم الفاعل . ورجل ضحكة بضم الضاد وسكون
الحاء أى يضحك الناس عليه فهو مضحوك عليه كثيراً مبالغة في اسم المفعول .

(٣) (صحيح مسلم باب الجهاد ٥-١٧٣) رواه الشعبي عن عبد الله
ابن مطيع عن أبيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم فتح مكة :
لا يقتل قرشي صبراً بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة .

ولو أن قارئاً قرأ : « هو الأول والآخِرُ »^(١) . ففتح
 الخاء لكان قد كفر وأشرك بالله تعالى ، وإذا كَسَرَ الخاء
 آمن ووحد^(٢) ، فليس بين الإيمان والكفر غير^(٣) حركة .
 ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : رحم الله امرأً
 أصلح من لسانه^(٤) .

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه :
 « تعلموا الفرائض والسنة واللحن كما تعلمون القرآن »^(٥)
 واللحن : اللغة . قال الشاعر :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة
 تبيكت على خضراء سمر قيودها
 صدوح الضحى معروفة اللحن لم تزل
 تقود الهوى من مسعد ويقودها^(٦)

(١) الحديد : آية ٣ .

(٢) وذلك لأن الآخر بكسر الخاء معناها الذى ليس شئ بعده
 فليس له نهاية . أما الآخر بفتح الخاء معناها المغارب . فتستدعى مغابراً كأن
 هناك إلاها غيره تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(٣) فى ب (إلا) بدل غير .

(٤) لم نعر على هذا الحديث بهذا اللفظ فى الصحاح

(٥) الدارمى : الفرائض (٢-٢٤٧-٢٤١) النهاية ٤-٢٤١ .

(٦) قائل هذا : على بن عميرة الجرمي . وفى رواية الأملى والأغنى :

وكذلك قوله تعالى : « هو الله الخالق البارئ المصور »
 ليس بين الإيمان والكفر فيه غير فتح الواو وكسرها .
 وكذلك قوله تعالى : [وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ] (١)

ولو أن رجلين تقدما إلى حَكَمٍ يدعى أَحَدُهُمَا على
 صاحبه بثوب ، فَقَرَّرَهُ الحَكَمُ على ذلك ، فإنه إن قال :
 ما أَخَذْتُ له ثوبٌ . بالرفع (٢) أَقَرَّ بالثوب على نفسه ،
 ولزمه إحضار ثوب (٣) . وإن قال ما أَخَذْتُ له ثوباً
 فنصب لم يُقَرَّرَ بشيء ، ولزمته اليمين إن لم تَقَمَّ عليه
 به بينة .

تغنت بدل تبكت . ويروى سمر بالرفع صفة لحمامة ، وفيه إشارة إلى
 ما يكون في محالب الحمام أو مواضع القيد منها من هذا اللون ويروى سمر
 بالجر فقيل صفة لحمامة بالجر على الجوار الخضراء ، وقيل صفة لخضراء .
 ويعنى بها الشجرة . وقبورها : أصولها . ويقال للمعين على العشق : مسعد
 كما يقال للمعين على العيش مساعد . يريد : تقود هوى مسعدها ، ويقودها
 مسعدها .

(الأمالي ١-٥ . سمط الآلي ١-١٩) .

(١) المرسلات : ١٥ مكررة .

(٢) في ط : فرفع .

(٣) لأن (له ثوب) جملة مثبتة مستقلة مستأنفة وإن نصب صارت

العبارة كلها جملة واحدة مسلطا عليها النفي .

وكذلك [إن^(١)] قال رجل لامرأته : أنت طالق
إن دخلت الدار ، فإنه إن فتح الهمزة طَلَّقَتْ عليه في
ذلك الوقت دون تأخير^(٢) .

وإن كسر الهمزة لم تُطَلَّقْ عليه ذلك^(٣) الوقت ،
وإنما تُطَلَّقْ عليه فيما يُسْتَقْبَلُ إن كان منها دخول للدار
ويروى أن الكسائي كُتِبَ إليه : ما تقول في رجل
قال :

فإن ترفقي يا هند فالرفقُ أيمنُ
وإن تخرقى يا هند فالخرقُ أشأمُ

فأنت طلاق - والطلاق عزيمة
ثلاثٌ ومن يخرقُ أعقٌ وأظلم^(٤)

(١) في ب و ط (لو) .

(٢) لأنه لا تعليق لأن أن مصدرية والمصدر المؤول علة للطلاق أي
لدخولك الدار .

(٣) في ط : في ذلك .

(٤) الرفق : ضد العنف . أيمن من اليمن وهو البركة - الخرق بضم
الخاء وسكون الراء : الحمق وألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمر .
أشأم من الشؤم ضد اليمن .

(انظر خزانة الأدب ٢-٦٩ ، ٧٥ شرح شواهد المغني ص ١٦٨)

فقال الكسائي : إن كان رفع العزيمة ونصب الثلاث ،
فهى ثلاث تطليقات .

وإن كان نصب العزيمة ورفع الثلاث فهى واحدة .
يريد أنه إذا رفع العزيمة ونصب الثلاث صار
التقدير ، فأنت طلاقٌ ثلاثاً ، والطلاق عزيمة على التقديم
والتأخير .

وإذا نصب العزيمة ورفع الثلاث لم ينو بثلاث
التقديم ، وصار التقدير فأنت طلاق ، وتم الكلام ،
ثم قال : والطلاق فى حال عزيمة المطلق عليه ثلاث ،
فلم يكن فى هذا الكلام ما يدل على أن هذا المطلق عزم
على الثلاث ، فمضى عليه بواحدة وقد يمكن أيضاً أن
ترفع العزيمة^(١) والثلاث معاً ، ويكون^(٢) التقدير :

فأنت طلاق^(٣) ثلاث ، والطلاق عزيمة ، فيلزم
ذلك ثلاث تطليقات . [والله أعلم^(٤)] .

(١) فى ط : أن ترفع الثلاث والعزيمة بالتقديم والتأخير

(٢) فى ط : فيكون

(٣) فى ط : طالق .

(٤) زيادة فى ط .

العلة الرابعة

وهي التصحيف .

وهذا أيضاً باب عظيم الفساد في الحديث جداً ،
وذلك أن كثيراً من المحدثين لا يضبطون الحروف ،
ولكنهم يرسلونها إرسالاً غير مُقَيِّدَة ولا مُشَقَّفَة اتكالا على
الحفظ ، فإذا غفل المحدثُ عما كتب مدةً من زمانه ،
ثم احتاج إلى قراءة ما كتب ، أو قرأه غيره ، فربما
رَفَع المنصوب ، ونصب المرفوع - كما قلنا - فانقلبت
المعاني إلى أضدادها ، ورُبَّما تَصَحَّفَ له الحرفُ بحرف
آخر لعدم الضبط فيه فانعكس المعنى إلى نقيض المراد به
وذلك أن هذا الخط العربي شديد الاشتباه ، وربما لم
يكن بين المعنيين المتضادين غير الحركة أو النقطة .
كقولهم : مُكْرِم بكسر الراء . إذا كان فاعلاً ، ومُكْرَم
بفتح الراء إذا كان مفعولاً

ورجل أفرغُ بالفاء إذا كان تام الشعر ، وأقرعُ
بالقاف : لا شعر في رأسه .

وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أَفْرَعٌ^(١) .

وقد جاءت^(٢) من هذا الباب أشياء [ظريفة^(٣)] عن
المحدثين نحو ما روى^(٤) عن يزيد بن هارون أنه روى :
كنا جلوساً حول بشر بن معاوية . وإنما هو : « حول
سرير معاوية » وكما روى عبد الرزاق : تقاتلون خُورَ
كِرْمان . وإنما خوز بالزاي معجمة^(٥) .

وكما صحف شُعْبَةَ التَّلْبِ العُنْبَرِيُّ فروادبثاء مثلثة
مكسورة ولام ساكنة ، وإنما هو التلب بتاء معجمة باثنتين

(١) في النهاية لابن الأثير ٣-١٩٦ . وفي حديث عمر قيل له الفرعان
أفضل أم الصلعان ؟ فقال : الفرعان . قيل فأنت أصلع . قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أفرع . والفرعان : جمع الأفرع . وفي اللسان مادة
فرع ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرع ذا جمعة . من فرع الرجل
فرعا إذا كثر شعره . ولا يقال لعظيم المحبة والجمعة أفرع . وإنما يقال لضد
الأصلع .

(٢) في ب جاء دون تاء .

(٣) في ط (ظريفة) وهي تحريف .

(٤) في ط : ما روى .

(٥) الخوز : جيل من الناس أعجمي معرب يقول في اللسان :

وخوز بالزاي ويروى بالراو صوبه الدارء قطني (اللسان خور - خوز) =

وكسر التاء واللام ، وتشديد الباء على وزن ضِعْرٍ .
ويدل عليه قول الشاعر :

إِن التَّيْلِبَ لَهُ عَرَسٌ يَمَانِيْسَةٌ
كَأَنَّ فَسْوَتَهَا فِي الْبَيْتِ إِعْصَارٌ

وروى بعضهم : أَدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا حَبَائِلَ
الْلَوْلُوْ ، ولا وجه للحبائل ههنا . لأن الحبائل عند العرب
الشباك التي يصاد بها الوحش واحدها حِبَالَةٌ . ومن
كلام العرب : [خَشَّ ذُوَالَةَ بِالْحِبَالَةِ] ^(١) ، وإنما هو
جنابذ اللؤلؤ ^(٢) ، والجنابذ جمع جُنْبَذَةٌ وهي القَبَّةُ

== ويهول ياقوت في معجم البلدان : خوز بالزاي بلاد خوزستان
وأهل تلك البلاد يقال لهم الخوز . وهم ألام الناس وأسقطهم (٤٠٤-٢)
(١) ما بين القوسين ساقط من ط... ومن كلام العرب خشن ذُوَالَةَ
بالحبالَة . خَشَّ : فعل أمر من خَشِيْتَهُ إِذَا خَوْفْتَهُ . وذُوَالَةَ : علم جنس للذئب
فهو معرفة ممنوع من الصرف . والحبالَة ما يصاد به من الشباك . ومعناه : تقعع
ترهب (اللسان : ذال) .

(٣) ورد في البخارى في صفة الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ • قال
ابن الأثير هكذا جاء جاء في كتاب البخارى والمعروف : جنابذ اللؤلؤ ،
فإن صحت رواية البخارى فيكون أراد به مواضع مرتفعة كحبال الرمل كأنه ==

وهذا النوع كثير جداً . قد وضع فيه الدارقطني^(١) كتاباً مشهوراً سماه تصحيح الحفاظ .

ومن طريف ما وقع [منه^(٢)] في كتاب مسلم ومسنده الصحيح : (نحن يوم القيامة على كذا أنظر)^(٣) .

وهذا شيء لا يتحصل له معنى ، وهكذا تجده في أكثر النسخ . وإنما هو نحن يوم القيامة على كوم . والكوم جمع كومة ، وهو المكان المشرف . فصحفه بعض النقلة فكتب : نحن يوم القيامة على كذا ، فقرأ من قرأ فلم يفهم ما هو . فكتب في طرة الكتاب : [انظر^(٤)] يأمر قارئ الكتاب بالنظر فيه ، فوجده ثالث فظنه فألحقه بمتنه .

== جمع حباله . وحباله جمع حبل وفي اللسان مادة جنيد : الجنيدة بالضم ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة ، وقيل قال ابن الأعرابي : الجنيدة : القبة ، وفي صفة الجنة : وسطها جناز من ذهب وفضة يسكنها قوم من أهل الجنة كالأعراب في البادية . وورد في حديث آخر فيها جناز من لؤلؤ .

(١) الدارقطني هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي كان عالماً حافظاً فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي . صنف كتاب السنن ، واختلف والموتلف توفي سنة ٣٨٥ هـ . وفيات الأعيان ٣٧٤-٣٨٥ .

(٢) ساقطة في ب .

(٣) الحديث (نحن يوم القيامة على كوم) رواه مسلم وحدث فيه تحريف . ضبطها ابن الأثير بفتح الكاف ، وقيل في الدر المنثور هو بفتح الكاف المواضع المشرفة واحداً كومة . النهاية ٣٨٤-٣٨٥ .

(٤) في ب (أنظر ما هو) .

العلة الخامسة

وهي إسقاط شيء من الحديث لا يتم المعنى إلا به .
وهذا النوع أيضا قد وردت منه أشياء كثيرة في الحديث
كنحو ما رواه قوم عن ابن مسعود [أنه سئل عن ليلة
الجن فقال : ما شهدها منا أحد] (١) .

وروى عنه من طريق آخر « أنه رأى قوما من الزُّطِ ،
فقال : هؤلاء أشبه من رأيت بالجن ليلة الجن »
فهذا الحديث يدل على أنه شهدها ، والأول يدل على

(١) الذي ورد في مسلم في باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة
للجن ٣٦٠-٢ وفي البخارى في مناقب الصحابة . عن داود قال : سألت عاتمة
هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ليلة الجن ؟ فقال علقمة : أنا سألت
ابن مسعود فقلت هل كان أحد منكم مع رسول الله ليلة الجن . قال : لا .
وهذا صريح في أنه لم يكن أحد مع رسول الله . وفي رواية أخرى قال :
لم أكن ليلة الجن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . ووردت أنى كنت
معه .

وفي مسند الإمام أحمد ٢٩٨-١ . عن ابن عباس عن ابن مسعود أنه
كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن . وعن أبي رافع عن ابن
مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن خط حوله ، فكان يحيى
أحدهم مثل سواد النخلة . وقال لى : لا تبرح مكانك فاقرأهم كتاب الله
عز وجل . فلما رأى الزُّط قال : كأنهم هؤلاء (انظر المسند ٤٤٩-١ ،
٤٥٥ ، ٤٥٨) .

أنه لم يشهدا . فالحديثان كما ترى متعارضان ، وإنما
أوجب التعارض بينهما أن الذي روى الحديث الأول
أسقط منه كلمة رواها غيره ، وإنما الحديث (ماشهدا
منا أحد غيري) .

العلة السادسة

وهي أن ينقل المحدث الحديث ، [ويغفل السبب]^(١)
الموجب له فيعرض من ذلك إشكال في الحديث ، أو معارضة
لحديث آخر كنعو ما رواه قوم من أن النبي صلى الله
عليه وسلم أتى العرنيين الذين ارتدوا عن الإسلام ،
وأغاروا على لقاحه فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل
عيونهم وتر كوا بالحرّة يستسقون فلا يسقون^(٢) حتى ماتوا .

(١) في ب (أو يغفل) بدل الواو وهو تحريف .

(٢) روى الأئمة - واللفظ لأبي داود - عن أنس بن مالك أن
قوما من عكل ، أو عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فاجتروا المدينة (أي أصابهم الجوى وهو المرض وداء الجوف . وذلك
إذا لم يوافقهم هواؤها ، واستوحجوها) فأمر لهم الرسول صلى الله عليه وسلم
بلقاح ، وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها ، فانطلقوا . فلما صحوا .
قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم ، واستاقوا النعم ، فبلغ النبي خبرهم
في أول النهار ، فأرسل في آثارهم . فارتفع النهار حتى جرى بهم فأمر
بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمل عيونهم وألقوا في الحرّة يستسقون فلا
يسقون . انظر القرطبي ٦-١٤٨ .

وقد وردت عنه الروايات من طرق شتى أنه نهى عن
المُثَلَّةِ ، وإنما عرض هذا التعارض من أجل أن الذى
روى الحديث الأول أغفل نقل سببه الذى أوجبه ،
ورواه غيره فقال : إنما فعل بهم ذلك لأنهم مَثَّنُوا بِرَاعِيهِ
فجازاهم بمثل فعلهم .

ومن الفقهاء من يرى أن هذا كان فى أول الإسلام
قبل أن تنزل الحدود ثم نسخ .

وقد ذهب بعض العلماء فى قوله صلى الله عليه وسلم :
« إن الله خلق آدم على صورته »^(١) إلى أنه مما أغفل الناقل
ذكر السبب الذى قاله من أجله - ورووا أن النبي صلى
الله عليه وسلم مر برجل وهو يلطم وجه عبده وهو يقول :
قَبِّحَ اللهُ وَجْهَكَ ، ووجهَ مَنْ أَشْبَهَكَ . فقال صلى الله عليه
وسلم : « إذا ضرب أحدكم عبده فليتق الوجه فإن الله
تعالى خلق آدم على صورته » . قالوا : فالهاء ترجع على
العبد ، فلما روى الراوى الحديث ، وأغفل رواية
السبب أو هم ظاهره أنها تعود على الله تعالى^(٢) - تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا - وهذا الذى قالوه ورووه غير
معترض على رواية غيرهم من وجهين :

(١) سبق تخريج هذا الحديث . وبيننا أنه ورد فى الصحاح .

(٢) فى ط زيادة (سبحانه) .

أحدهما : أنه قد جاء في حديث آخر : « خلق آدم على صورة الرحمن »^(١) وجاء في حديث آخر : « رأيت ربي في أحسن صورة » . وهذا لا يسوغ معه شيء من الذي قالوه .

والثاني : أن الحديث له تأويل صحيح بخلاف ما ظنوه ، وقد تكلم فيه ابن قتيبة ولم يأت فيه بمقنع . [بل جاء بما لو سكت عنه لكان أجدى بما عليه]^(٢) . وتكلم فيه ابن فورك^(٣) فأحسن فيه كل الإحسان ، [ونحن نذكر ما قال]^(٤) بأوجز ما يمكن ؛ ونزيد ما يتمم ذلك بحول الله وقدرته . فنقول : إن الضمير في قوله على صورته يجوز أن يكون عائداً على آدم ، ويجوز أن يكون عائداً على الله تعالى . فإذا كان عائداً على آدم فالغرض من الحديث الرد على الدهرية واليهود

(١) سبق تخريج هذا الحديث .

(٢) ما بين القوسين زيادة في ط . وابن قتيبة سبق الحديث عنه .

(٣) ابن فورك بضم الفاء وفتح الراء : محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني . واعظ عالم بالأصول ويعتد من فقهاء الشافعية سمع بالبصرة . وحدث بنسابة . صنف ما يقرب من مائة مؤلف توفي سنة ٤٠٦ هـ .

(وفيات الأعيان ١-٤٨٢ . النجوم الزاهرة ٤-٢٤٠ . الطبقات الكبرى ٣-٥٢) .

(٤) في ب : ونحن نذكر معنى ما قال .

والقدرية ، وهذا من جوامع كلمه التي أوتيتها صلى الله عليه وسلم .

فوجه الرد على الدهرية من وجهين :

أحدهما : أن الدهرية قالت : إن العالم لا أول له ، وأنه لا يجوز أن يتكون حيوان إلا من حيوان آخر قبله ، فأعلمنا صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورته التي شوهد عليها ابتداءً من غير أن يتكون في رحم كما يتكون الجنين علقه ثم مضغة حتى يتم خلقه (١)

والثاني : أن الدهرية تزعم أن للطبيعة والنفس الكلية فعلا في المحدثات المكونة (٢) غير فعل الله — تعالى الله عن قولهم — فأعلمنا أيضاً أن الله خلقه على هيئته التي كان عليها ، وانفرد بذلك دون مشاركة من طبيعة ولا نفس . ووجه الرد منه على اليهود . أن اليهود كانوا يزعمون أن آدم في الدنيا كان على خلاف صورته في الجنة ، وأن الله تعالى لما أهبطه من جنته نقص قامته ، وغير

(١) في ط : حتى ثم الحلقة .

(٢) في ب و ط (التكونه) .

خلقته^(١) فأعلمنا بكنبهم فيما يزعمون ، وأعلمنا أنه خلقه في أول أمره على صورته التي كان عليها عند هبوطه

ووجه الرد [منه^(٢)] على القدرية : أن القدرية زعمت أن أفعال البشر مخلوقة لهم لا لله — تعالى الله عن قولهم — وهو نحو ما ذهب إليه الدهرية من أن للنفس والطبيعة أفعالا غير فعل الله تعالى . فأفادنا أيضاً بطلان قولهم — وأعلمنا أن الله تعالى خلقه ، وخلق جميع أفعاله .

فهذا ما في الهاء من القول إذا كانت عائدة^(٣) على آدم صلى الله عليه وسلم وإذا كانت عائدة على الله تعالى كانت إضافة صورة آدم إليه على وجه التشريف والتنويه ، والتخصيص ، لا على معنى آخر مما يسبق إليه^(٤) الوهم من معاني الإضافات ، فيكون كقولهم في الكعبة إنها بيت الله ، وقد علمنا أن البيوت كلها له^(٥) .

وكقوله : [وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ

(١) في ط خلقه .

(٢) ساقط من ط .

(٣) في ب و ط (راجعة) .

(٤) في ط : إلى الوهم .

(٥) في ط : لله .

هُونًا [(١)] . وقد علمنا أنَّ جميع البشر من مؤمن وكافر عباده .

وإنما خصَّصَهُ بالإضافة إلى الله تعالى دون غيره لأنَّ الله تعالى شرفه بما لم يشرف به غيره ، وذلك أنه عز وجل شرف الحيوان على الجماد ، وشرف الإنسان على سائر الحيوان (٢) ، وشرف الأنبياء عليهم السلام على جميع نوع الإنسان ، وشرف آدم على جميع بنيه بأن خلقه دفعةً من غير ذكر وأنثى (٣) ، ودون أن ينتقل من النطفة إلى العلقة ، ومن العلقة إلى المضغة ، وسائر أحوال الإنسان التي يتصرف فيها إلى حين كماله ، ونسب خلقه إلى نفسه دون سائر البشر ، فقال تعالى :

[لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ] (٤) ، [وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي] (٥) وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ وَلَمْ يَأْمُرْهُمُ بِالسُّجُودِ لغيره . فنيهنا

(١) الفرقان : ٦٣ .

(٢) في ط : الحيوانات .

(٣) في ط : ولا أنثى .

(٤) سورة ص : ٧٥ .

(٥) الحجر : ٢٩ الآية : (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا

عليه السلام بإضافة صورته إلى الله تعالى على هذه المنزلة
التي تفرد بها دون غيره .

وَيَدُلُّكَ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى : [وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِنْ رُوحِي] وقوله : [وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ] ^(١) ،
وقوله : [لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ] ^(٢) فكما لا تدل إضافة
هذه الأشياء إليه على أن له نفسًا ، وروحا ويديين ^(٣)
فكذلك إضافته الصورة إليه لا تدل على أن له صورة .
وقد يجوز في إضافة الصورة إلى الله تعالى وجه فيه
غموض ودقة ، وذلك أن العرب تستعمل الصورة على
وجهين :

أحدهما : الصورة التي هي شكل مخطط ، [محدود
بالجهات كقولك صورة زيد وصورة عمر] ^(٤) .

[والثاني : يريدون بها صفة الشيء الذي لا شكل له
ولا تخطيط ، ولا جهات محدودة] ^(٥) كقولك : ما صورة

(١) المائدة : ١١٦ .

(٢) سورة ص : ٧٥ . والآية هي : (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد
لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين) .

(٣) مذهب السلف أن له يدين لا يشبهان أيدي الحوادث .

(٤) ما بين القوسين في ب ساقط من الأصل .

(٥) ما بين القوسين في أ ساقط من ب .

أمرك ؟ ، وكيف كانت صورة قصتك ؟ يريدون بذلك
الصفة .

فقد يجوز أن يكون معنى خَلَقَ آدم على صورته :
أى على صفته . فيكون مضروفاً إلى المعنى الثانى الذى
لا تحديد فيه .

فإن قلت فما معنى هذه الصفة ، ؟ وكيف تلخيص
القول فيها ؟

فالجواب أن معنى ذلك أن الله جعله خليفة فى أرضه .
وجعل له عقلاً يعمل به ^(١) ويفكر ، ويسوس ، ويدبر
وينهى ^(٢) ويأمر ، وسلطه على جميع ما فى البر ، والبحر ^(٣)
وسخر له ما فى السموات والأرض ، وقد قال فى نحو
هذا بعض المحدثين يمدح بعض خلفاء بنى أمية :

أمره من أمر من ملَّكُه

فإذا ما شاء غاقى وابتلى ^(٤)

(١) فى ب و ط : يعلم به . وهو أنسب .

(٢) فى ط : ويأمر وينهى .

(٣) فى ب : البحر والبر .

(٤) هذا من الغلو فى المدح إلى درجة أن يضفى الشاعر صفات الخالق

على مخلوقه .

فيكون معنى قولنا في آدم أنه خلق على صورة الله
تعالى كمعنى قولنا فيه إنه خليفة الله .

وهذه التاويلات كلها لا تقتضى تشبيها ، ولا تحديدا .

فإن قلت فكيف تصنع بالحديث المروى عنه صلى الله
عليه وسلم « رأيت ربي في أحسن صورة » . وهذا لا يمكنك
فيه شيء من التاويل المتقدم ، ولا يصح لك حملة
عليه ؟

فالجواب : أن هذا الحديث ورد بلفظ مشترك يحتمل

معنيين :-

أحدهما : أن يكون قوله في أحسن صورة راجعاً إلى
الرائى لا إلى المرئى ، وهو الله تعالى . فيكون معناه :
رأيت ربي [وأنا في أحسن صورة .

والثانى : أن يكون قوله^(١) في أحسن صورة راجعاً
إلى المرئى وهو الله عز وجل فيكون] معناه : رأيت ربي
على أحسن صفة فتكون الصورة بمعنى الصفة التى
لا توجب تحديداً كما ذكرنا .

(١) ما بين القوسين في ب وط ساقط في ا .

وهذا في العربية كقولك : رأيت زيدا في الدار
فيجوز أن يكون قولك في الدار لك كأنك قلت :
رأيت زيدا وأنا في الدار ، ويجوز أن يكون المعنى :
رأيت زيدا وهو في الدار ، وعلى هذا نقول : رأيت
زيدا قائماً قاعداً ، ولقيت زيدا راكبين .

قال الشاعر :

فلئن لقيتكَ خالِيَيْنَ لتَعَلَّمَنَّ

أبِيَّ وَأَيْكَ فَارُسُ الْأَحْزَابِ (١)

فإذا كان التقدير رأيت ربي وأنا في أحسن صورة
كان معناه أن الله تبارك وتعالى حسن صورته ، ونقله
إلى هيئة يمكنه (٢) معها رؤيته ، إذ كان البشر لا يمكنهم
رؤية الله تعالى على الصورة التي هم عليها حتى ينقلوا
إلى صور آخر غير صورهم ، ألا ترى أن المؤمنين يرون
الله تعالى في الآخرة ، ولا يرونه في الدنيا ، لأن الله تعالى
ينقلهم عن صفاتهم إلى صفات آخر أعلى وأشرف ،

(١) هذا البيت من شواهد النحو ، وهو هنا شاهد على مجيء الحال (خالين)
من الفاعل والمفعول معاً ولم يعلم قائله .

(٢) انظر شرح شواهد الألفية للعيني ٣-٤٢٢

(٢) في الأصل يمكنها ، وفي ط ونقله إلى صفة بدل هيئة .

فَعَجَّلَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْكِرَامَةَ
قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ خُصُوصًا دُونَ الْبَشَرِ حَتَّى رَأَاهُ وَشَاهَدَهُ ،
وَاللَّهُ يُوْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَخْتَصِرُ بِكِرَامَتِهِ مَنْ يَرِيدُ (١) .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ رَاجِعًا عَلَى اللهِ تَعَالَى كَانَ مَعْنَاهُ : أَنَّهُ
رَأَى رَبَّهُ عَلَى أَحْسَنِ مَا عَوَدَهُ مِنْ إِنْعَامِهِ وَإِحْسَانِهِ ،
وَإِكْرَامِهِ ، وَامْتِنَانِهِ كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ : كَيْفَ كَانَتْ
صُورَةُ أَمْرِكَ عِنْدَ لِقَاءِ الْمَلِكِ ؟ فَيَقُولُ : خَيْرَ صُورَةٍ .
أَعْطَانِي وَأَنْعَمَ عَلَيَّ ، وَأَدْنَانِي مِنْ مَحَلِّ كِرَامَتِهِ وَأَحْسَنَ
إِلَيَّ .

فَهَذَا تَأْوِيلَانِ (٢) صَحِيحَانِ خَارِجَانِ عَلَى أَسَالِيبِ كَلَامِ
العَرَبِ دُونَ تَكْلِيفٍ . وَلَا خُرُوجٍ مِنْ مَسْتَعْمَلٍ إِلَى تَعَسُفٍ (٣)
وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ : أَنَّهَا كَانَتْ رُؤْيَا فِي النَّوْمِ ،

(١) فِي طَ زِيَادَةَ (لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ) .

(٢) هَذِهِ التَّأْوِيلَاتُ الَّتِي ذَهَبَ إِلَيْهَا الْمُؤَلِّفُ لَا يَرْضَاهَا السَّلَفُ ،
قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ : هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ ، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ
أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ فِي مَعْنَاهُ ، بَلْ يَقُولُونَ : يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُوَسِّنَ بِهَا ، وَنَعْتَقِدَ لَهَا
مَعْنَى يَلِيقُ بِجَلَالَةِ اللهِ تَعَالَى ، مَعَ اعْتِقَادِنَا أَنَّهُ لَيْسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ .
الدرر السنوية ٣-٣١٤ .

(٣) فِي طَ مَتَعَسَفٌ .

فإذا كان الأمر كذلك كان التأويل واضحا لأنه لا تنكر
رؤية الله في المنام [وبالله التوفيق] (١)

العلة السابعة

وهي أن يسمع المحدث بعض الحديث ، ويفوته
سماع بعضه كنعو ما روى من أن عائشة - رضی الله
عنها : (أُخْبِرْتُ أَنَّ [أبا هُرَيْرَةَ (٢)] حَدَّثَ أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ يَكُنُ الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَ :
الدار ، والمرأة ، والفرس » (٣)

وهذا الحديث معارض لقوله عليه السلام : « لا عدوى ،
ولا هامة ، ولا صفر ، ولا غول » (٤)

وقد روى عنه في أحاديث كثيرة أنه نهى عن التطير

(١) زيادة في ط :

(٢) في ب (أبا هريرة أو ابن عمر) .

(٣) ورد الحديث بهذا اللفظ في البخاري باب النكاح ٧-١٠ ،
وابن ماجه ١-٦٤٢ ومسنده الإمام أحمد ٥-٣٣٥ ، ٣٣٨ .

(٤) في البخاري ومسلم : لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر
وكذلك في ابن ماجه ٢-١١٧١ وزاد أحمد (وفر من الخنوم فرارك من الأسد)
وفي رواية لأحمد ومسلم « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا غول » .

فغضبت عائشة . وقالت : والله ما قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ، وإنما قال : « كان أهل الجاهلية يقولون : إن يكن الصوم في ثلاث : (المرأة ، والدار ، ^(١) والفرس) .

فدخل [أبو هريرة ^(٢)] فسمع [آخر] ^(٣) الحديث ، ولم يسمع أوله .

وهذا غير منكر أن يعرض لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر في مجالسه الأخبار حكاية ، ويتكلم بما لا يريد به أمرا ، ولا نهيًا ، ولا أن يجعله أصلا في دينه وشيئا يُستنَّب به ، وذلك معلوم من فعله ، ومشهور من قوله .

الجملة النامنة

وهي نقل الحديث من الصحف ^(٤) دون لقاء الشيوخ ، والسماع من الأئمة

(١) عبارة ب (الدار والمرأة والفرس) .

(٢) في ب (ابن عمر) .

(٣) كلمة آخر ساقطة من ط .

(٤) في ط : المصحف .

وهذا أيضاً باب عظيم البلية والضرر في الدين ، فإن كثيراً من الناس يتسامحون فيه جداً ، وأكثرهم إنما يعول على إجازة الشيخ له دون لقائه والضبط عليه ، ثم يأخذ بعد ذلك من الصحف المسوّدة ، والكتب التي لا يُعلم صحتها^(١) من سقمها ، وربما كانت مخالفة لرواية شيخه ، فيصحف الحروف ويبدل الألفاظ ، وينسب جمع ذلك إلى شيخه ظالماً له [وقد صار أكثر علم الناس]^(٢) في زماننا هذا على هذه الصفة ، ليس بأيديهم من العلم غير أسماء الكتب .

وإنما ذكرت لك هذه العلة العارضة للحديث لأنها أصول لنقاد الحديث المهتمين^(٣) بمعرفة صحبته من سقيمها ، فإذا ورد عليهم حديث بشيع^(٤) المسموع ، أو مخالف للمشهور نظروا أولاً في سنده . فإن وجدوا في نقلته رجلاً متهما ببعض تلك الوجوه التي ذكرناها استرأبوها ولم يجعلوه أصلاً يعول عليه .

(١) في ط : بصحتها .

(٢) عبارة ب (وقد صار علم أكثر الناس) .

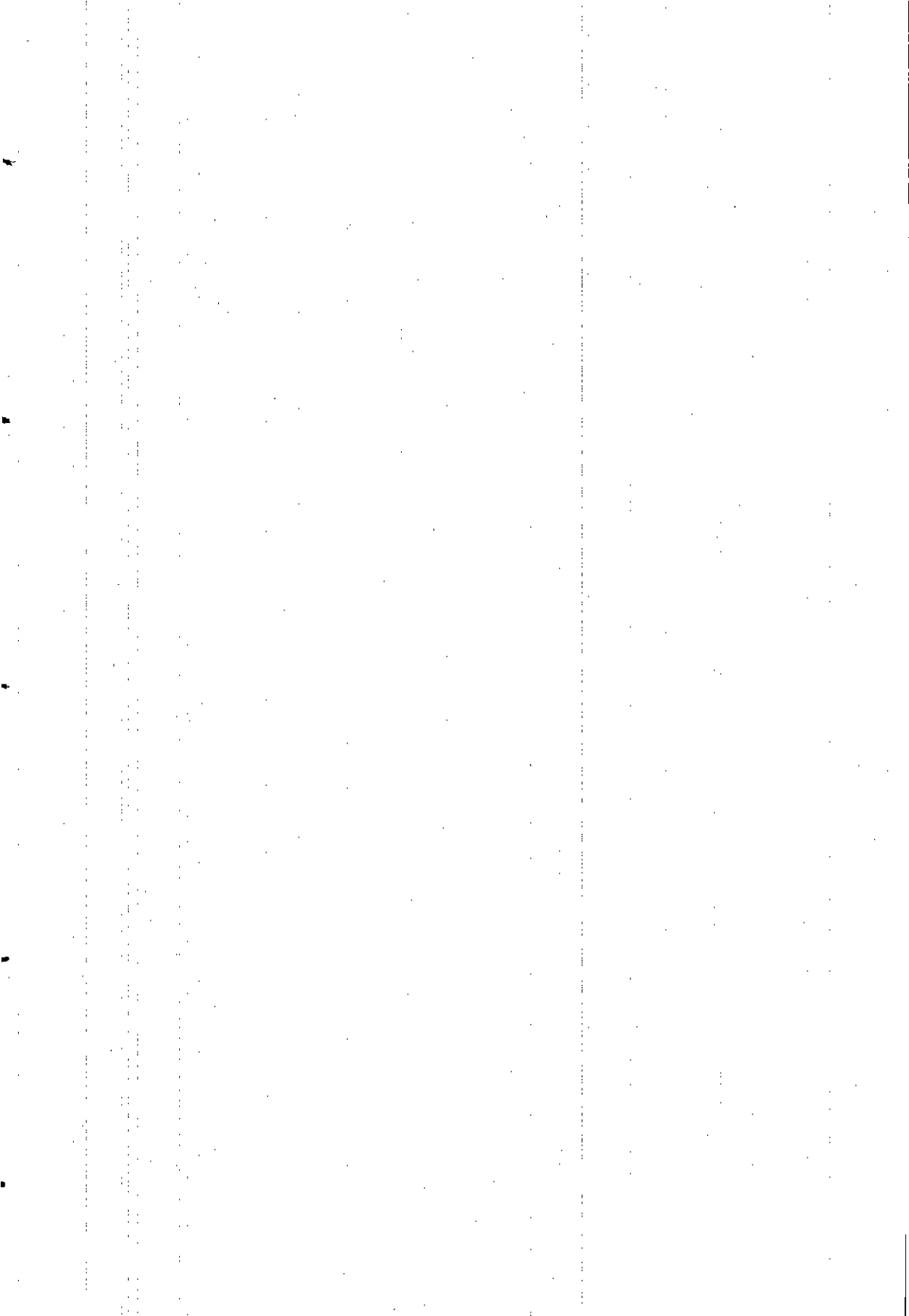
(٣) المهتمين أي المهتمين من اهتبل الصيد . إذا بغاه وطلبه وفي ط المتكئين وهي تصحيف إذ لا معنى لها .

(٤) بشيع . هكذا ورد في ا . ب بمعنى كريبه والمسموع من العرب

وإن وجدوا رجاله الناقلين له ثقات مشهورين بالعدالة
معروفين بالعفة^(١) والأمانة رجعوا إلى التأويل والنظر ،
فإن وجدوا له تأويلا يحمل عليه قبلوه ولم ينكروه ،
وإن لم يجدوا له تأويلا إلا على استكراه شديد نسبوه
إلى غلط وقع فيه من بعض تلك الوجوه المتقدمة الذكر .
فهذه جملة القول في هذا الباب [وبالله التوفيق]^(٢) .

(١) بالعفة (هكذا في ا ، ب) . وفي ط : بالفقه .

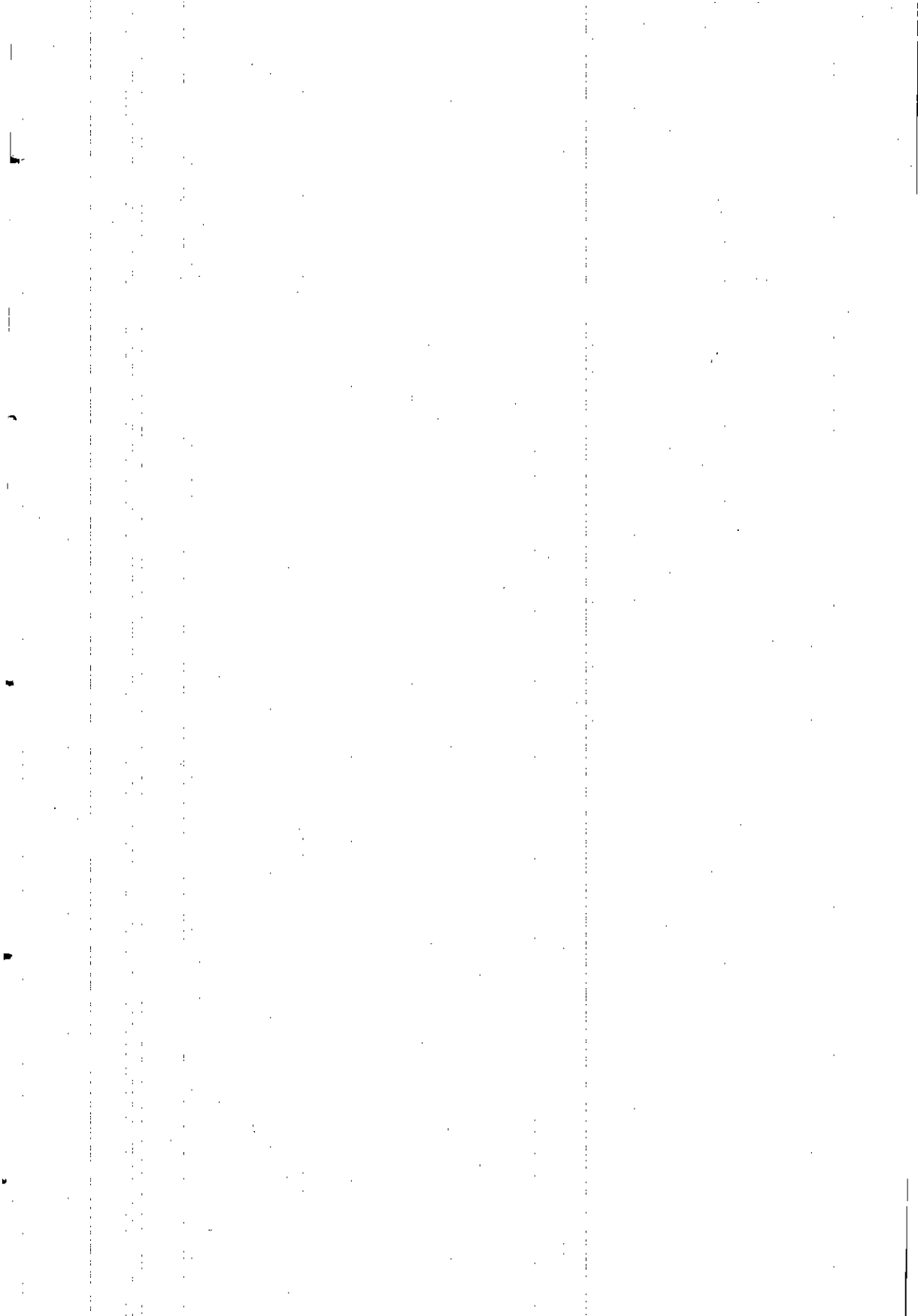
(٢) ما بين القوسين ساقط من ب .



الباب السادس

في الخلاف المأرض
من قبل

الاجتهاد
والمتياس



هذا النوع إنما يكون فيما يعدم فيه وجود نص من القرآن أو حديث ، [فيفزع]^(١) الفقيه عند ذلك [إلى الاستعمال للقياس]^(٢) ، والنظر كما قال الشاعر :

إذا أعيى الفقيه وجود نص

تعلق لا محالة بالقياس

والخلاف العارض من هذا الموضع نوعان :

أحدهما : الخلاف الواقع بين المنكرين للاجتهاد والقياس^(٣) والمثبتين له .

والنوع الآخر : خلاف يعرض بين أصحاب القياس في قياسهم كاختلاف المالكية والشافعية والحنفية ونحوهم . فيعرض من ذلك أنواع من الخلاف عظيمة - وهذا الباب أشهر من أن نطيل القول فيه .

(١) في ط فيقرع وهو تحريف .

(٢) في ب و ط (إلى استعمال القياس) .

(٣) الذين أنكروا القياس الظاهرية وبعض العلماء ، ووجهة نظرهم : أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفارق الدنيا إلا بعد أن اكتمل الدين . وبين عليه السلام الشريعة بياناً واضحاً، وترك لنا كتاب الله وسنته فهما =

بيان كل شيء، فلا حاجة للقياس مع أن الشارع أثبت أحكاما لا مجال

للعقل فيها ، فكيف يتأتى القياس ؟

وقد ذم أصحاب رسول الله الرأى وكرهوا القياس ، ثم إن القياس ظن وحس ، ولا يجوز إثبات الأحكام الشرعية بالظن والحس .

أما المثبتون له فوجهة نظرهم : أن القياس يقوم على العلة ، والعلة يدل عليها النص أو الإجماع ، وهما دليلان قطعيان ، ثم إن الرسول عليه السلام أرشد إلى القياس ، وحدثت حوادث على عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حكوا فيها بالقياس ، ولم ينكر منهم أحد ذلك .

وترتب على هذا الاختلاف في أمور كثيرة فمثلا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (فيها رواه مسلم عن أنى سعيد الخدرى) الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد ، فن زاد أو استزاد فقد أربا ، الآخذ والمعطى فيه سواء .

فالذين أنكروا القياس لا ربا عندهم في الأرز ولا في الحمص ولا في الزبيب لأنه لم ينص عليها .

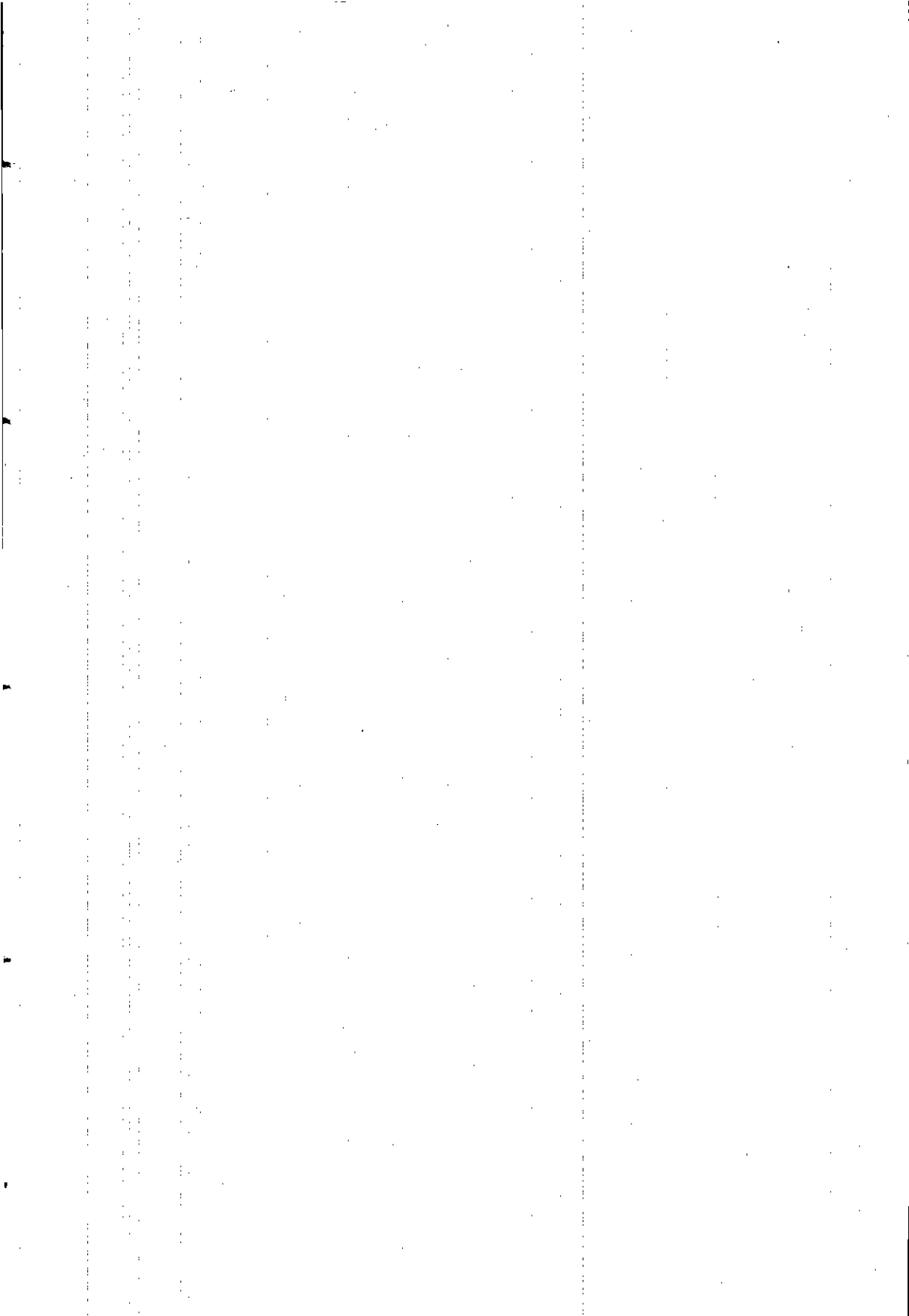
والذين يقولون بالقياس يلحقونها بما اشتركت معه في علة الحكم .

الباب السابع

في الخلاف المأرض

من قبل

النسخ



الخلاف العارض من هذا الموضوع يتنوع أولاً نوعين :
أحدها : خلاف عارض بين من أنكر النسخ ومن
أثبتته ، وإثباته هو الصحيح .
وجميع أهل السنة مشبعون له^(١) ، وإنما خالف في ذلك
من لا يلتفت إلى خلافه لأنه بمنزلة دفع الضرورات وإنكار
العيان .

والنوع الثاني : خلاف عارض بين القائلين بالنسخ ،
وهذا النوع الثاني ينقسم ثلاثة أقسام :
أحدها : اختلافهم في الأخبار^(٢) هل يجوز فيها النسخ
كما يجوز في الأمر والنهي أم لا ؟

(١) استدل المحزون للنسخ بقول الله تعالى : (محو الله ما يشاء ويثبت
وعنده أم الكتاب) . الرعد ٣٩ . قال ابن عباس وغيره : معناه : يحو
ما يشاء من أحكام كتابه فينسخه ببدل أو بغير بدل ، ويثبت ما يشاء
فلا يحويه ولا ينسخه . (الإيضاح للناسخ والمنسوخ لمكي ١٥٣) .
وقول الله تعالى : (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا
إنما أنت مفتر) . النحل : الآية ١٠١ . (ما نسخ من آية أو نسها
نأت بغير منها أو مثلها) البقرة : الآية ١٠٦ .

(٢) يرى جمهرة العلماء أن مما لا يجوز نسخه كل ما أخبرنا الله تعالى
عنه أنه سيكون أو أنه كان ، أو قض علينا من أخبار الأمم الماضية وأخبار

والثاني ^(١) : اختلافهم هل يجوز أن تنسخ السنة
القرآن ^(٢) أم لا ؟

والثالث : اختلافهم في أشياء من القرآن والحديث .
يذهب بعضهم إلى أنها نسخت ، وبعضهم إلى أنها لم
تنسخ ^(٣)

الجنة والنار والحساب والعقاب والبعث والحشر وخلق السموات والأرضين
لأنه يتعالى الله أن يجبر عن الشيء على غير ما هو به . (المصدر السابق ٥٦) .
(١) ساقط من موجود في ب .

(٢) أجاز فريق من العلماء نسخ القرآن بالسنة المتواترة لأن الله يقول
(وما ينطق عن الهوى) النجم ٣ : ويقول : (وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر : ٧ .

وقالوا إن قول الله تبارك وتعالى : (كتب عليكم إذا حضر أحدكم
الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين)
البقرة : ١٨٠ نسخ بحديث لا وصية لوارث .

وأنكر فريق آخر من العلماء نسخ القرآن بالسنة لأن السنة مبينة ولا يكون
المبين ناسخاً ثم إن القرآن معجز والسنة غير معجزة . ولا ينسخ غير المعجز
المعجز وقالوا : إن الوصية للوالدين والأقربين نسخت بآية الموارث .

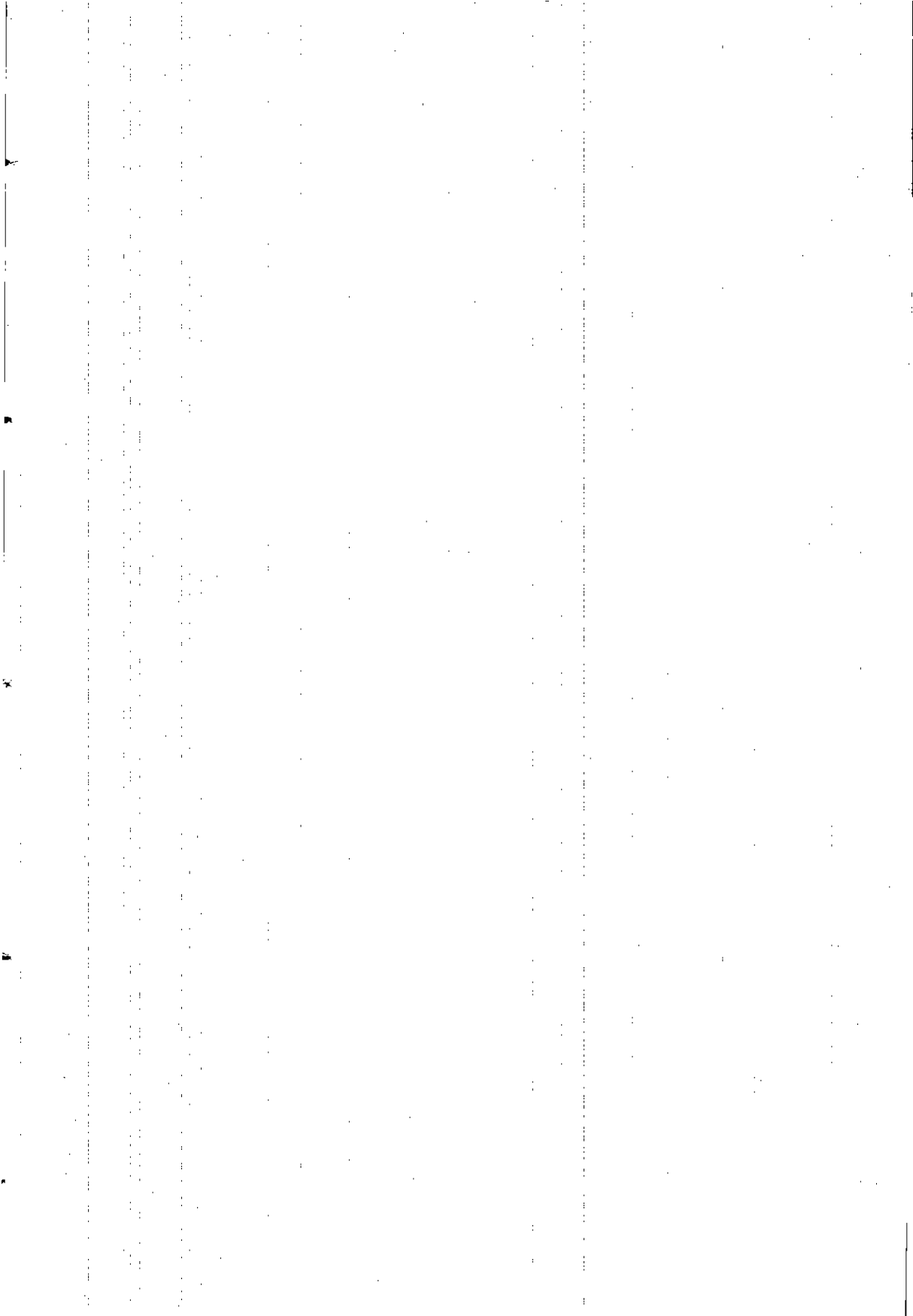
(٣) كما في آية : (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية
لا ينكحها إلا زان أو مشرك) النور : ٣ .

قال جماعة نسخت بقوله تعالى : (وأنكحوا الأباي منكم) النور ٣٢ .
وقال جماعة منهم ابن عباس إنها محكمة ، وهو رأي ابن عباس والحسن البصري .

الباب الثامن

في الخلاف العارض
من قبل

الإباحة



هذا النوع من الخلاف يعرض من قبل أشياء وسع الله فيها --- عز وجل --- على عباده ، وأباحها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

كاختلاف الناس في الأذان والتكبير على الجنائز ، وتكبير التشريق ، ووجوه القراءات السبع ، ونحو ذلك . فهذه أسباب الخلاف الواقع بين الأمة قد نبهت عليها ، وأرشدت قارئ كتابي هذا إليها .

وهذا الكتاب وإن كان صغير الجرم يسير الحجم ، فإن فيه تنبيهات على أشياء جلية يحسن سماعها ، ويحلوا من نفس الذكي موقعها ، وأنا أستغفر الله من زلل إن كان عرض وأسأله عوناً على ما تعبد به وفرض ، لا رب غيره ، ولا معبود سواه .

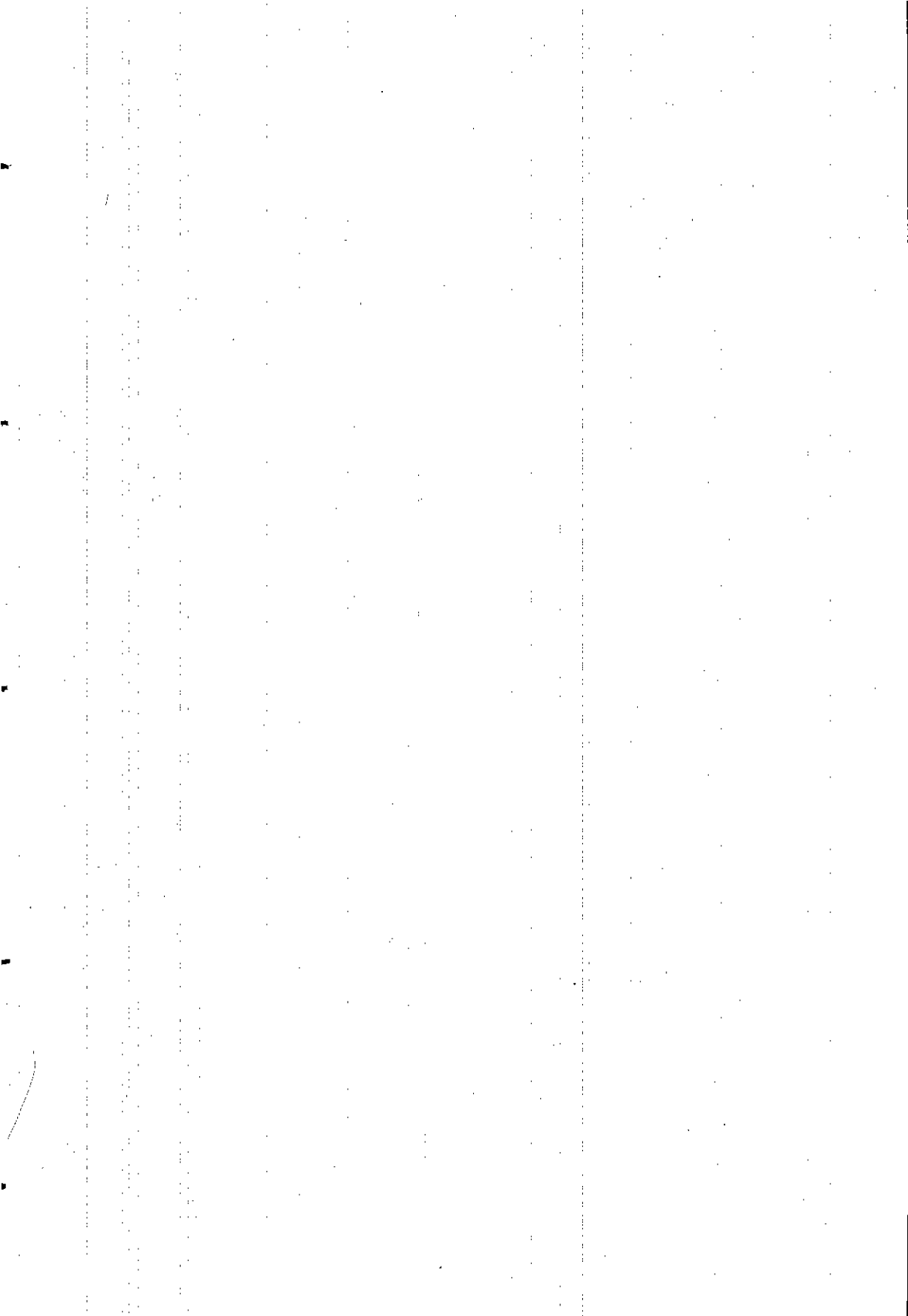
تم جميع الكتاب بحمد الله وعونه ،

وإحسانه ومنه . وصلى الله على

محمد نبيه ، وأهله وسلم

تسليماً ، وحسبنا الله

ونعم الوكيل .



فهرس الأحادس النبوة

صفحة	
١٩٢	أدخلت الجنة فرأيت جنازب اللؤلؤ
٩١	إذا أنامت فأحرققوف
١٧٩	إذا حاضت المرأة حرم الجحران
١٤٥	إذا ذكر القضاء فأسكوا
٢٩	أسرعكن لحاقاً بي
٧٧	أصحابي كالنجوم
١٤	أعدى عن الصلاة أيام أفرانك
١٧١	إن الأحاديث ستكثر بعدى
١٥٨	إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض
٢٣	إن الإسلام بدأ غربياً
٢٩	إن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن له أئنا أسرع بك لحوقاً؟
١٧٨	إن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أيجوز إنيان المرأة فى دبرها؟
٤٠	إن الله خلق آدم على صورته
١٢٢	إن موسى عليه السلام شكى إلى الله
٢٠٦	إن يكن الشؤم فى ثلاث
١١٧	بعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيراً وشرط لى حملانه
١٥٩	تخضمون ونقضم والموعد الله «أبو ذر»
١٨٦	تعلموا الفرائض والسنة والسنن «عمر»
١١٢	خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلاً
١٩٧	خلق آدم على صورة الرحمن
١٣٦	خلقت عبادى حنفاء كلهم
١٨٣	خلق الله آدم على صورته
١٣٤	دين الله بين الغسالى والمقصر
١٩٧	رأيت ربى فى أحسن صورة
١٨٦	رحم الله امرأ أصلح من لسانه
١٥٢٤١١٠	الزعم غارم
١٩٤	سئل ابن مسعود عن ليلة الجن
١٥٥	سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الصلاة أفضل؟
١٣٥	السعيد من سعد فى بطن أمه
١٥٤	صفح عن أمى عما حدثت به نفوسها
٢٣	طوبى لمن مات فى التأنأة «أبو بكر»

٥٦	عجبت لقوم يقادون في السلاسل
١٩٥	العرنيون الذين ارتدوا عن الإسلام
١٧٦٤٢٤	قصوا الشوارب وأعفوا الحي
١٨٩	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرع
١٣٦	كل مولود يولد على الفطرة
٢٠٦	لا عدوى ولا هامة
٢٧	لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث
١٨٥	لا يقتل قرشي صبرا
١٥٧	المؤمن يأكل في معي واحد
١٨١	من سره أن يذهب كثير من وحر صدره
١٢٤	من سره النساء في الأجل
١٩٣	نحن يوم القيامة على كوم
١٧٨	نصر الله امراً سمع مقالتي فوعاها
١١٦	نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع وشروط
٩٥	وإننا إن شاء الله بكم لاحقون
١٨٢	وهب النبي صلى الله عليه وسلم لعل عمامة تسمى السحاب
٦٥	ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا

القيواف

صفحة

٢٥	على آثار من ذهب العفساء « زهير »	تحمل أهلها مها فيانوا
٢٩	فلستا من الأموات فيها ولا الأحياء	خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها
١٢٥	إنما الميت ميت الأحياء « عدى بن الرعلاء »	ليس من مات فاستراح بميت
١٢٥	كاسفا باله قليل الرجاء « عدى بن الرعلاء »	إنما الميت من يعيش كئيبا
١٧٧	فيمن فالقوادم فالخساء « زهير »	عفا من آل فاطمة الجساء

(ب)

٩٠	فلم ينتجه عند ذلك مجيب « كعب بن سعد »	وداع دعا يا من يجيب إلى الندى
٩١	لعل أبا المغرار منك قريب « كعب بن سعد »	فقلت أدع أخرى وارفع الصوت دعوة
٩١	نجيب لأبواب العلاء طلوب « كعب بن سعد »	يجبك كما قد كان يفعل إنه
٩٧	وماذا يرد الليل حين يتوب « كعب بن سعد »	هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا
١٧١	خلق ولا ديني ابتغاء التحب	ولست وإن قربت يوماً ببائع
١٧١	ويمنعني من ذلك ديني ومنصبي	ويتمتده قوم كثير تجارة
١٨٣	من الغزال منهم وابن سباب « اسحاق بن سويد الفقيه »	بريت من الخوارج لست منهم
١٨٣	يردون السلام على السحاب « اسحاق بن سويد الفقيه »	ومن قوم إذا ذكروا عليا
١٨٣	وأعلم أن ذلك من الصواب « اسحاق بن سويد الفقيه »	ولكى أحب بكل قلبى

١٨٣	به أرجو غداً حسن الثواب « اسحاق بن سويد الفقيه »	رسول الله والصديق جبا
٢٠٤	أبي وأيك فارس الأحزاب	فلئن لقيتك خالين لتعلمن
٦٥	رعيناه وإن كانوا غضابا « معاوية بن مالك »	إذا سقط السماء بأرض قوم

(ت)

٨٥	ولم تكذب القتل بها حين صلت « الفرزدق »	بأيدي رجال لم يشموا سيوفهم
١٢٤	معي وعقام تنق الفحل مقلت	إذا شئت أواني صروم مشيع
١٢٤	بها الشمس حى فى الأكارع ميت	يطوف بها من جانبها وتنسج
١٢٧	لإن زال عنها الجلد بالسوط ماتت	ومجلودة بالسوط فيه حياتها

(ج)

٨٠	والليل فى لعر منحوت من الساج	أما النهار فى قيد وسلسلة
----	------------------------------	--------------------------

(ح)

٢٥	إذا هبت لقارها الرياح « مالك بن الحارث الهذلى »	شنت العقبى عقر بنى شليل
١٢٧	فأرقد اليوم وأسترىح	قد كنت أرجو أن تموت الريح

(د)

١٠٢	أوام به بعد الوفود وفود « أبو عطاء السندى »	لإن تمس مهجور الفناء فرجما
١٢٥	بأفعالنا إن التناء هو الخلد	فأثنوا علينا لا أبداً لأبيكم
١٨٦	تبكت على خضراء سمر قيودها « على بن عميرة الجرمى »	وما هاج هذا الشوق إلا حداة
١٨٦	تفود الهوى من مسعد ويقودها « على بن عميرة الجرمى »	سدوح الضحى معروفة الخن لم تزل
١٧٤	سيسأل عنها والمسليك شهيد	ولا ين معين فى الرجال مقالة
١٧٤	وإن يك زورا فالعقاب شديد	لإن يك حقاً قوله فهو غيبة
١٢٧	ويحيا إذا فارقتها فيمعد « جميل بن عمير »	يموت الهوى من إذا ما لقيتها

(د)

صفحة

- ١٨ يا جعفر يا جعفر يا جعفر
أو ألك ذا شيب فأنت أكبر
١٨ ومقنع من الحرير أصفر
لعمرك ما سعد بخلة آثم
٢٣ « امرؤ القيس »
٦٤ تعل الندى في متنه وتحذرا
كثور العذاب الفرد يضربه الندى
« ابن أحمر »
٧٠ بني أسد حزناً من الأرض أو عرا
هو المنزل الألاف من جو ناعط
« امرؤ القيس »
٧٦ مثل النجوم التي يسرى بها السارى
من تلاق منهم ثقل لآليت سيدهم
« عقيل بن العرنيس »
١٠٥ إذا سافه العود النباطى جرجرا
عل لا حب لا يهتدى بمناره
« امرؤ القيس »
١٠٥ كأن أبكارها نعماج دوار
لا أعرفن ربربا حورا مدامعها
١٢٥ بعمر فلما مات أبو عمرو
وكان أبو عمرو معارا حياته
« النابغة »
١٣٠ بروحك واقتته لها لينة قدرا
فقلت له ارفعها إليك فأحبها
« ذو الرمة »
١٢٩ كالسيف أو كالحية المذعور
بين حفاقي جدول مسجور
« ابن الرومي »
١٣٢ أموت مراراً وأحيى مرارا
تركنتى اليوم في غفلة
« المتنبي »
١٩٢ كأن فسوتها في البيت إعصار
إن التاب له عرس يمانيه

(هـ)

- ٧٢ بدار الهوان والإتعاس
أزلوها بحيث أزلها الله
« سديف بن ميمون »
٩٠ لعل من يانا تحولن أبوسا
وبدلت فرحا داما بعد صحة
« امرؤ القيس »

(ض)

- ١٤ له قسوه كقسوه الحائض
يا رب ذى ضغن على لارض
٧٠ من شاهق عال إلى خفض
أزلنى الدهسر على حكمة
« خطاب بن المعل »

(ع)

صفحة

- ٩٢ على العلم من أنها ليس تنفع
١٢٣ حياة الذي يقضى حشاثة نازع
« ذو الرمة »
٣١ ولكن كان أطولهم ذراعاً
« أبو زياد الأنصاري »
٤١ وفينا نبي عنده الوحي واضعه
« حسان »

(ق)

- ١٩ لعينيه في حاسرا كاد يبرق
« ذو الرمة »
٧٥ هس وضامت بتورك الأفق
« العباس بن عبد المطلب »
٩٨ لم تأس أسوا رفيقا

(ك)

- ١٣ تشد لأصاها عزم عزائكا
« الأعمش »
١٣ اما ضاع من قروء نساككا
« الأعمش »

(ل)

- ٢٨ لدى وكرها العذاب والحشف البالي
« امرؤ القيس »
٤٨ ولا يظلمون الناس حبة خردل
« قيس بن عمرو »
٥٧ ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
« أبو خراش »
٥٧ غدير جرت في منته الربيع سلسل
« أوس بن حجر »
٥٦ وبين الجبال العفر ذات السلاسل
« ذو الرمة »

٦٣	منيع يرد الطرف وهو كليل « السموأل »	لنسا جبل يحمله من نخره
٦٣	فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل « الأعشى »	كناطح صحرة يوماً ليفلقها
٨١	قسبت وأما ليلها فذميل « حميد بن ثور »	ومطوية الأكراب أما نهارها
٨٧	كفاني ولم أطلب قليل من المال « امرؤ القيس »	فلو أن ما أسمى لأدق معيشة
٨٨	وقد يدرك المجد المؤئل أمثال « امرؤ القيس »	ولكننا أسمى لمجد مؤئل
٩٥	له بالفعال الصالحات وصول	فإن لا يكن جسمي طويلاً فإنني
٩٦	أصبت حليماً أو أصابك جاهل « أوس بن حجر »	إذا أنت لم ترض عن الجهل والحنأ
٩١	فما في حياة بعد موتك طائل « الذابغة »	فإن تحي لا أمل حياتي وإن تمت
٩٣	كأننا وعن قف يرفع الآلا « الذابغة الجعدى »	حتى لحقنا بهم تعدى فوارسنا
١٠٢	رب هيضل مرص لفتت بهيضل « أبو كبير الهذلي »	أزهر إن يشب القذال فيأني
١٣٠	وإن لم أكفنها فوت معجل	وزهراء إن كفتها فهو عيشها
٢٠	فعوداً لديه بالصريم عودله « زهير »	بكرت عليه غدوة فرأيتنه
٣١	قد احترىوا في عاجل إذا آجله « حوات الأنصاري »	وأهل عيباء صالح ذات بينهم
٦٢	إلى باذخ يعلو على من يطاوله « زهير »	حذيفة ينميه وبدر كلاهما
٤٠	على كل حال مرة هو حامله « زهير »	نظرت إليه نظرة فرأيتنه
٧٤	أيبي لنس يا أمم ما أنت فاعله « عامر بن الطفيل »	أنازلة يا أمم أم غير نازلة
١٢٨	يجرد حرذ الحية المغلفة	أقبل سيل جاء من أمر الله
٢٠٢	فإذا ما شاء عاقى وابتسلى	أمره من أمر من ملكه

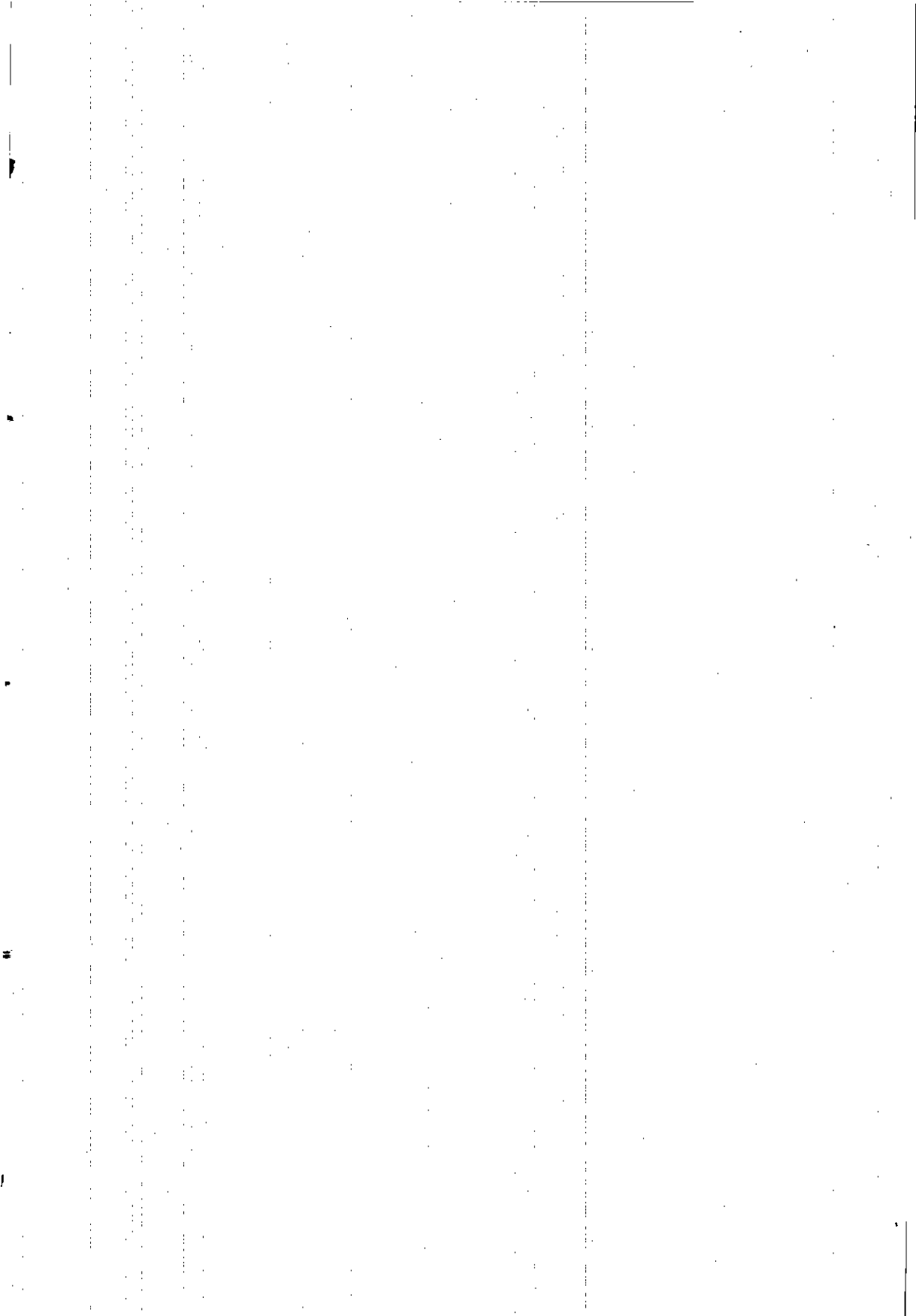
صفحة		
٢١	برمل عزراق أسلمه الصريم « برج بن مسهر بن جلاس »	كأنا والرحال على صوار
٢٢	يقرو الأعراس من لبنان والأكرام « النابغة »	حتى غدا في بياض الصبح منطلعا
١٧٧-٢٥	بأسوق عافيات اللحم كوم « لبيد »	ولكننا نعصر السيف منها
٣٥	ويرغب أن يرضى صنيع الألائم	ويرغب أن يبنى المعالي حسالدا
٦٠	ولكن بنيان قوم تهدما « عبدة بن الطيب »	لأ كان قيس هلكه هلك واحد
٤٧	وعدوائه أعتبتمونا براسم	أمن عمل الجسراف أمس وظلمه
٤٧	بهائم صال أو ديد باليهائم	أميرى عدا إن حبسنا عليهما
٧٦	بنو تيم مصاييح الظلام « امرؤ القيس »	أفر حتى امرؤ القيس بن جحر
٧٦	مثل المصاييح تجلو ليلة الظلم « النابغة »	لا يبعد الله جيرانا تركهم
٨١	ونمت وما ليبل المظى بنائم « جرير »	لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى
٧٩	هو النساء وإن الدين قد عزما « النابغة »	حيالك ربى فإننا لا يحبل لنا
٨٨	على ابن أبي زيان أن يتندما	لعل إذا ماتت بي الريح ميلا
٩٦	فما عهد نجد عندنا يندم	فإن أك فارقت نجدنا وأهله
١٠٣	وأقتسه من العقل السقيم « المتنبي »	وكم عائب قسولا صحيحا
١٠٣	على قصدر القرائع والعلوم « المتنبي »	ولكن تأخذ الأذان منه
١٣١	وفي العتاب حياة بين أقوام	أبلغ أبا مالك عني مغفلة
١٣٢	ولا تخسرقا ماؤهن حميم « ابن ميادة »	صحاب لا من صيف ذي صواعق
١٣٢	بكين بها حتى يعيش هشيم « ابن ميادة »	إذا ماهبطن الأرض قد مات عودها
١٨٨	وان تخرق يا هند فالخرق أشأم	فإن ترفق يا هند فالرفق أعم
١٨٨	ثلاث ومن يخرق أعق وأظلم	فأنت طلاق والطلاق عزيمة
٢١	تسوي هوى أنجم الصريم
٤٧	خوير بين يتففسان الهاما	ان بها أكسل أو رزاما

(ن)

صفحة		
٥٤	من القوم أبزى بادن متباطن « كثير »	رأني كأشلاء الخيام وبعلمها
٥٤	إذا ماوازنت القوم بالقوم وازن « كثير »	فإن أك معروق المظام فلاني
٤٩	ومن إساءة أهل سوء إحسانا « قريط بن أئيف »	يجزون من ظلم أهل الظلم مقفرة
٥٥	بدير سمعان قسطاس الموازين	قد غيب الدافنون الحمد إذ دفنوا
٦١	عن الماء رمى الحاتم الوجدان « ابن حجر »	فلما رأى سفوان أن قد عزلته
٦٠	بريشا ومن أجل الطوى رمان « ابن أحر »	رمانى بأمر كنت منه ووالسدى
٣٦	وعمي الجواب عن السائلينا « كعب بن جعيل »	إذا سئل عنه حدا شبهة
٣٧	ولا فى النهاية ولا الأمرينا « كعب بن جعيل »	فليس براص ولا ساخط
٣٧	ولا بد من بعض ذا أن يكوننا « كعب بن جعيل »	ولا هو ساء ولا سره
٦٥	صار الريد فى رموس العيدان « صعصعة بن بجير الهلالى »	الحمد لله العزيز المنان
١٤١	يوم القيامة من ذى العرش وضواة	أنت الإمام الذى نرجو بطاعته
١٤١	جزاك ربك عنا فيه إحسانا	أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا
١٧٠	أهذا دينه أبدا وديسى « المثقب العبدى »	تقول إذا درأت لها رضىنى
٦	أخوها غذته أمه بلبانها « أبو الأسود »	فإلا يكنها أو تكنه فإنه

(ي)

٢٩	عجينا وقتلنا جاء هذا من الدنيا	إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة
١٣٠	ولا بد يوماً أن نموت ولا نحيا	نموت ونحيا كل ليلة
٨٢	وحبك من غنى شبع ورى « امرئ القيس »	فتوسع أهلها أقطا وسمنا



الأعلام

(١)

- آدم عليه السلام ، ١٥٦ ، ١٨٣ ، ١٩٧ .
ابن أبي ليلى ١١٥ .
ابن أحمر ٦٠ - ٦٤ .
ابن الأعرابي ١٤ ش .
ابن نعيمة ٦٦ - ٦٨ ش
ابن جني ٣٣ ش ، ٩٧
ابن حجر ٣٠ ش
ابن حزم ٧٧ ش
ابن خالويه ١٧ ش ، ١٦٩ ش
ابن الرومي ١٢٩
ابن السيد ١٧ ، ٣٥ ش - ١٠٠ ش
ابن سيرين ١٢٩
ابن شبرمة ١١٦
ابن الشجري ٧٨ ش
ابن شهاب ٦٠
ابن عباس ٢٧ ش ، ٣٣ ، ٧٧ ش ، ١٥٦ ، ١٦٠
ابن عبد البر ٧٧ ش
ابن عطية ١٦٩ ش
ابن عمر ٢٤ ش ، ١٨٣ ش
ابن فورك ١٩٧
ابن كثير ٣٣ ش - ٧٧
ابن مسعود ٢٧ ، ٣٣ ، ١٩٤
ابن معين ١٧٣ ش
ابن ميادة ١٣٢
ابن هشام ١٧ ش ، ٣٥ ش ، ١٠٠ ش
ابن يعمر ١٧ ش

أبو الأسود الدؤلي ٦
أبو بكر الصديق - ١٧ ش ٢٣ ٤
أبو حنيفة - ٧ ش ٢٧ ٤ ٢٩ ش ١١٥ ٤
أبو حيوة ١٧ ش ١
أبو حيان ٢٤ ش ٣٣ ش ٣٨ ٤ ش ٤٤ ٤
أبو خراش ٥٦
أبو ذر الغفاري ١٥٩
أبو سعيد الخدري ١٥٨
أبو عبيدة ٢٤ ٤ ١٤ ش
أبو عبيدة ٣٤ ش ٤
أبو عمرو الداني ٣٣ ش ١٦٩ ٤ ش
أبو عمرو الظلمني ٦٦ ش
أبو كبير الهذلي ١٠١
أبو مجلز ٢٦
أبو هريرة ١٥٧ ش
الأخفش ٤٤ ش
إسحاق بن سويد الفقيه ١٨٣
امرؤ القيس ٧٠ - ٨٦ - ٨٢ - ٧٧ - ٨٩ - ١٠٤
أم سلمة - ١٧ ش
أوس بن حجر ٥٧ ٤

(ب)

البخاري ٢٤ ش ٢٩ ٤ ش ٥٦ ٤ ش ١٧٣

(ج)

جرير ٢٥ ٤ ٨٠
جهجاه الغفاري ١٥٧
جهم بن صفوان ٩ ش

(ح)

حجاج بن أرتاه ٢٦
حسان بن ثابت ٤١
الحسن البصري ٢٥ ٤ ١٣٤
حميد بن ثور ٨١

(خ)

عالم بن عبد الله القسري ٣٧
خوات بن جبير ٣١

(ذ)

ذو الرمة ١٩ ، ١٢٣

(ز)

الزعفراني ١٧ ش
الزغشري ٥٧ ش ، ٩٩ ش ، ١٢٦ ش ، ١٧٩ ش
زهير بن أبي سلمى ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٦٢ ، ١٧٧
زيد بن ثابت بن زين العابدين ٩ ش ، ١٣ ش

(س)

السموئل ٦٢
سيويه ٤١ ، ٤٤ ش ، ٤٦ ش ، ١٠٠ ش

(ش)

الشافعي - ٧ ، ١٧ ش ، ٢٧ ش
شبل بن عبد الله (مولى بنى هاشم) ٧٣ ش
شعبة ١٩١
الشعبي ١٥٦

(ض)

الضحاك ٣٣ ش

(ط)

طاووس ١٦٩ ش

(ع)

عائشة رضي الله عنها ١٣ ، ١٧ ش ، ٢٧ ش
عبد بن الطيب ٦٥
العباس بن عبد المطلب ٧٥

عبد الله بن سبأ ٩ ش
عبد الوارث بن سعيد ١١٥
عثمان بن عفان ١٣ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٧
عطاء بن أبي رباح ٢٦
عقيل بن العرنوس ٧٦ ش
علي بن أبي طالب ٣٥ ، ٣٧ ، ١٤٠ ، ١٨٦
علي بن عميرة الجرمي ١٨٦ ش
عمر بن الخطاب ١٣ - ٣٣ ش ، ١٧٢ ش ، ١٨٦
عمر بن عبد العزيز ٥٥
عمرو بن فايد ١٦٩ ش
عمرو بن عبيد ١٦٩ ش - ١٣٨ ش

(ف)

فاطمة بنت حبيش ١٤ ش
الفراء ٤٤ ش ، ٤٦ ش ، ٤٩ ش
الفرزدق ٨٥ ش

(ق)

القرظبي ٧٧ ش
قريظ بن أنيف ٤٩ ش

(ك)

كثير ٥٤
الكسائي ٤٤ ش ، ٤٦ ش - ١٨٨
كعب بن جعيل ٣٦
كعب بن زهير ٢٠ ش
كعب بن سعد الغنوي ٩٠ ، ٩٦

(ل)

ليبد بن ربيعة ٢٥ ش

(م)

مالك بن أنس - ٧ ، ٢٦ ، ٢٦

المبرد ١٨
المثقب العبدى ١٦٩
معاقد ٣٣ ش
مروان بن الحكم ، ١٥٩ ش
مسعر بن قدام ، ١١٧
مسلم ، ١٧٣
معاوية بن مالك (معود الحكماء) ٦٥
موسى عليه السلام ١٢٢

(ن)

الذبيعة الجعدى ٩٣
الذبيعة الذبياني ٢١ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٩١ ، ١٠٥
الذهمان بن الحارث الغساني ٩١
النجاشي (قيس بن عمرو الشاعر) ٤٨ ش
نعم بن مسعود ١٥٣

(هـ)

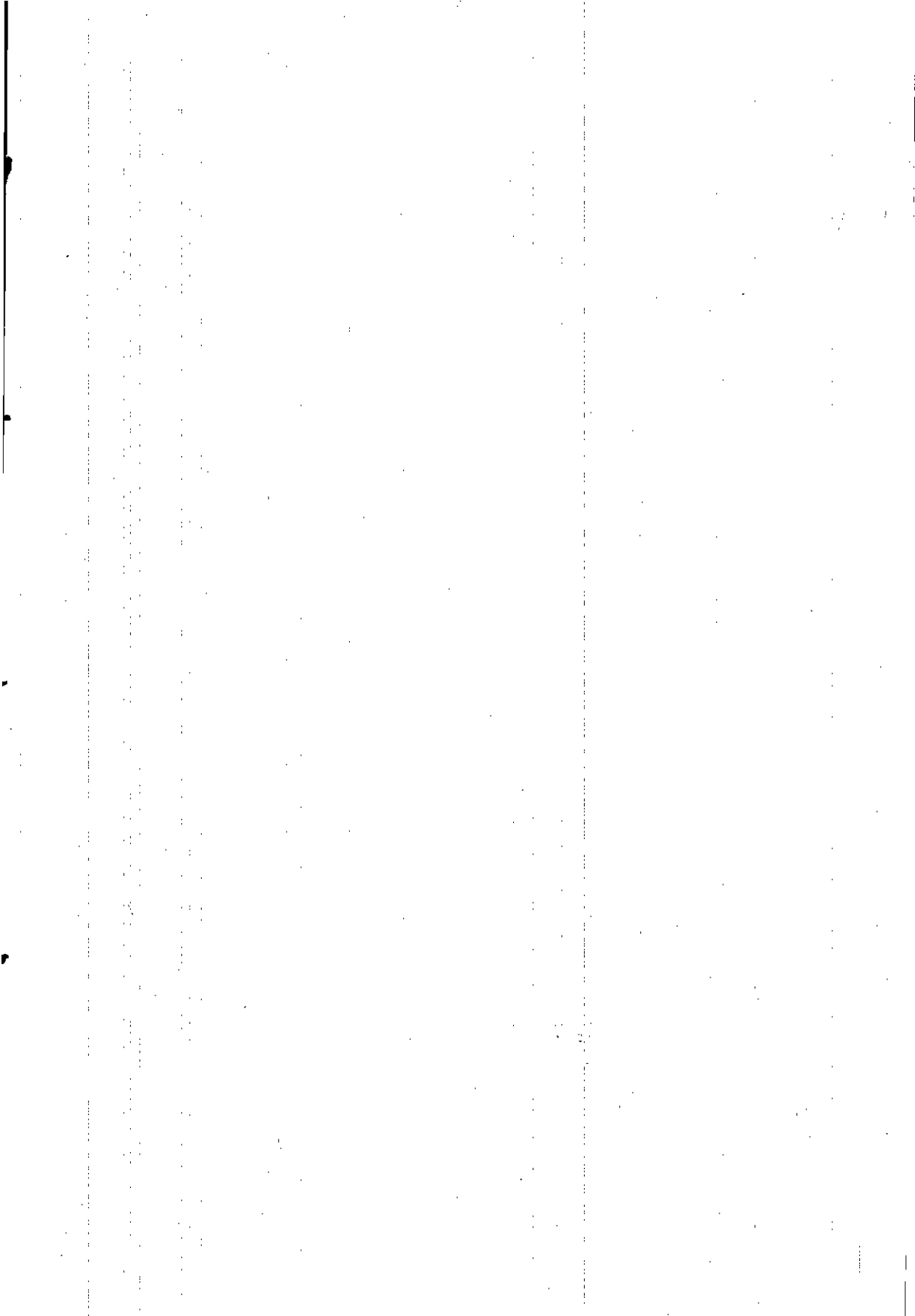
هشام الجواليقي ٧٧ ش
هشام بن عروة ١١٦

(و)

وكيع بن الجراح ٦٦ ش

(ى)

يزيد بن عمر بن هبيرة ١٠٢ ش
يعقوب بن السكيت ١٥

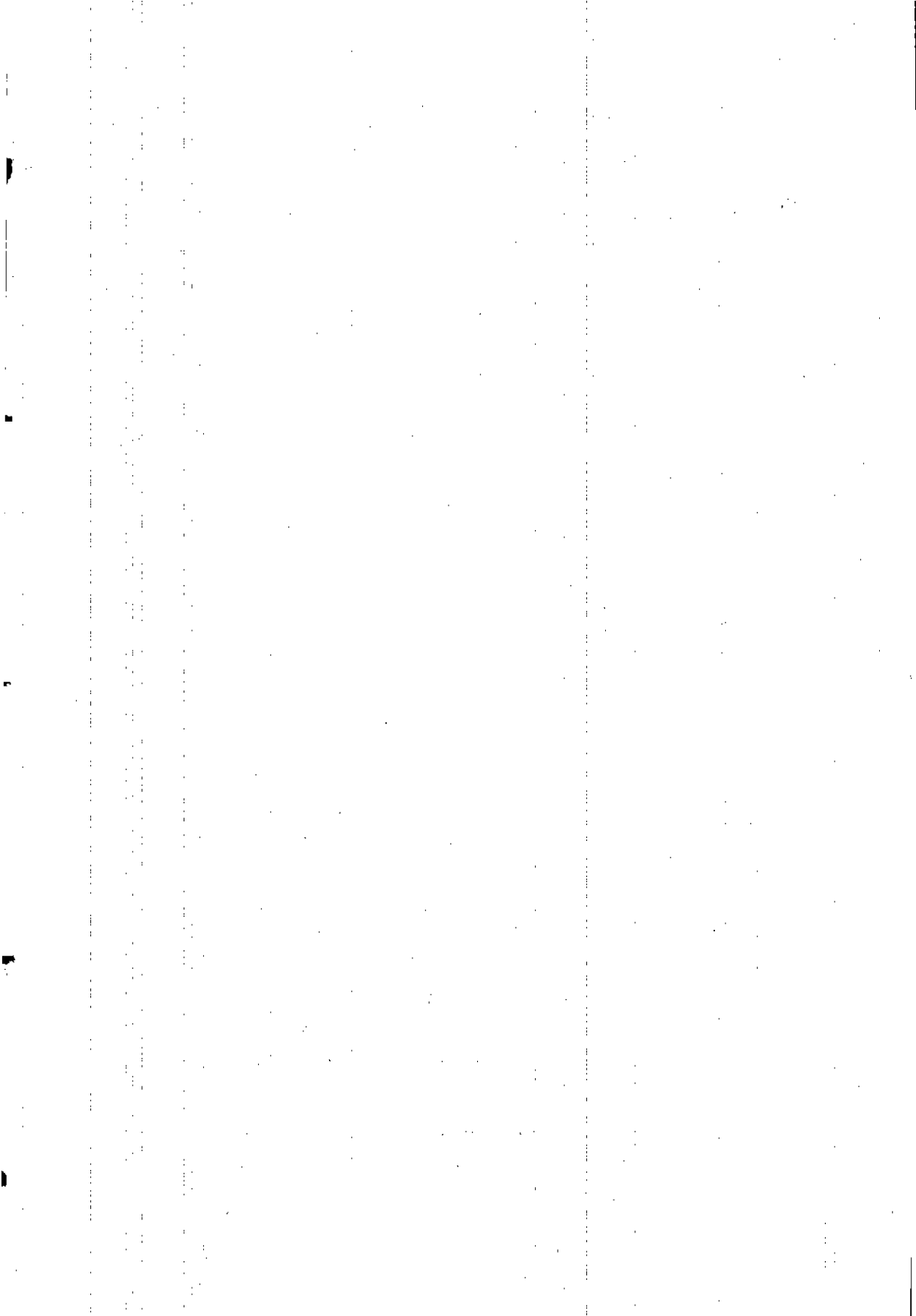


أهم المصادر

القاهرة	دار العروبة	أشعار الهذليين
بيروت	دار الفكر	الأغاني
حيدر أباد	مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية	الأمالي الشجرية
القاهرة	المطبعة العثمانية	البخاري
»	الحلبي	بداية المجتهد - ابن رشد
»	صبيح	تاريخ الفرق الإسلامية - علي مصطفى -
»	الحسانجي	تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي -
»	مطبعة المدني	تاريخ المذاهب الإسلامية - أبو زهرة -
بيروت	دار إحياء التراث	تذكرة الحفاظ - الذهبي -
القاهرة	مكتبة نشر الثقافة الإسلامية	تكملة الصلة - ابن الأبار
»	دار المعارف	تفسير ابن جرير الطبري
الرياض	مطبعة النصر الحديثة	تفسير البحر المحيط - أبو حيان -
القاهرة	دار الكتب	تفسير القرطبي
بيروت	دار الكتاب العربي	تفسير الكشاف - الزمخشري
»	دار صادر	تهذيب التهذيب - ابن حجر
»	المكتبة العصرية	الحركة اللغوية في الأندلس - البير حبيب -
القاهرة	الحلبي	الحيدوان للمحافظ
»	دار الكتب الحديثة	الدرر الكافية في أعيان المائة الثامنة - ابن حجر
بيروت	دار المعرفة	الدرر اللوامع - الشنقيطي
القاهرة	مطبعة المهاد	الديباج المذهب - ابن فرحون
بيروت	دار إحياء التراث	ديوان ابن الرومي
بيروت	دار الكاتب العربي	ديوان الأعشى
القاهرة	دار المعارف	ديوان امرئ القيس
بيروت	دار صادر	ديوان أوس بن حجر
القاهرة	المطبعة العلمية	ديوان جرير
بيروت	دار صادر	ديوان حسان بن ثابت
القاهرة	مطبعة الدار القومية	ديوان حميد بن ثور
دشك	مطبوعات المجمع اللغوي	ديوان ذي الرمة مع شرح لأبي نصر الباهلي

بيروت	المطبعة الحميدية	ديوان زهير
بيروت	دار الثقافة	ديوان كبير عسرة
بيروت	دار صادر	ديوان ليبيد
»	»	ديوان النايفة
القاهرة	المكتبة التجارية	زهر الآداب - الحصري
»	لجنة التأليف والترجمة والنشر	سمط اللاتى - أبو عبيد البكري
القاهرة	المكتبة التجارية	شرح الأعمى لديوان زهير
»	مطبعة حجازى	شرح الرضى على الكافية
»	مطبعة النوفيق	شرح الحماسة للثبريزى
»	مطبعة حجازى	شرح الشافية - الرضى -
»	مطبعة بولاق	شرح شواهد سيبويه للأعمى
بيروت	مكتبة الحياة	شرح شواهد المغنى - السيوطى
القاهرة	دار احياء الكتب العربية	شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
»	مطبعة التقدم	الشعر والشعراء - ابن قتيبة -
»	مكتبة نشر الثقافة الإسلامية	الاصلة لابن بشكوال
بيروت	دار الكتاب العربى	ضحى الإسلام - أحمد أمين
القاهرة	المطبعة الحسينية	طبقات الشافعية - السبكي -
»	مطبعة لجنة التأليف والترجمة	العقد الفريد - ابن عبد ربه -
»	مكتبة محمد صبيح	الفرق بين الفرق للبغدادى
»	الحسانجى	الفهرسة - ابن خبير الأشبيل
تونس	المكتبة العتيقة	قلائد العقيان - الفتح بن خاقان
القاهرة	الحلبى	الكامل للمبرد
حلب	مكتبة التراث الإسلامى	كشف الخفاء - اسماعيل العجلونى
استانبول	وكالة المعارف	كشف الظنون - حاجى خليفة
القاهرة	مطبعة السعادة	كتابات الجرجانى
بيروت	صادر	لسان العرب
القاهرة	دار المعارف	مجالس ثعلب
الكويت	وزارة الإرشاد	مجالس العلماء - الزجاجى
القاهرة	مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية	المحتسب لابن جنى
»	المطبعة الرجانية	مختصر شواذ القراءات - ابن خالويه
بيروت	مؤسسة الأعلمى	مرآة الجنان - اليافعى
القاهرة	المطبعة المصرية	مسلم
»	دار المعارف	مسند الإمام أحمد
بيروت	دار صادر	معجم البلدان - ياقوت
»	دار الكاتب العربى	المغنى - ابن هشام

القاهرة	المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية	المقتضب للمبرد تحقيق الأستاذ محمد عزيمة
»	مكتبة النهضة المصرية	مقالات الإسلاميين للأشعري
»	مكتبة صبيح	الملل والنحل للشهرستاني
»	الحلبي	المنصف لابن جني
بيروت	مكتبة المعارف	النهاية لابن الأثير
بيروت	دار المعرفة	جمع المسوامع - السيوطي -
القاهرة	مطبعة بولاق	وفيات الأعيان - ابن خلكان



الموضوعات

صفحة	
٣	المقدمة
٤	حكمة الله في الخلق وفي اختلافهم في الطباع والآراء
٥	الاختلاف دليل على البعث
٧	المسالكي - الشافعي - الحنفي - الجبري - القنوري - المشبه - الجهمي - الزيدي -
٩	الرافضي - السبئي - الغرابي - الخميس - المحمدي
١١	الأوجه الموجبة للخلاف ثمانية في ثمانية أبواب

الباب الأول

١٢	في الاشتراك اللفظي - وهو ثلاثة أنواع
١٢	الاشتراك في موضوع اللفظة المفردة الواقع على معان مختلفة متضادة
١٣	القرء المبيض والظهر - الخلاف بين الحجازيين والعراقيين
١٧	أحوال الاسم مع المسمى من حيث التذكير والتأنيث
١٨	أحوال الصفة مع الموصوف من حيث التذكير والتأنيث
٢٠	الصريم الليل والنهار
٢٣	النسأنة أول الإسلام وآخره
٢٤	قصوا الشوارب وأعفوا الحمى
٢٤	قصوا الشوارب وأعفوا الحمى - وفروا وكثروا - وقصروا وانقصوا
٢٦	اللفظ المشترك الواقع على معان مختلفة غير متضادة
٢٦	أو التخخير ، والتفصيل ، والتبويض
٢٦	الخلاف في قوله تعالى : (لما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله - الآية)
٢٩	أسر عكن خالفا أطول لكن يبدأ من الطول أو من الطول
٣١	(من أجل ذلك كتبنا) أجل بمعنى سبب وبمعنى جنائية
٣٢	الاشتراك الحادث من قبل اختلاف أحوال الكلمة دون لفظها
٣٤	الاشتراك العارض من قبل تركيب الكلام - التركيب الدال على معان مختلفة متضادة
٣٤	الخلاف في قوله تعالى : (وترغبون أن تنكحوهن)
٣٥	حديث علي عن قتل عثمان (ألا وإن الله قتله وأنا معه)
٣٦	رأى الخوارج في تفسير الحديث ومرجع الضمير في معه

٣٧	الضمير في قول خالد القسري : إن أمير المؤمنين كتب لي أن ألعن عليا فالعنوه
٣٨	الضمير في قوله تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) يحتمل وجهين
٣٩	إبراز الضمير المستتر في الوصف إذا كان الوصف لغير من هو له
٤٠	الضمير في الحديث (إن الله خلق آدم على صورته) مشترك يحتمل وجهين
٤٣	التركيب المشترك في قوله تعالى : (وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم ، الآية
٤٣	حكم النعت إذا أخذ الوصف وتفرق الموصوف
٤٩	التركيب الدال على معان مختلفة غير متضادة
٤٩	الضمير في « وما قتلوه يقينا »
٥٠	التشبيه في قوله تعالى « يا أيها الذين كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم »

الباب الثاني

٥٢	الخلاف العارض من جهة الحقيقة والمجاز
٥٣	أنواع المجاز
٥٨-٥٤	المجاز الذي يعرض في اللفظة المفردة مثل - الميزان - السلسلة علاء الدين
٦١-٥٨	فأق الله بنيانهم من القواعد - وإن كان مكرهم لنزول منه الجبال
٦٣	يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا
٦٥	حديث نزول الرب إلى السماء الدنيا
٦٨	معاني النزول في كلام العرب
٧٥	رأى المحسمة في قوله تعالى : الله نور السموات والأرض
٧٥	الرد على المحسمة وبيان معنى النور في كلام العرب
٧٩	المجاز الذي يعرض لأحوال الكلمة مثل المجاز في الإستناد
٨١	الحقيقة والمجاز العارضان من قبل التركيب وبناء بعض الألفاظ على بعض
٨٣	ورود الإيجاب في صورة النفي
٨٧	ورود النفي في صورة الإيجاب
٨٩	ورود الواجب في صورة الممكن
٨٩	ورود المتنع في صورة الممكن
٩٤	الفرق بين أن الشرطية وإذا الشرطية ، واستعمال أحدهما مكان الأخرى
٩٧	ورود المدح في صورة الذم والذم في صورة المدح
٩٨	ورود التقليل في صورة التكثير ، والتكثير في صورة التقليل
١٠٠	هل رب موضوعه للتقليل أو التكثير ؟
١٠٣	المجاز العارض من قبل التركيب - إيقاع أدوات المعاني على السبب والمراد المسبب أو إيقاعها على المسبب ، والمراد السبب

الباب الثالث

صفحة	
١٠٧	في الخلاف العارض من قبل الإفراد والتركيب
١٠٩	كيف يؤدي الافراد والتركيب إلى الخلاف ؟
١١٥	سؤال عبد الوارث بن سعيد لأبي حنيفة وابن أبي ليلى وابن شبرمة عن باع يبعاً وشرط شرطاً فأجابوا بأجوبة مختلفة لاستدلال كل منهم بحديث مفرد
١١٧	ورود الآية أو الحديث بلفظ مشترك يحتمل أكثر من معنى ، وتأويلات كثيرة ، ثم ترد آية أو حديث بتخصيص المشترك ، وقصره على بعض المعاني دون بعض
١٢٠	معنى قوله تعالى (ويؤخركم إلى أجل مسمى)
١٢٢	معاني الحياة والموت في لغة العرب
١٣٤	دين الله وسط
١٣٥	مقالة الجبرية والقدرية ، ومقالة وسط بين المذهبين : شرح هذه المقالة
١٤٥	سبب خطأ الجبرية والقدرية
١٤٥	السلامة في تسمى الخوض في القضاء والقدر
١٤٦	الأصول التي تجب مراعاتها على من يريد الخوض في أمر القضاء

الباب الرابع

١٤٩	الخلاف العارض من جهة العموم والخصوص وثو نوعان
١٥١	(أ) خلاف في موضوع اللفظة المفردة ، وخلاف يعرض في التركيب
١٥٣-١٥١	(ب) اللفظة المفردة منها ما يستعمل عاماً أحياناً ، وخاصاً أحياناً أخرى مثل : ١٥١-١٥٣
	الإنسان - الناس - ومنها ما اتفق فيه على عمومها أو على خصوصها ، ومنها ما اختلف في عمومها وخصوصها
١٥٣	الآية : وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله
١٥٤	كل له قانتون
١٥٥	لا إكراه في الدين - علم الإنسان ما لم يعلم
١٥٧	المؤمن يأكل في معنى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء
١٦٠	الخلاف في المنفعة

الباب الخامس

١٦٣	الخلاف العارض من جهة الرواية
١٦٥	العلل التي تعرض للحديث
١٦٦	العلة الأولى - فساد الإسناد

١٧١	تحذير الرسول من اختلاف الأحاديث
١٧٢	الأسباب التي دعت إلى الكذب في الحديث
١٧٣	فضل البخارى ومسلم وابن معين في تنقية الحديث
١٧٥	العلة الثانية نقل الحديث بالمعنى دون لفظ المحدث
١٧٦	الفساد المترتب على نقل الحديث بالمعنى
١٨٤	العلة الثالثة الجهل بالأعراب ، ومباني كلام العرب ومجازاتها
١٨٥	العرب قد تفرق بين المعنيين المتضادين بحركة فقط
١٩٠	العلة الرابعة : التصحيف
١٩١	من أين أتى التصحيف في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم
١٩١	تشابه حروف الخط العربي من أهم أسباب التصحيف
١٩٤	العلة الخامسة - إسقاط جزء من الحديث لا يتم المعنى إلا به
١٩٤	الفساد المترتب على إسقاط جزء من الحديث
١٩٥	العلة السادسة : نقل الحديث وترك السبب الموجب للحديث
١٩٦	توجيه حديث : إن الله خلق آدم على صورته
١٩٧	معنى حديث (رأيت ربي في أحسن صورة)
٢٠٦	العلة السابعة : سماع المحدث بعض الحديث دون بعض
٢٠٦	حديث إن يكن الشؤم في ثلاث : الدار - المرأة - الفرس
٢٠٧	اعتراض عائشة على رواية هذا الحديث
٢٠٧	العصنة الزامنة
٢٠٧	نقل الحديث من الصحف دون لقاء الشيوخ والسماع من الأمة
٢٠٨	الفساد الناشئ عن نقل الحديث من الصحف

الباب السادس

٢١١	الخلافا العارض من جهة الاجتهاد والقياس
٢١٣	الخلافا العارض من هذا الموضوع نوعان
٢١٣	المتكرون للقياس
٢١٤ - ٢١٣	المتشبهون للقياس

الباب السابع

٢١٥	الخلافا العارض من ليل النسخ
٢١٧	المتكرون للنسخ
٢١٧	المجوزون للنسخ اختلفوا في أنواعه

٢١٧	هل يجوز النسخ في الأخبار ؟
٢١٨	هل يجوز نسخ القرآن بالسنة ؟
٢١٨	الاختلاف في بعض الآيات والأحاديث هل نسخت أو لا ؟

الباب الثامن

٢٢١	الخلافا العارض من قبل الإباحة
-----	-------------------------------

دلم الإيداع ٤٧٨٢ - ١٩٧٨

دار النشر للطباعة الإسلامية

٢ شارع نشاط - شبرا - القاهرة

تليفون ٥٥٢٢١